وزارة التربية والتعليم العالي

جامعة سرت
كلية الآداب
قسم اللغة العربية
الدراسات العليا

الرواية الثلاثية لأحمد إبراهيم الفقيه
في ضوء منهج التحليل الفاعلي

إعداد الطالب

إبراهيم الصديق احرير

رقم القيد 0545319

إشراف

أ. د. علي محمد برهانة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الإجازة العالية (الماجستير) في اللغة العربية

العام الجامعي 2012-2013

وزارة التعليم العـالي والبحث العلمي

جـامعة سرت كلية الآداب – قسم اللغة العربية

"الثلاثية الروائية لأحمد إبراهيم الفقيه في منهج التحليل الفاعلي"

إعـــداد الطالب: إبراهيم الصديق احرير.

أعضـاء اللجنـة المناقشة :-

	التـــوقيـــع
أ.د. علي محمد برهـــــانة.	.....
أ.د. حماد حســن أبو شاويش.	.....
أ.د. صالح عبد السلام البغدادي.	.....

يعتمد د. ع
د. عرانه ضو [illegible] الحسوني
مدير مكتب الدراسات العليا والتدريب بكليـــة الآداب

2013.9.11

يعتمد
[illegible] اعيل فرج عبد الناصر
كليـــة الآداب_ المكلف

جامعة سرت

تاريخ 18 /8/ 2013م.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

صدق الله العظيم

سورة البقرة، الآية: (164)

الإهداء

إلى رفيقة دربي

الشكر والتقدير

إلى كل من أسهم في إنجاز هذا العمل المتواضع

ر. م	قائمة المحتويات	رقم الصفحة
1-	الآية	أ
2-	الإهداء	ب
3-	الشكر والتقدير	ج
4-	قائمة المحتويات	د
5-	المقدمة	ز
	الفصل التمهيدي: الرواية وإشكالية المصطلح	
6-	الرواية وإشكالية المصطلح	2
7-	الرواية الليبية نشأتها وتطورها	4
8-	الجهود السابقة لدراسة الرواية الليبية	13
9-	المنهج المتبع في الدراسة	24
10-	وصف منهج التحليل الفاعلي	30
11-	بنية العقل التناسلي	31
12-	بنية العقل البرجوازي	32
13-	بنية العقل الخلاق	33
14-	تطبيق المنهج على موضوع الدراسة	34
15-	التعريف بالمصطلحات	36
	الفصل الاول: فاعلية بنية الحدث في الرواية الثلاثية	
16-	المبحث الأول: فاعلية بنية الحدث في رواية ساهبك مدينة أخرى	40
17-	الموت وعلاقته ببنية الوعي التناسلي وارتباطه ببنية الحدث	47
18-	اختلاف نظام القيم بين بنية العقل التناسلي وبنية الوعي البرجوازي وتأثيرها على بنية الحدث	51
19-	بنية الحدث بين الفكر البرجوازي والفضاء التناسلي	55
20-	المبحث الثاني: فاعلية الحدث في رواية هذه تخوم مملكتي	58
21-	الشعور بالغربة في البيت	60
22-	تصدع جزئي في بنية عقل خليل الإمام	61
23-	الرحلة العجائبية لمدينة عقد المرجان	64
24-	المبحث الثالث: فاعلية بنية الحدث في رواية " نفق تضيئة امرأة واحدة"	69
25-	العلاقات العاطفية (الحب) وأثرها في بنية الحدث	71
26-	مطابقة الحلم للواقع	73
27-	مفهوم الحب بين بنية العقل التناسلي بنية العقل الخلاق	74
28-	سيادة بنية العقل التناسلي	77
29-	نظام القيم التناسلية	78

الفصل الثاني: فاعلية بنية الشخصية في الرواية الثلاثية		
30-	الفاعلية التناسلية في شخصية خليل الإمام	82
31-	طفولة خليل الإمام وأثرها في تكوين شخصيه في الفضاء التناسلي	87
32-	مفهوم الحياة من منظور تناسلي وأثره على شخصية خليل الإمام	90
33-	شخصية الإمام التناسلية وعلاقتها بالمرأة	92
34-	الأبستيمية المعرفية لشخصة خليل الإمام	95
35-	مفهوم الموت والفراق في شخصية الإمام:	96
36-	علاقات الإنتاج داخل المجتمع البرجوازي وأثره على شخصية الفرد:	99
37-	شخصية ساندرا	100
38-	الخطاب التناسلي في شخصية خليل الإمام:	106
39-	المبحث الثاني: فاعلية بنية الشخصية في رواية "هذه تخوم مملكتي"	109
40-	بنية العقل التناسلي	109
41-	شخصية خليل الإمام	110
42-	خليل الإمام وبنية العقل التناسلي	111
43-	الفاعلية التناسلية في شخصية خليل الإمام	113
44-	الفاعلية التناسلية وارتباطها بمفهوم الفرح في شخصية الإمام	114
45-	شخصية " فاطمة: زوجة خليل الإمام	115
46-	فاطمة وقضية العقم	116
47-	شخصية وردة وعلاقتها بالنظام القيمي في بنية العقل التناسلي	118
48-	المبحث الثالث: فاعلية بنية الشخصية في رواية " نفق تضيئة امرأة واحدة"	120
49-	الفاعلية التناسلية لشخصية خليل الإمام	120
50-	خليل الإمام ومفهوم الرجولة	123
51-	شخصية الإمام وبنية العقل البرجوازي	126
52-	شخصية الإمام التناسلية وحقيقة الحب لديها	126
53-	شخصية سناء	128
54-	سناء والفلسفة المغايرة لمفهوم الموت	129
55-	العلاقة بين شخصية سناء وشهر زاد	131
56-	شخصية فاطمة زوجة خليل الإمام	133
57-	شخصية الأستاذ شعبان	136
58-	شخصية عثمان الإمام	138
59-	شخصية أنور جلال	139
60-	شخصية سعاد صديقة أنور جلال	140

الفصل الثالث: النظرية المعرفية (الابستمية) والبنى العقلية في الرواية الثلاثية		
-61	المبحث الأول: النظرية المعرفية في الرواية الثلاثية رواية هذه تخوم مملكتي أنموذجا	144
-62	مصطلح الأبستيمية المعرفية	144
-63	خليل الإمام والأبستيمية التناسلية	145
-64	مدينة عقد المرجان والأبستيمية الغيبية	146
-65	المبحث الثاني: العقل الخلاق في رواية " هذه تخوم مملكتي"	151
-66	مدينة عقد المرجان والفاعلية الخلاقة	155
-67	خليل الإمام بين الفكر التناسلي والفكر الخلاق	157
-68	المبحث الثالث: اختلاف بنيات العقل بين الشخصيات في الرواية الثلاثية	160
-69	أولا: بنية العقل التناسلي	161
-70	مكون الدلالة في بنية العقل التناسلي	164
-71	النظام القيمي في بنية العقل التناسلي	165
-72	آليات الضبط في بنية العقل التناسلي	165
-73	ثانيا: بنية العقل البرجوازي	166
-74	الأبستيمية المعرفية بنية العقل البرجوازي	167
-75	برامج العطاء في بنية العقل البرجوازي	170
-76	آليات الضبط بنية العقل البرجوازي	170
-77	ثالثا: بنية العقل الخلاق	171
-78	الخصائص التكوينية لبنية العقل الخلاق	171
-79	النظام القيمي في بنية العقل الخلاق	172
-80	برامج العطاء في بنية العقل الخلاق	173
-81	آلية الضبط في بنية العقل الخلاق	173
-82	الخاتمة	175
-83	قائمة المصادر والمراجع	177

المقدمة

بدأت الرواية الليبية في الظهور إلي الساحة الأدبية أبان فترة السبعينات من القرن الماضي حيث أتاح الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي الكبير السماح للرواية الليبية بالإعلان عن نفسها كجنسا أدبيا جديدا يضاف إلى الأجناس الأدبية الأخرى . فقولت الأعمال الروائية، وأدى ذلك إلي بزوغ مجموعة من الأسماء الروائية المبدعة التي ساهمت في رفع شان الرواية الليبية وبالتالي العربية في المحافل الدولية فصارت الرواية في ليبيا قرينة باسم إبراهيم الكوني عالمياً و عربياً وكذلك الحال مع أحمد إبراهيم الفقيه الذي فتح الباب أمام حقبه من الروائيين الشباب ليكون أدبه الروائي أساهمًا حقيقياً في عالم الرواية الليبية . فبصماته واضحة جلية في أعماله الروائية والتي ترجمت إلى اللغات الانجليزية والصينية كان أخرها (خرائط الروح) التي تعد أكبر رواية عربية من حيث الكم. هذه الدراسة تعد محاولة لقراءة الرواية وخاصة الرواية الثلاثية لأحمد إبراهيم الفقيه من وجهة نظر منهج ((التحليل الفاعلي)) للشيخ محمد الشيخ وهو منهج يهدف إلى تحليل العمل الأدبي من خلال دراسة الفاعلية في العمل الأدبي، منهج التحليل الفاعلي نظرية في طبيعة الإنسان تسعي للكشف عن فاعلية الفرد والمجتمع من خلال فضاء الفاعلية ونمو الفاعلية وخاصة فيما يتعلق بفن الرواية. وبما أن الحدث هو الفعل القصصي فإننا نجد بأن البنية الروائية سوف تغتني بالتشكيلات الدرامية بقدر ما تتنوع وتتحدد المستويات المختلفة من مستويات الصراع المنطقي والاقتصادي والاجتماعي والوجودي إلخ لذلك يمكننا أن نقول بأن تنازر بنيات الوعي هو عنصر الفاعلية والذي يؤدي تنوعه وتعدده إل فاعلية بينة الحدث وهو الذي يقوم عليه العمل الروائي. فالعمل الروائي يتأسس علي قاعدة من الصراع تجعل من البنيات المختلفة متناحرة أو متازرة هي التي تشكل العمل الروائي مثلما حدث في الرواية الثلاثية من صراع بين الوعي التناسلي والوعي البرجوازي وهذا الصراع يؤدي إلى نمو الفاعلية في الشخصية وذلك من خلال الاستجابة للتحديات التي يفرضها الواقع المعيش وبما أن منهج التحليل الفاعلي يعد منهجًا جديدًا من حيث التنظير في مجال النقد الأدبي

الحديث، تعد هذه الدارسة محاولة على الطريق لتطبيق هذا المنهج وهذا لا يخلو من الوقوع في الأخطاء والهفوات، كما أن ندرة المراجع التي تثري موضوع البحث أدت إلى افتقار الدراسة إلى التنوع من حيث دراسة المنهج بشكل أوسع فهو منهج جديد ولم يسبق دراسته بشكل عميق ومع كل ذلك تظل هذه الدراسة محاولة لفهم العمل الروائي من زاوية منهج التحليل الفاعلي.

جاءت الدراسة مقسمة إلى ثلاثة فصول وفصل تمهيدي على النحو الاتي:-

1- الفصل التمهيدي: وتناول الرواية وإشكالية المصطلح والرواية الليبية نشأتها وتطورها - الجهود السابقة لدراسة الرواية الليبية - المنهج المتبع في الدراسة.

2- الفصل الأول: فاعلية بنية الحدث في الرواية الثلاثية

المبحث الأول: فاعلية بنية الحدث في راوية ((سأهبك مدنية أخرى))

المبحث الثاني: فاعلية بنية الحدث في رواية ((هذه تخوم مملكتي))

المبحث الثالث: فاعلية بنية الحدث في راوية ((نفق تضيئه امرأة واحدة))

3- الفصل الثاني: فاعلية بنية الشخصية في الرواية الثلاثية

المبحث الأول: فاعلية بنية الشخصية في راوية ((سأهبك مدينة أخرى))

المبحث الثاني: فاعلية بنية الشخصية في رواية ((هذه تخوم مملكتي))

المبحث الثالث: فاعلية بنية الشخصية في رواية ((نفق تضيئه امرأة واحدة))

4-الفصل الثالث: النظرية المعرفية (الأبستمية) والبنى العقلية في الرواية الثلاثية .

المبحث الأول: النظرية المعرفية في الرواية الثلاثية، رواية هذه تخوم مملكتي أنموذجًا.

المبحث الثاني: العقل الخلاق في رواية (هذه تخوم مملكتي)

المبحث الثالث: اختلاف بنيات العقل بين الشخصيات في الرواية الثلاثية.

ومما يقتضي منا جزيل الشكر والعرفان الثناء والتقدير لأهله ، لذا يتقدم الباحث بموفور الشكر الخالص والتقدير.

لكل من أسهم في أثراء وإنجاح هذا البحث إنجاحه، وفي هذا المقام لا يسعني إلا أن أتقدم بفائق الاحترام والتقدير لأستاذي الفاضل الدكتور علي محمد برهانه الذي كان العون والسند في إنجاز هذا الجهد المتواضع وذلك بما أمدني من كتب وتوجيهات ونصائح فجزاه الله عني كل خير، كذلك أتقدم بالشكر للأستاذ عبد الرؤوف بابكر السيد الذي دعمني من أجل انجاز هذا العمل والشكر موصول للأستاذ الشيخ محمد الشيخ صاحب نظرية التحليل الفاعلي الذي كان له دور كبير في مدي بالكتب حول نظرية التحليل الفاعلي لإنجاز دراستي المتواضعة. كما أتقدم بجزيل الشكر لكل من دعمني ولو بكلمة طيبة.

((وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب))

الباحث

الفصل التمهيدي

الرواية وإشكالية المصطلح

الفصل التمهيدي

الرواية وإشكالية المصطلح

إن تحديد مصطلح (رواية) كان إلى وقت قريب يعتبر غاية في الصعوبة ويزيد الأمر تعقيداً عندما يتعلق ذلك بنتاجات قصصية تنتمي إلى موطن غير الموطن الأصلي الذي نشأت فيه، ولا أدل على هذه الصعوبة من أن القواميس والموسوعات الأدبية نفسها تلجأ عند تحديدها لمفهوم رواية إلى استعراض مفهومات متعددة كل منها يعود إلى فترة تاريخية معينة. [1]

وعرفت الرواية بأنها شكل من أشكال القصة، كما نادى بذلك ميشال بوتور في كتابه (بحوث في الرواية الجديدة) حينما قال: (الرواية هي شكل من أشكال القصة، والقصة ظاهرة تتجاوز حقل الأدب تجاوزاً كبيراً فهي إحدى المقومات الأساسية لإدراكنا الحقيقية). [2]

إن كلمة (نوفل - Novel) الإنجليزية والتي يقابلها لفظ (رواية) في اللغة العربية عند البحث عنها في المعاجم والقواميس تعطي معنى (رواية وقصة طويلة، أيضاً المبتكر الطريف والمستحدث، وكلمة Novelty تعنى الطرافة والجدة، وهي مأخوذة من اللاتينية Novus بمعنى الجديد). [3]

وقد استخدمت بعض اللغات الأدبية الاصطلاح رومان الفرنسي الأصل (Roman) لتدل به على هذا الجنس تبعاً لتغير الشكل الروائي (واستخدمت اللغة الإنجليزية خاصة لفظ نوفل وهو في أصل دلالته اللغوية مشتق من لفظ Novella الإيطالية الأصل التي تعني الجديد، ثم أطلق على الجديد من الأنواع الأدبية غير المألوفة، ومن ثم أطلق على هذا الجنس الأدبي محازاً فيما يبدو). [4]

---

1 - أنظر حميد الحمداني ، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي دراسة بنيوية تكوينية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب الطبعة الأولى، 1985 م، ص 37.

2 - ميشال بوتور ، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة فريد انطونيوس، منشورات عويدات بيروت – باريس، الطبعة الثالثة، 1986 م، ص 5.

3 - قاموس أكسفورد الأساسي، انجليزي – عربي – تصنيف حوين م. هوكز، تحرير عصر الأيوبي – أكاديمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1998 م، ص 388.

4 - أحمد محمد الشيلابي، القضايا الاجتماعية في الرواية الليبية، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، الطبعة الأولى 2006م، ص 14

(وفي العصور الوسطى كانت كلمة رواية ترادف كلمة قصة في لغة شعبية أو رومانية، وكان ذلك في مقابلة لغة العلماء أو اللغة اللاتينية، وكانت الرواية تطلق على كل قصة خيالية كانت أم حقيقية، شعراً كانت أم نثراً). [1]

فالرواية (Novel) لم تتحول في جميع اللغات لتعني رواية بالمعنى الخاص بهذه اللفظة (وهكذا فقد بقيت في اللغة الإنجليزية كلمة Novel رواية لتدل على أعمال قصصية ذات طابع قروسطي، أما الصنف الأدبي الجديد الذي ظهر في الفترة التي تفصل القرنين السادس عشر والسابع عشر فقد أطلق عليه في القرن الثامن عشر Novel). [2]

وفي القرن التاسع عشر أخذت كلمة رواية معنى أدبياً خاصاً وهو القصة النثرية تحادث خيالي، ثم إن هذه القصة تستخدم كإطار لرسم أخلاق وعادات مجتمع من الناس (ويعتبر النقاد دون كيشوت لسرفانتس أول رواية أوروبية مكتملة فنياً). [3]

وعرف هذا الجنس الأدبي (الرواية) أنواعاً مختلفة فيما يتعلق بالحجم والأسلوب فظهرت (Novelle) الفرنسية والتي تقابلها (Novelette) الإنجليزية وتعرف بأنها القصة الوسطى (وهي نثرية أطول من القصة القصيرة وأقصر من القصة الطويلة أو الرواية، ويتراوح عدد كلماتها ما بين الخمسة عشر ألفاً والثلاثين ألفاً). [4]

غير أن هذا المفهوم يعد نسبياً ويتفاوت بين جمهور النقاد والذين اختلفوا في عدد كلماتها حتى تعد القصة الطويلة رواية بالمفهوم المعاصر فإننا نجد إ. م. فورستر يقول: (إن الرواية هي قصة نثرية ذات حجم معين، وهذا كاف لنا بحد ذاته، ولكننا قد نذهب أبعد من ذلك لنضيف إن

---

1 - ر. سي فيمنت، نظرية الأنواع الأدبية، ترجمة الدكتور حسن عون، منشأة المعارف الإسكندرية، 1993، ط 1، ص 411.
2 - ف. ف كوز بنوف، موسوعة نظرية الأدب، إضافة تاريخية على فصلها الشكل – القسم الثاني – الرواية ملحمة العصر الحديث، ترجمة د. جميل نصيف التكريتي – دار الشؤون الثقافية العامة – آفاق عربية، الطبعة الثانية، 1986 م، بغداد – العراق، ص 40.
3 - المرجع السابق، ص 42.
4 - مجدي وهبه، مصطلحات الأدب، انجليزي – فرنسي – عربي، مكتبة لبنان – بيروت 1974 م، ص 356.

الحجم يجب أن لا ينقص عن 50 ألف كلمة، أي عمل نثري يزيد عن 50 ألف كلمة هو رواية).[1]

وفي وقتنا الحاضر لا وجود لشكل أدبي يتمتع بالقوة التي تتمتع بها الرواية ((إذ أننا نستطيع أن نربط بها بطريقة دقيقة كل الدقة بالعاطفة أم بالعقل حوادث حياتنا اليومية التي لا قيمة لها في الظاهر، الأفكار الأحداث والأحلام التي هي ظاهرياً أكثر ما يكون بعداً عن لغتنا اليومية، وهي إلى ذلك وسيلة مدهشة في الصمود والاستمرار في العيش بإدراك في عالم مخيف تقريباً يهاجمنا من كل ناحية)).[2]

فالنص الروائي كما يعرفه أكثر الناس لا ينقل الواقع المعيش مباشرة، ولا يقلده بخلق عوالم تحاول الاقتراب منه أو تكراره ولكنه يخلق (أي النص) عالمه الاجتماعي الخاص الذي يظل وفياً لشروط فنية تحكمه من داخله، رغم ما يتجلى فيه من كون اجتماعي له صلة كبيرة بالواقع الاجتماعي المعيش، هذه الصلة تكون على مستوى البنيات الذهنية للجماعات البشرية وعلى مستوى القضايا الاقتصادية والسياسية.[3]

الرواية الليبية نشأتها وتطورها:

لا يخفى على أحد الدور الكبير الذي تلعبه الرواية في طرح قضايا الإنسان المعاصر، وذلك من خلال تصوير المشكلات التي يعاني منها الإنسان في العصر الحديث.

وانطلاقًا من مقولة إن الرواية ملحمة العصر الحديث، كانت الرواية إحدى أهم أدوات التعبير عن قضايا الإنسان المعاصر، ومن هذه النافذة المعاصرة دخل فن الرواية إلى الساحة الأدبية في الوطن العربي في أواخر القرن التاسع عشر، شأنها شأن العلوم والمعارف الوافدة من الغرب وما صاحب ذلك الدخول من نهضة أدبية اتخذت من مفهوم الحداثة مدخلاً لمواكبة هذا الفن للتعبير عن هموم وقضايا الإنسان العربي المعاصر من المحيط إلى الخليج في مواجهة

---

1 - أ. م. فورستر، أركان الرواية، ترجمة موسى عاصي، جروس برس، طرابلس – لبنان – الطبعة الأولى، 1993 م، ص 9.
2 - ميشيل بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة،1986، ص12.
3 - أنظر د. علي محمد برهنة – الرواية الليبية مقاربة اجتماعية – منشورات جامعة سرت، ليبيا، الطبعة الأولى 2006 م، ص 16.

التحديات المتربصة به في محاولة لصنع ثورة اجتماعية تنهض بالإنسان العربي إلى أرقى مستويات النضج الاجتماعي.

لقد تناولت الرواية العربية كافة المشاكل الاجتماعية وما صاحبها من إسقاطات سياسية واقتصادية واجتماعية، فظهر ذلك جلياً في القضايا التي طرحها الروائيون العرب أمثال نجيب محفوظ والطيب صالح وسهيل إدريس وغيرهم في أعمالهم الإبداعية.

وعلى الرغم من المصاعب التي ولدت مع الرواية العربية في بداياتها فلقد استطاعت أن تذلل العقبات وتتقدم بخطى ثابتة لتصل مع نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين إلى مصاف روائع الأدب العالمي.

وإذا نظرنا إلى الساحة الأدبية في ليبيا نجد أن الرواية قد دخلت إلى ليبيا في نفس الفترة الزمنية التي دخلت فيها إلى الساحة العربية تقريباً، وإن كانت لا تصل إلى مستوى الحركة الأدبية في مصر وبلاد الشام، ولكن ذلك كان نتيجة لظروف خاصة بالمجتمع الليبي كان أبرزها الاحتلال الإيطالي لليبيا عام 1911 م والذي شل الحركة الأدبية انذاك، فلقد توقفت حركة المطابع في طرابلس الغرب بسبب الغزو الإيطالي واتجهت أنظار كل الليبيين إلى ميادين الجهاد ومعاركه المقدسة والتي ظلت مستعرة وملتهبة حتى أواخر الثلاثينيات من القرن الماضي، فلقد بدأت الحرب الليبية الإيطالية منذ عام 1911 م وحتى عام 1932 م ووصفت بأنها أبشع حرب استعمارية تعرض لها بلد عربي، فلقد كانت حرب إبادة بشعة وكانت جد مرهقة من الناحية الاقتصادية إلى حد كبير بسبب المعارك والحروب التي دارت رحاها على رقعة كبيرة تمتد بطول الساحل العربي الليبي والذي يبلغ طوله 1900 كم، كذلك هجرة أكثر من نصف السكان وإبادتهم أو نفيهم. [1]

ونتيجة لحرب الإبادة التي تعرض لها الشعب العربي الليبي انحصرت الحركة الأدبية في أدبيات الجهاد والحض عليه وبذل الغالي والنفيس من أجل نيل حرية الوطن واستقلاله،

---

1 - أنظر عقيل محمد البربار، دراسات في تاريخ ليبيا، منشورات ELGA، فاليتا، مالطا، 1996، ص 117.

ويتضح لنا ذلك جلياً من خلال أدبهم النثري والشعري الذي كان موظفاً لخدمة حركة الجهاد في ذلك الوقت، وهذا يفسر لنا تأخر ظهور الرواية على الساحة الأدبية في ليبيا ((إن الرواية تعبير بشكل عام عن نظرة كلية أو رواية كلية، وهذا أمر يقتضي عمق المعالجة وشموليتها مما يتطلب ثقافة ضاربة بجذورها في أبعاد الفكر المختلفة، ثقافة تستند إلى ماضٍ غني بالاتجاهات الأدبية متعدد الجوانب الفكرية، منفتح على الآفاق الأدبية العالمية، حتى لو لم تكن له أصالة تاريخية في مجال الرواية بالذات، وهذا المناخ لم يكن متوفراً في الساحة الثقافية الليبية كما سبق أن رأينا، فليس عجيباً والحال هذه أن تتأخر الرواية الليبية في الظهور، لقد كان العكس هو المستغرب فيما لو حدث)).[1]

وكانت القصة القصيرة أسبق إلى الظهور من الرواية، وذلك ما أشار إليه الدكتور أحمد إبراهيم الفقيه بقوله: ((وتعود هذه المرحلة الحديثة التي فيها القصة إلى عام 1908 م عندما جعلت عودة الدستور العثماني في ذلك العام من الممكن إصدار الصحافة الخاصة في الولايات التي تتبع الباب العالي، ومن ذلك التاريخ عرفت ليبيا بعض الصحف التي كانت تنشر ما يمكن اعتباره إرهاصات أولى للقصة القصيرة في شكل مقالات قصصية، كمثال على ذلك نثرية قصيرة ساخرة بعنوان ليلة أنس نشرت بجريدة المرصاد)).[2]

((وبإلقاء نظرة على الموروث الأدبي الليبي نجد أن الشعر والقصة القصيرة هما المرشحان للظهور أولاً لما لهما من مرتكزات يستندان إليها)).[3]

ومن هنا يتضح لنا جلياً بأن هناك نهضة أدبية وفكرية تمثلت في ظهور بواكير القصة القصيرة في ليبيا آنذاك وما صاحبها من ظهور الصحف والطباعة، فالجو والمناخ كان مهيأ لظهور نهضة أدبية ولكن كما أشرنا سابقاً بأن الاحتلال الإيطالي ساهم في تدمير الحياة الأدبية في ليبيا بشكل أو بآخر ((فالمجتمع الليبي لم يكد يعرف الاستقرار فمن الحرب الإيطالية إلى

---

1 - د. علي محمد بوهلقه، الرواية الليبية، مقاربة اجتماعية، ص 51.

2 - د. أحمد إبراهيم الفقيه، نشأة القصة الليبية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا – طرابلس، الطبعة الأولى، 1985 م، ص 8.

3 - د. علي محمد بوهلقه الرواية الليبية مقاربة اجتماعية، ص 52

الحرب العالمية الثانية، إلى الحرب السياسية ضد نفوذ الحلفاء بغية الاستقلال، وهذه لم تخل من حرب تمثلت في السجون والنفي والقتل والفردي والاغتيال وغيرها، إلى مقاومة القواعد الأجنبية، أضف إلى ذلك كله المشكلات المزمنة المتمثلة فيما يجره التخلف بصفة عامة من فقر ومرض وجهل)).[1]

نالت ليبيا استقلالها من الأمم المتحدة عام 1952 م ولكن واقعياً كانت ليبيا في ذلك الوقت من أشد دول العالم فقراً وبؤساً، فلقد كانت تخلو من العناصر الوطنية المؤهلة وكانت نسبة الأمية متفشية فيها بشكل مخيف وثالوث الفقر والمرض والجهل يدل على أنه لا وجود لأي دولة على أرض الواقع، فليبيا في ذلك الوقت لم تكن تملك مصرفاً واحداً وعدد جيشها لا يتجاوز 85 جندياً، كما أنها لا تملك من الموارد الطبيعية شيئاً يذكر لذلك كانت تعتمد على المساعدات الأجنبية والهبات الدولية.[2]

لقد كانت ليبيا كما يقول تقرير لبعثة الأمم المتحدة عن ليبيا في بداية الخمسينات من القرن الماضي ((إنها واحدة من البلاد التي يعيش فيها سواد الشعب بمستوى الكفاف، حيث تنعدم مصادر الطاقة، والمعادن وحيث تحد الظروف المناخية من الزراعة واتساعها، حيث يكون رأس المال صفراً أو أقل، إضافة إلى انعدام اليد العاملة الماهرة، وغياب التنظيم المحلي للمشاريع والالتزامات)).[3]

((وكان لظهور النفط وتصديره منذ العام 1964 م دور بالغ الأهمية في أحداث تغيير جذري في البناء الاجتماعي للمجتمع الليبي، وقد نتج عن ذلك ازدياد الهجرة بأعداد ضخمة إلى مدينتي طرابلس وبنغازي، وخلال سنوات قليلة كانت ليبيا تنتقل من العجز المالي إلى الفيض المالي،

---

1 - المرجع السابق، ص 55.

2 - أنظر عقيل محمد البربار، دراسات في تاريخ ليبيا، ص 117.

3 - ياسين الكبير، المهاجرون في طرابلس الغرب، معهد الإنماء العربي، بيروت، الهيئة القومية للبحث العلمي، طرابلس، ليبيا، الطبعة الأولى، 1982، ص 47.

وإذا بالبلد الذي كان يشكك بقدراته على البقاء دون مساعدة خارجية، إذا به يتحول إلى بلد يوزع المعونة والمساعدات)).[1]

كما أن ثقافة المجتمع الليبي آنذاك كانت تتمثل في الثقافة العربية الإسلامية والمتجذرة في نفوس أبنائه، لقد كان لهذه الثقافة الأثر الكبير في التصدي لعوامل التغريب الثقافية والوافدة من الغرب والتي نادت بها القلة المثقفة المتأثرة بالغرب لقد كانت الثقافة العربية الإسلامية صمام الأمان في الحفاظ على الهوية الثقافية والوحدة الوطنية في ليبيا على الرغم من تفشي الأمية والجهل في البلاد في ذلك الوقت.

وفي فترة السبعينيات من القرن الماضي، شهد البناء الاجتماعي تغيراً واضحاً تمثل في النمو الاقتصادي الكبير والتوسع في التعمير والإنشاء ولقيت المرأة تشجيعاً كبيراً من القيادات السياسية، ولقد انعكست آثار الأحداث الثلاث المهمة – نهاية الاستعمار وظهور النفط وما أحدثه من التبدل الجذري، والثورة الليبية على كافة مظاهر الحياة الاجتماعية، الأمر الذي أنعكس على مسيرة الرواية الليبية.[2]

وكما سلف الذكر بأن وضع الرواية في ليبيا بدأ متأخراً قليلاً وذلك بسبب الأوضاع التاريخية والتي حكمت هذا القطر العربي من احتلال عسكري وغلبة الأمية على الثقافة في ليبيا وهذا جعل من القصة القصيرة الابن الشرعي لهذه البنية الثقافية بالإضافة إلى الشعر الذي كان يمثل رافداً أدبياً كما هو الحال في أغلب أقطار الوطن العربي، إن وضع الرواية في ليبيا ليس بدعاً من الأوضاع الثقافية بل أنها تأثرت بما تأثرت به نظيراتها في كافة أقطار الوطن العربي الكبير، ولقد عالجت الرواية في ليبيا كل ما عالجته مثيلاتها في الوطن من البدايات بالتقمص التاريخية والرومانسية إلى الاضطلاع بمشكلات المجتمع من التخلف وقضية المرأة وغيرها من

---

1 - المصدر السابق، ص 48.
2 - انظر أحمد محمد الشيلابي، القضايا الاجتماعية في الرواية الليبية، ص 87.

الهموم الاجتماعية، بمعنى أنها كانت دائمًا متعلقة بالواقع وحاولت دائمًا أن تستقي مادتها منه كما هو متوقع من أي بيئة.[1]

ولكن هناك من النقاد من كان له رأي أخر ومخالف تماماً لكل من قال بأن بدايات الرواية الليبية كانت متأخرة عن شقيقاتها في الدول العربية المجاورة، صحيح أن القصة القصيرة كانت أسبق في الظهور تحديداً مع العام 1908 م ولكن الرواية أيضا لم تغب عن المشهد الأدبي والثقافي في ليبيا ولكنها كانت بحاجة إلى الاستقرار، فالحرب لا تخلق إلا الدمار، والسلام من شأنه خلق المجتمعات المتحضرة والمستقرة لذلك لم نشهد ظهور للرواية الليبية في ليبيا إلا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية والتي أكتوت بلادنا بويلاتها فلقد كانت ليبيا مسرحاً للمعارك التي دارت رحاها بين دول الحلفاء والمحور والتي ما زالت أثارها شاهداً على بشاعة تلك الحرب، نعم الشعر والقصة القصيرة كانا أسبق في الظهور على مسرح المشهد الأدبي الليبي، فالشعر هو ديوان العرب وهو الذاكرة الكبرى لكل مقومات الثقافة العربية ومن هنا كان الإرث الشعري متوغلاً في أعماق الثقافة العربية الليبية شأنها في ذلك شأن كل المجتمعات العربية.

لقد قدم الدكتور الصيد أبوديب تصوراً مختلفاً عن مسار تاريخ الرواية الليبية فالشائع لدى الكثير من الدارسين للحركة الأدبية في ليبيا عامة ومتتبعي تطور الرواية الليبية على وجه الخصوص أن نشأة الرواية الليبية تعود إلى سنة 1961 م وهي السنة التي صدرت فيها رواية (اعترافات إنسان) للأديب الليبي محمد فريد سيالة.[2]

غير أن البحث أثبت خلاف ذلك، ويمكن القول بأن هذه النشأة تعود وترجع إلى العقد الرابع من القرن العشرين وتحديداً سنة 1937 م ففي هذه السنة وبالتحديد صدرت رواية (ميروكة) للأديب الليبي حسين ظاظر بن موسى، وتدور أحداثها في الحرب الإيطالية الليبية وقد

---

1 - أنظر د. علي محمد بن هنيه، مسار الرواية الليبية، مقال في مجلة الفصول الأربعة، العدد 89، السنة الحادية والعشرون، ليبيا، أكتوبر 1999 م، ص 10.

2 - أنظر محمد فريد سيالة، اعترافات إنسان، دار الشرق الأوسط للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، الطبعة الأولى، 1961 م.

طبعها على نفقته الخاصة بمدينة دمشق السورية وقد صادرها الفرنسيون ولم يوزع منها سوى نسخ قليلة.[1]

أما عن أحداث هذه الرواية فيقول الأستاذ تيسير بن موسى أنها تدور بين عامي 1911 – 1912 م بالجبل الأخضر في ليبيا، ومبروكة فتاة ليبية استشهد والدها وأخوها في خضم المعارك ضد الإيطاليين وقد تطوعت في كتائب المجاهدين فكانت تحمل الزاد والماء لهم وتقوم بتمريض جرحاهم، وفي نفس الوقت كانت تتغلغل بين صفوف الطليان كقروية بسيطة لتنقل إلى قيادة المجاهدين أخبار تحركات هؤلاء الغزاة، وقد وقع في حبها أحد المجاهدين القياديين الشبان وأسمه مصطفى ومن خلال نسيج الحب الرومانسي المشوق بينهما وأعمالها ونشاطهما يسطر المؤلف وقائع الجهاد المقدس لليبيين ضد الغزو الهمجي الإيطالي وكذلك لعمليات الإبادة والتنكيل التي مارسها أولئك المستعمرون على أبناء الشعب الليبي، ويختم المؤلف روايته بمشهد سقوط مصطفى عن حصانه في إحدى المعارك فتسرع إليه مبروكة لإنقاذه فتجده قد استشهد، فتأخذ بندقيته وتوجهها إلى الأعداء الذين يصلونها بوابل من النيران تقع على أثره فوق حبيبها جثة هامدة.[2]

وعلى ضوء المعلومات السابقة يمكننا أن نعتبر رواية (مبروكة) أول عمل روائي ليبي مطبوع ولد في ديار الهجرة بالجمهورية العربية السورية على يدي الأديب حسين ظافر بن موسى، طبع في دمشق على نفقة مؤلفها في عام 1937 م.

وتأسيساً على المعلومات التي مد بها الدكتور الصيد أبوديب الباحث على هامش المسابقة الأولى للرواية والقصة للجامعات الليبية والتي نظمتها اللجنة الشعبية العامة للتعليم بجامعة سرت والتي تطرق فيها الدكتور الصيد للحديث عن بدايات الرواية الليبية يمكننا أن نعتبر الرواية الليبية قد ولدت في الثلاثينيات من القرن الماضي وإن عارض هذا الرأي الكثير

---

1 - أنظر زين العابدين موسى وأحمد أديب بن المحاج (الليبيون في سوريا) مطبعة دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، 1952 م، ص 20.
2 - أنظر د. الصيد أبوديب، معجم المؤلفات الليبية المطبوعة في الأدب الحديث، مجلس الثقافة العام، ليبيا، طرابلس، الطبعة الأولى، 2006 م، ص 148.

من النقاد في ليبيا، وذلك بسبب عدم وجود نسخة من الرواية المذكورة سابقاً والتي أشار إليها كتاب (الليبيون في سوريا) وأشار إليها الدكتور الصيد أبوديب في كتابه (معجم المؤلفات الليبية المطبوعة) وخاصة إن هذه الرواية قد نشرت في سوريا إبان الاحتلال الفرنسي وقد صادرتها قوات الاحتلال إلى فرنسا حال نزولها إلى المكتبة في سوريا، ولكن لا يمكن بأي حال من الأحوال مع التحفظ على قصة ورواية مبروكة وما شابها من ظروف حالت دون أن تقع أي نسخة مطبوعة للرواية تحت أيدينا أن ننفي بعدم وجودها إطلاقاً، وبأنه لا وجود لهذه الرواية في الواقع وذلك لأسباب منها بعد المدة الزمنية التي تفصلنا عن الفترة التي طبعت فيها رواية مبروكة من حيث التاريخ ومن حيث صعوبة المواصلات والاتصالات بين القطرين الشقيقين ليبيا وسوريا في تلك الفترة، كذلك الحقبة الاستعمارية التي كانت تهيمن على القطرين العربيين في ذلك الوقت، كذلك نشير إلى أنه قد ذكرت هذه الرواية مبروكة في الجزء الرابع من (معجم المؤلفين) للمؤلف عمر رضا كحاله وهذا لم يأت حسب اعتقاد الباحث من فراغ، ومع غياب الببلوغرافيا الوطنية وهي من أهم الأدوات المعيارية والتي تثبت حقيقة صدور أو نفي أي مطبوع ينشر داخل القطر أو خارجه، لا يمكننا أن نجزم بحقيقة صدور الرواية خاصة في غياب الأثر الدال على الرواية نفسها وتظل المسألة متعلقة بالتكهنات والتعليلات كلاً حسب وجهة نظره الخاصة به، فأغلب الدول تتغلب على مثل هذه الإشكاليات بالتوثيق من خلال تدوين ما يصدر داخل القطر أو خارجه من كتابات مع عدم إغفال المطبوعات التي تهتم بالدراسات عن القطر المعني والصادرة خارجه بكل اللغات مع كل ما ذكر تعتبر رواية " مبروكة" من الناحية الواقعية غير موجودة وتبعاً لذلك فليس لها أثر في مسار الرواية الليبية .

(ويعود رصد النتاج الفكري والورقي الصادر داخل ليبيا إلى بداية السبعينيات من القرن الماضي، ولعل الفضل يعود لمن قاموا بهذا الجهد دون أن توثق أسماؤهم خاصة في الببلوغرافيا التي شملت الفترة من عام 1951 م وحتى 1971 م إلا أن الجهد رغم صعوبته قد شابه بعض

القصور بسبب عدم صدور تشريع قانوني للإبداع حتى عام 1984 م والذي شهد صدور قانون الإبداع رقم (7) بسنة 1984 م). [1]

كتب الروائيون الليبيون نصوصهم بنية نقد الواقع الاجتماعي وإبرازه ومن ثم فقد كانت لديهم كما يقال أطروحات للإصلاح في مجتمع برز في منتصف القرن العشرين بعد عام 1951م بعد ويلات الحروب، برز يعاني من مشكلات التخلف والفقر والجهل والمرض وبذلك فمن المتوقع أن تكون بدايات هذه الرواية كأي بدايات يشوبها القصور ولا بعد ذلك عيباً فقد كان الروائيون الأوائل معنيين بلفت النظر إلى هذا الجنس الأدبي وإدخاله في البنية الثقافية إلى جانب الشعر والقصة القصيرة والمقالة، وكان تبعاً لذلك متوقعاً أن تكون هناك هنات من نوع ما في أعمالهم على أساس أن لهم فضل الريادة، ولولا جهودهم الجبارة لما برزت بعد ذلك العناصر الإيجابية في مجال الرواية الليبية، فالرواية الليبية برزت نماذجها الأولى في الستينات على يدي محمد فريد سياله ومحمد علي عمر وغيرهم إلى نماذجها الأخيرة والأكثر نضجاً على يدي أحمد إبراهيم الفقيه وإبراهيم الكوني.[2]

وصدرت رواية (وتغيرت الحياة) للأديب محمد فريد سياله بطرابلس الغرب في أواخر عام 1957 م وبذلك تكون ثاني رواية ليبية مطبوعة بعد رواية (مبروكة) للأديب الليبي حسين ظاظر بن موسى والتي نشرت بدمشق عام 1937 م فمع بداية العدد (51) من مجلة (هنا طرابلس الغرب) والصادرة في نهاية نوفمبر 1957 م نشرت الحلقة الأولى من رواية (وتغيرت الحياة) في الصفحات من 32 وحتى 34 وكان الإهداء فيها (إليها إلى موحيتها.... إلى روحي) كما قدمها مؤلفها بالعبارة الآتية: (الحب للإنسانية كالماء والهواء، لا يمكن الحياة بدونه).[3]

---

1 - أسماء مصطفى الأسطى، مقال بعنوان إحداً مبروكة أول رواية ليبية) شبكة المعلومات الدولية، مجلة الفضاء الثقافي، موقع الرواية الليبية مسار الرواية الليبية " جرد للموقف الردي من الواقع الاجتماعي طرابلس ليبية".

2 - أنظر د. علي برهانه، مجلة الفصول الأربعة، عدد 89، أكتوبر لسنة 1999 م، مسار الرواية الليبية، جرد للموقف السردي من الواقع الاجتماعي، طرابلس - ليبيا، ص11.

3 - د. الصيد فيرديب، معجم المؤلفات الليبية، ص 149.

بعد ذلك نشر سياله في مجلة هنا طرابلس الغرب روايته الثانية والتي حملت عنوان (الحياة صراع) في عدد حلقات وقدمها بعبارة (من السهل أن تكون محبوباً والسهل منه أن تكون محبًا، ولكن من الصعب حقًا أن تكون محبًا ومحبوبًا في آنٍ واحد) وظهرت الحلقة الأولى من هذه الرواية بالعدد 56 الصادر في أبريل 1958 م.[1]

وجاءت الرواية الثالثة للأديب محمد فريد سياله تحت عنوان (اعترافات إنسان) والتي نشرت على حلقات بمجلة طرابلس الغرب في العدد السابع، السنة السادسة، الصادر في أغسطس 1959 م، وانتهت بالحلقة الثانية عشر التي نشرت بالعدد 18 السنة السابعة، الصادر في مايو 1961 م، أي أن هذه الرواية نشرت على مدى عامين متتاليين من 1959 م وحتى مايو 1961م بمجلة طرابلس الغرب وهذه الرواية بالذات حرص مؤلفها بعد الانتهاء من نشرها في حلقات على الدفع بها إلى المطبعة لطباعتها في كتاب، فطبعها في مطابع دار الشرق الأوسط والنشر الإسكندرية في عام 1961 م وجاءت في 174 صفحة وبذلك تكون رواية (اعترافات إنسان) ثان رواية مطبوعة في كتاب.[2]

وقد غفلت عن ذكرها الببلوغرافيا الوطنية – الجزء الثاني والتي تضمنت الكتب والتقارير والبحوث التي طبعت خلال الفترة ما بين 1951 م وحتى 1971 م الصادرة عام 1973 م ولكن (دليل المؤلفين العرب الليبيين) الصادر عام 1977 م أشار إليها على أنها من منشورات – أي رواية اعترافات إنسان – مكتبة الفرجاني بطرابلس عام 1962 م وأنها جاءت في مائة صفحة.[3]

" الجهود السابقة لدراسة الرواية الليبية"

(لقد شهد الواقع الليبي الاجتماعي والسياسي الاقتصادي في السبعينيات استقراراً سمح للرواية بالإعلان عن نفسها على استحياء، وما من شك في أن استمرار الاستقرار في الثمانينيات سيوطد

---

1 - المرجع السابق، ص 150.
2 - انظر المرجع السابق، ص 151
3 - انظر مجموعة باحثين ليبيين، دليل المؤلفين الليبيين، المنشأة الوطنية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، طرابلس، الطبعة الأولى، 1977 م، ص 409.

قدمي هذه الرواية في الأرض الأدبية الليبية ويدفع بها إلى النهوض الفني بعد أن مرت في السبعينيات بمرحلة التأرجح بين طبيعة الرواية ووظيفتها).[1]

لقد طغت الرواية وبخاصة الاجتماعية منها على الأجناس الأدبية الأخرى في ليبيا منذ أن انطلقت في الخمسينيات من القرن العشرين وبلغت مستوى متميز من حيث الكم والكيف غير أن هذا التميز لم توازه حركة نقدية تحلله وتقومه، إذ لم تحظ الرواية الليبية بدراسات أكاديمية معمقة، هذا إذا تجاوزنا الدراستين القصيرتين اللتين اضطلع بهما الناقد السوري سمر روحي الفيصل ولذلك لا توجد دراسة منشورة خاصة بالرواية الليبية.[2]

وهذا الموقف يشخصه الدكتور علي محمد برهانه بقوله (إن الدراسات النقدية للرواية الليبية هي من القلة بدرجة لافتة للنظر، وخاصة من جانب الكتاب الليبيين، لعل ذلك كان نتيجة لقلة النتاج الروائي من جانب، ولأن هذا النتاج لم ينتظم إلا في السنوات الأخيرة من جانب آخر، ولذلك لم ينظر الكتاب بجدية لهذا المجال، على أنه لا يمكن القول أنه لا توجد دراسات البتة عن الجانب الروائي في الأدب الليبي، غير أن هذه الدراسات على قلتها اتخذت طابع المقالة النقدية التي تتناول بالدراسة رواية واحدة في دورية من الدوريات وربما ضمن بعض الكتب، ولولا وجود الأستاذ (سمر روحي الفيصل) وهو كاتب سوري لما وجد من أفرد كتاباً مقصوراً على دراسة الرواية الليبية فله في هذا المجال كتابان).[3]

كان كتاب الناقد السوري سمر روحي الفيصل (دراسات في الرواية الليبية) أول دراسة نقدية حول الرواية الليبية وهي كانت دراسة غير أكاديمية وفي كتابه (القضايا الاجتماعية في الرواية الليبية) أخذ أحمد محمد الشيلابي على الفيصل أموراً عدة من خلال تعامله مع الرواية الليبية ولكن مقارنة مع أول دراسة نقدية للرواية الليبية فإننا نلتمس له العذر، فعندما يتعلق البحث بتاريخ الأدب العربي في ليبيا وبتحديد أكثر عندما يكون البحث عن بدايات جنس أدبي معين، لم

1 - سمر روحي الفيصل، دراسات في الرواية الليبية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، ليبيا، طرابلس، الطبعة الأولى، 1983، ص ل

2 - أنظر أحمد محمد الشيلابي، القضايا الاجتماعية في الرواية الليبية، ص7

3 - د. محمد علي برهانه، الرواية الليبية، مقاولة اجتماعية، ص56.

يكن بشكل رصيداً بل يعتبره بعض الباحثين نوعًا وافداً من الأدب لم يستشعره الناس ولم يهتم به القراء إلا لفترة قريبة جداً، يكون الأمر في منتهى الصعوبة في غيبة الوعي والاهتمام لدى الكتاب والقراء على السواء وفي غيبة نظام يوثق ويحفظ ما يتعلق بتاريخ الأدب والصحافة في ليبيا تكون البداية صعبة في غيبة المصادر والمراجع والمعلومات، تكون البداية صعبة في عدم الإلمام الكامل بالخلفيات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي أثرت في نشوء وتطور أي نوع من أنواع الفنون والآداب، تكون البداية صعبة على الكاتب الليبي في القيام بهذا العمل ولكنها تكون أصعب على الكاتب العربي من أي قطر عربي آخر للتاريخ والتوثيق.[1]

الجميع يتفق على أن الفيصل فتح الباب أمام نقد الرواية الليبية، فكانت الخطوة الأولى وهي دائماً منا تكون الأصعب ومحفوفة بالمزالق والأخطاء، كان نصيب هذه الدراسة النقدية النجاح كونها فتحت باباً وافقاً جديداً للرواية في ليبيا.

من الإشكاليات التي واجهت النقاد في فترة مبكرة من تاريخ النقد الروائي الليبي عدم التمييز بين القصة القصيرة والرواية وهذا أحدث خلطاً في المفاهيم الأدبية وهو ما نجده واضحاً في كتب الببليوغرافيا وهو ما أشار إليه الناقد السوري سمر الفيصل في كتابه (دراسات في الرواية الليبية) بأن هناك خلطاً بين مفهوم الرواية والقصة القصيرة وهذا ما وقعت فيه أسماء الأسطى في الببليوغرافيا التي نشرتها في مجلة الفصول الأربعة في العدد 17 مارس الصادرة في عام 1982 م وهي الببليوغرافيا عن القصة الليبية من 1951 م وحتى 1981 م وفيها كان الخلط واضحاً بين القصة والرواية، وهو ما اعترفت به أسماء الأسطى نفسها في مقال لها نشرته على شبكة المعلومات الدولية الانترنت في مجلة الفضاء الثقافي الالكترونية بعنوان (أحقاً مبروكة أول رواية ليبية)؟

---

1 - أنظر سليمان كشلاف: دراسات في الأدب، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، طرابلس، الطبعة الأولى، 1986 م، ص 286.

"تظل ببليوغرافيا القصة في ليبيا والتي أعدتها عام 1981 م والمنشورة في العدد 17 من مجلة الفصول الأربعة عمل علمي متخصص وفق الشروط الدولية المتبعة، وكنت اعتمدت على الأدوات المعيارية غير المكتملة لذلك شابها بعض الخطأ الناتج عن المصادر".[1]

هل هناك شيء اسمه رواية في ليبيا ؟ سؤال طرح كثيراً وترددت أصداؤه بين جمهور النقاد في ليبيا مطلع الثمانينات وحتى بداية التسعينات من القرن الماضي فقد اعتبر عدد من النقاد بأنه لا وجود لشيء اسمه الرواية الليبية على أرض الواقع، واعتبروا أن الموجود على الساحة لا يعدو كونه قصصاً طويلة لا غير وهذا تحديداً ما أشار إليه الناقد السوري سمر روحي الفيصل بقوله (إن المرء لمس من حواره مع بعض الأدباء الليبيين شيئاً من عدم الاعتراف بالرواية الليبية مما يعوق الدراسات النقدية).[2]

وهذا ما تطرق إليه الناقد الليبي سالم هابيل في مقال له بمجلة الفصول الأربعة العدد 78 أبريل 1994 م عندما قال (الرواية الليبية لم تولد بعد فالذي أمامنا الآن ليس سوى أقاصيص طويلة يدعونها مجازاً ومجاملة ومغالطة بالرواية، إن الرواية في ليبيا حتى الآن لم تعطنا رؤية خاصة لوضع اجتماعي سياسي خصب، كان يجب أن يثير القاص ويلهمه، ليس هناك رواية، الرواية لا تعني مجرد السرد والقص، بل شيء أخر تماماً، الرواية ملحمة عصرنا وكتابة التاريخ غير المزور).[3]

يعد كتاب (القضايا الاجتماعية في الرواية) للناقد أحمد محمد الشيلابي من الكتب النقدية المعاصرة والتي تناولت الرواية الليبية بالنقد والتحليل، فلقد قدم المؤلف جهداً يحمد له، قدم من خلاله الإضافة للرواية الليبية من حيث إثرائه للعملية النقدية ومالها من أثر طيب على مسيرة الرواية في ليبيا، فقد تناول بالتحليل جملة من الروايات المختلفة وإن كانت تدور كلها في إطار منهجي واحد ألا وهو المنهج الاجتماعي، فلقد أتخذ المؤلف المنهج الاجتماعي وسيلة للدراسة كل

---

1 - أسماء مصطفى الأسطى، مجلة الفضاء التقافي الالكترونية، شبكة المعلومات الدولية، موقع الرواية الليبية.
2 - سمر روحي الفيصل، دراسات في الرواية الليبية، ص 9.
3 - سالم هابيل، قاع الرواية الليبية، مقال بمجلة الفصول الأربعة، العدد 78، أبريل، 1994 م، طرابلس، ليبيا، ص 36.

الأعمال الروائية في كتابه والتي قام بنقدها وتحليلها، إذاً فلقد كان منهج المؤلف يهدف إلى الكشف عن رؤية الروائي للواقع الاجتماعي في إطاره العام حيث يكون في أفضل حالاته حين يعرض النواحي الاجتماعية الكامنة أو الضمنية في عمل الكاتب، كما استعان المؤلف للوصول إلى تحليل الرؤية الاجتماعية عند مؤلفي الروايات موضوع الدراسة بأعمالهم الأخرى بغرض الوقوف على نتائج دقيقة وصحيحة بقدر المستطاع.

والملاحظ أن الشيلابي في دراسته النقدية والتحليلية قد تناول جل الروايات الليبية الحديثة والمعاصرة، وقد تناولها بالنقد في إطار المنهج الذي توسل به وهو المنهج الاجتماعي وقام باستبعاد الروايات التي لا تدور في الإطار الاجتماعي مثل روايات النضال الوطني والروايات الفلسفية وغيرها، وهذا يطرح تساؤلاً منا مفاده هل هناك رواية غير اجتماعية ؟ وهل روايات النضال الوطني والفلسفي لا تدور في مجتمع ؟ فالمناضل والفيلسوف جزء من مجتمع وهو أحدى مقرداته يؤثر في المجتمع ويتأثر به فروايات النضال الاجتماعي والفلسفي من وجهة نظر الباحث ليست روايات ذاتية حيث الصوت الأوحد الذي يغيب في حضرته كل الأصوات ويختفي من حوله المجتمع والناس فهو يتحرك داخل مجتمع ونضاله من أجل المجتمع فهو يتفاعل مع الأحداث والمستجدات وهذا كله يدور في إطار اجتماعي.

لقد أختار الشيلابي الرواية من وجهة نظره وذلك لأنها تستقري ما رصدته الرواية الليبية من قضايا المجتمع الليبي ومنا كشفت عنه من خصوصيات وعلاقات متشابكة لهذه القضايا في صحرائه وريفه وقريته ومدينته، وما طرح من تلك القضايا على مستويين أولهما مستوى التباين الاجتماعي فيما يتصل بالثقافة والوعي والأصول والتمايز بين فئات المجتمع، أما ثانيهما فهو مستوى قضايا المرأة كما تناولتها الرواية على صعيد الظلم الاجتماعي والقهر وقضايا التمرد والاستسلام.[1]

---

1 - أنظر أحمد محمد الشيلابي، القضايا الاجتماعية في الرواية الليبية، ص(أ).

لقد درس الشيلابي في كتابه ست عشرة رواية اجتماعية توزعت بين دفتي كتابه، وهذه الروايات لم يتم اختيارها عشوائيًا أو اعتباطيًا من قبل المؤلف وإنما وفق منهجية محددة كما أشار إلى ذلك المؤلف نفسه بقوله (وبعد أن أخرجنا الروايات بما فيها الاجتماعية التي يكتبها روائيون ليبيون عن المجتمع الليبي طارحة قضاياه واشكالياته الاجتماعية وأخرجنا ما يجاوز البعد الاجتماعي ويطال الأبعاد الأخرى في الرواية، وجدنا أن تلك المدونة الروائية المتبقية تنحصر في النصوص الاتية:

1 – (اعترافات إنسان) لمحمد فريد سيالة ونشرت عام 1961 م.

2 – (من مكة إلى هنا) للصادق النيهوم ونشرت عام 1970 م.

3 – (ثلاثون يومًا في القاهرة) لمحمد صالح القمودي ونشرت عام 1971 م.

4 – (شيء من الدفء) لمرضية النعاس ونشرت عام 1972 م.

5 – (نافذة على المطل الخلفي) لمحمد علي سالم عجينة ونشرت عام 1973 م.

6 – (وميض في جدار الليل) لأحمد نصر ونشرت عام 1974 م.

7 – (في المنفى) لرجب أبودبوس ونشرت عام 1975 م.

8 – (المطر وخيول الطين) لخليفة حسن مصطفى ونشرت عام 1981 م.

9 – (المرأة التي استنطقت الطبيعة) لنادرة العويتي ونشرت عام 1983م.

10 – (جرح الوردة) لخليفة حسين مصطفى ونشرت عام 1985 م ونشر الجزءان الثاني والثالث وهما (عرس الخريف وآخر طريق) عام 1986 م.

11 – (من حكايات الجنون العادي) لخليفة حسين مصطفى ونشرت عام 1985 م.

12 – (رجل لرواية واحدة) لفوزية شلابي ونشرت عام 1985 م.

13 – (حقول الرماد) لأحمد إبراهيم الفقيه ونشرت عام 1985 م.

14 – (رباعية الخسوف) لإبراهيم الكوني ونشرت عام 1989 م.

15 – (الثلاثية) لأحمد إبراهيم الفقيه ونشرت عام 1991 م.

16 – (هذه أنا) لشريفة القيادي ونشرت عام 1994 م.[1]

وهذه الدراسة النقدية الاجتماعية لأغلب الروايات الليبية تجعلنا نفكر ملياً بأن الرواية في ليبيا قد أثرت وأعادت تشكيل الخريطة الأدبية في الشارع الليبي، فهي تؤثر وتتأثر بمن حولها وهو دليل على أن هذا الجنس الأدبي له من القدرة على التغلغل إلى داخل أضيق مسامات المشهد الاجتماعي الليبي في محاولة للتعبير عنه من خلال رؤية المؤلف وما يطرحه الأخير من نتاج إبداعه إنما هو وليد الزخم الاجتماعي من المنظور الأدبي محصوراً بالتحديد في فن الرواية، فالمجتمع في تطور مستمر من خلال سعيه لمواكبة عجلة العصر والمدنية الحديثة المعاصرة على طريق التنمية الاقتصادية والبشرية، ومن خلال هذا الطرح نشير إلى رؤيتها الرواية للواقع الاجتماعي من خلال التقسيم الذي نادى به الدكتور علي محمد برهانه وهو متخصص أكاديمي في مجال الرواية الليبية عندما قسم الواقع الاجتماعي بناء على موقف الرواية منه بالآتي:-

1 – موقف منسجم مع الواقع، هنا لم تستطع الرواية أن تتجاوز الواقع وهي تحاول نقده وبحث لا تحمل رؤية معينة في هذا النقد وتم تقسيم هذا الموقف إلى قسمين:

أ - موقف أمن على الواقع الاجتماعي ولم يستطع تجاوزه بل حتى قصر عنه أحياناً.

ب - موقف لم يقف عند هذا الواقع ولكنه في الوقت نفسه لم يتجاوزه، ففي النوع الأول اندرجت عدة روايات بعضها عنى بهموم تاريخية وبعضها عالج قضايا اجتماعية فبالنسبة للروايات التي تعرضت للتاريخ والقريب منه بصورة خاصة من مجيء الايطاليين إلى ما قبل الثورة هي:

1 – محمد صالح القمودي (دماء تحت النخيل، طرابلس 46).

2 – محمد علي عمر (حصار الكوف، أقوى من الحرب).

3 – أحمد نصر (وميض في جدار الليل).

---

1 - المرجع السابق، من صفحة 72 – 73.

4 – إبراهيم النجمي (العربة).

والروايات التي تعرضت للقضايا الاجتماعية كانت:

1 – محمد فريد سياله (اعترافات إنسان).

2 – مرضية النعاس (المظروف الأزرق، شيء من الشفاء).

3 – أحمد نصر – الرواية السابقة.

في هذا الموقف وقعت الرواية في مجاملة الذات وذلك حين تعاطت مع الماضي التاريخي الذي جعل الذات تظفر بالمدح في مقابل هجاء الاخر، ففي حالة التاريخ الليبيون ابطال شجعان كرماء طيبون ليس بينهم خائن، والعدو جبان وشرير وغير ذلك.

أما القسم الثاني من الموقف المنسجم مع الواقع فهو يمكن أن نطلق عليه تخوم الرواية الناقدة للواقع ذلك أن الرواية سجلت الخلل والحاجة للتغيير ولكنها لم تقدم رؤية في اتجاه التغيير وكان هذا الموقف في روايتي خليفة حسن مصطفى.

- المطر وخيول الطين.

- ثلاثية (جرح الوردة – عرس الخريف – آخر الطريق).

2 – الموقف الناقد للواقع:

وهنا استطاعت الرواية أن تقدم رؤية تختلف عن الرؤية السابقة فنظر للواقع على أنه شديد الاختلال، لذلك فهو يحتاج إلى مواجهة واستطاعت الرواية إبرازه في هيئة مزرية الأمر الذي جعل موقفها منه منذ البداية يقوم على طلب التغيير وقد تمثل نقد الواقع في الرواية الليبية في موقفين اثنين هما:

أ – موقف احتجاجي عني بإدانة الواقع وهو عند كل من:

- الصادق النيهوم: القرود.

- صالح السنوسي: متى ينبض الوادي – لقاء على الجسر القديم.

- علي خشيم: إنارو.

- أحمد إبراهيم الفقيه: حقول الرماد.

ب - موقف تصحيحي علي باستمرار مواجهة الواقع.

وهذا الموقف وجدناه عند الصادق النيهوم في روايته (من مكة إلى هنا) وعند فوزية شلابي في روايتها (رجل لرواية واحدة) وعند عبد الرسول العريبي في روايته (تلك الليلة). [1]

وهذه الفكرة التي نادى بها الدكتور علي برهانه هي نفس الفكرة التي أنطلق منها الشيلابي لنقد الرواية الليبية بناءً على الواقع الاجتماعي وإن كان فضل الريادة هنا يسجل للدكتور برهانه بأنه أسبق بالدراسة عندما قدم رسالته الدكتوراه بعنوان (الرواية الليبية: مقاربة اجتماعية) والتي قدمها بجامعة محمد الخامس بالمغرب في العام 1997 م، والتي تناول فيها خمس وعشرين رواية لسبعة عشر روائيا وهي ضخمة من حيث الكم والكيف.

ومن خلال ما تقدم يمكن القول بأن لأحداث الثلاث المهمة في ليبيا وهي نهاية الاستعمار وظهور النفط والثورة في ليبيا قد انعكست على كافة مظاهر الحياة في ليبيا، ولقد سعت الرواية الليبية إلى تجسيد رؤى متباينة للقضايا الاجتماعية المهمة داخل أربعة أطر مثلت الواقع الاجتماعي في ليبيا ففي الإطار الأول التباين في مستويات الثقافة والوعي وقد مثلته روايتان هما: "وميض في جدار الليل" لأحمد نصر والثانية " في المنفي "الرجب أبو نبوس"، وإطار ثاني يتجلى في التباين في الأصول والأعراق والفئات ويتميز هذا الإطار بكون أحداث رواياته" من مكة إلى هنا "للصادق النيهوم و" رباعية الخسوف "لإبراهيم الكوني تدور في زمن قديم نسبيًا لأن المجتمع الليبي تجاوز مرحلة التباين العرقي، أما الإطار الثالث فهو يجسد التباين الزمني بين الأجيال في العادات والتقاليد ومثلته "رواية شيء من الدفء" لمرضية النعاس و"الثلاثية" لأحمد إبراهيم الفقيه، والإطار الرابع يعني بإبراز التباين على مستوى الوجود

---

1 - أنظر د. علي محمد برهانه، مسار الرواية الليبية، مجلة الفصول الأربعة، من ص 10 – 15.

المكاني أي القرية والمدينة ومثلته روايتان (نافذة على العطل الخلفي) لمحمد علي سالم و"ثلاثية جرح الوردة "لخليفة حسين مصطفى، وانعكست الرؤى التي تصدر عنها هذه الروايات – غالبًا – من خلال الأيديولوجية التي يتبناها الروائي، ومهما يكن من أمر فقد حاول الروائيون التعبير عن قضايا الواقع الاجتماعي كلاً من زاوية محددة عكست موقفه وتصوره للعالم.[1]

ومن خلال العرض السريع لتاريخ الرواية الليبية نجد أن الرواية الليبية وليد للرواية العربية وهي حديثة العهد نسبيًا فهي تكتب من سنة 1937 م، فالباحث يرى أن الرواية الليبية لم تنل حظها من النقد بشكل موسع وكان لذلك أثر سلبي عليها، فالنقد والإعلام يعطيان الرواية دفعة إلى الأمام مما يساعدها على خلق مناخ أدبي يقوم على المنافسة وهذا ما لم يحدث مع الرواية الليبية، ولكن يمكن أن نلتمس العذر للرواية الليبية في عدم انتشارها وذلك لعدة أسباب منها أن الرواية بنت المدينة، والمجتمع في ليبيا كان مجتمعًا بدويًا ريفيًا لم يعرف المدينة إلا مع نهاية السبعينات وبداية الثمانينات من القرن الماضي، فالرواية لم تظهر للعيان بشكل واضح إلا في هذه الفترة جزءًا أدبيًا يتفاعل مع قضايا المجتمع الليبي والذي صار يتطور وبشكل سريع مع زيادة نسب الوعي الثقافي واتساع رقعة التعليم وانتشار التعليم الجامعي والعالي حتى في أقصى المناطق النائية مما سمح بنوع من الاستقرار الحضري والمدني مما ساهم في ظهور فئة المثقفين على حساب الفئة الأمية والتي تكاد أن تختفي مع ارتفاع مستوى المعيشة وغلبة الرفاهية المدنية، فأصبح لفئة المثقفين حضورها في المجتمع، وهي تشمل كل مخرجات التعليم في ليبيا بكافة مجالاته، ومع سهولة الحياة ويسرها وانتشار وسائل الإعلام المختلفة من شبكات اتصال ومطابع ووسائل مرئية ومقروءة ومسموعة وأنظمة الاستقبال الفضائي وشبكة المعلومات الدولية الانترنت، أضحى هناك مناخ ثقافي لظهور رواية ليبية معاصرة، فنحن إزاء تحول في تركيبة المشهد الثقافي الليبي تكون فيه الرواية في قمة الهرم الأدبي الليبي المعاصر،

1 - انظر أحمد محمد الشلابي، القضايا الاجتماعية في الرواية الليبية، ص 87 – 88.

وإنما كان هذا التفوق للرواية على غيرها من الأجناس الأدبية لما تتسم به من كونها مدونة واسعة الأفق تمنح الأديب فضاءات شاسعة للتعبير عنه وعن القضايا التي يطرحها ويحاول أن يمسك بها ويعالجها فالرواية هي خلجات الروح الإنسانية من خلال تصويرها للمجتمع بأكمله وبكل تفاصيله الدقيقة. كما نأمل أن يواكب الإعلام بالنقد هذا التطور للرواية الليبية لكي يسمح لهذا الحراك الأدبي بالامتزاج مع المجتمع لكي يكون اندماجاً واقعياً وحقيقياً يغير ويؤثر وذلك من خلال النقد الأدبي الصحيح، مع ضرورة أن يواكب الإعلام هذا النقد ويسلط عليه الضوء حتى لا يكون هذا الفن الإنساني حكراً على طبقة معينة أو يكون محصوراً في برج عاجي لا يطاله إلا فئة قليلة من أفراد المجتمع مما يحرم البقية من إبداع جزء مهم ويفرض على هذا الإبداع نوعاً من العزلة والجمود.

الرواية الليبية في السنوات الأخيرة أصبح لها شأن آخر فصارت تلحق في سماء الأدب والإبداع وذلك لظهور مجموعة من الأسماء الروائية المبدعة والتي رفعت من شأن الرواية الليبية والعربية إلى أعلى الدرجات في المحافل الدولية فهي صارت قرينة باسم الكوني عالمياً وعربياً فصار من الصعب الحديث عن الرواية الليبية دون الحديث عن السحرة أو بيت في الدنيا وبيت في الحنين، فالكوني خرج بالرواية الليبية إلى العالمية لتكون رافداً جديداً للرواية العربية، ورفع اسم ليبيا عالمياً من خلال الترجمات التي حظيت بها روايته بمختلف لغات العالم، وما تحصلت عليه رواياته من جوائز عالمية أوروبية وعربية كان أخرها جائزة الشيخ زايد للآداب لسنة 2008 م عن رواية "نداء ما كان بعيداً" وما رافق هذه الروايات من متابعات نقدية وإعلامية، وكذلك إبداعات أحمد إبراهيم الفقيه والذي فتح الباب واسعاً أمام الرواية الليبية لتكون إسهاماً حقيقياً في تجديد الرواية العربية بالإضافة إلى الإبداعات الفنية المتميزة من خلال بصمته

الروائية الواضحة المتمثلة في ثلاثيته الروائية وأخيراً في تجربته الفريدة من نوعها في العالم العربي (خرائط الروح) والصادرة حديثًا والتي ما زالت أصداؤها الإعلامية والنقدية تتوالى.[1]

لقد بدأت الرواية الليبية تستشعر طريقها إلى جانب غيرها في الوطن العربي وعرفت السنوات الأخيرة في التسعينات ظهور أعداد منها تبشر باستمرارها، وتؤكد على أن الأبناء الذين يمتلكون الأصالة في هذا المجال لابد لهم من السير فيها، ومواصلة الطريق، نلمس ذلك من الروايات التي بدأنا نقرأها والتي تنبئ عن مواهب غير عادية وممارسات متميزة كما عند (إبراهيم الكوني) وكذلك هناك نماذج عادية أو تقليدية ولكنها تكشف عن وجود رؤية أدبية معينة تنتمي إلى تيار معروف في القصة العربية، كما هو الحال بالقياس إلى (خليفة حسين).[2]

فنحن إزاء تحول في المشهد الثقافي الليبي يبشر بأن تكون الرواية في الصدارة نظراً لما يتسم به هذا الفن من رحابة ومرونة تتيح للأديب إمكانية تعبيرية واسعة وقدرة الرواية على استيعاب الفنون الأخرى من شعر ومسرح وقصة قصيرة إلى آخر الأنواع الأدبية المختلفة. والجدير بالإشارة إلى أن آخر ببيلوغرافيا صدرت للرواية الليبية في السنوات الأخيرة هي ببيلوغرافيا معجم المؤلفات الليبية المطبوعة في الأدب الحديث للدكتور الصيد أبو ديب والتي صدرت في عام 2006 م.[3]

المنهج المتبع في الدراسة:

إن المنهج المتبع في الدراسة والتي أنتهجه الباحث هو "منهج التحليل الفاعلي" وهو منهج معاصر ظهر لحيز الوجود في عام 1992 م، وهو نتاج فكري لعالم عربي سوداني هو الدكتور الشيخ محمد الشيخ، وهو منهج أدبي يسعى لمعالجة النصوص الأدبية بالنقد والتحليل والعرض للكشف عن مواطن الجمال والإبداع فيها وإظهار فاعليتها الأدبية، ولكن قبل الحديث

---

1 - أنظر الصديق أبوبوارة، الرواية الليبية، من (الحمة) خليفة حسين مصطفى إلى (ثعبنة) إبراهيم الكوني، الهوية الحائرة، مقال منتدى القصة العربية، الأدبي الحديث، الرواية، شبكة المعلومات الدولية الانترنت.

2 - د. علي بركاته، الرواية الليبية، مقاربة اجتماعية، ص 67.

3 - أ. د الصيد أبوديب، معجم المؤلفات الليبية المطبوعة في الأدب الحديث، أصدرت مجلس الثقافة العام، الجماهيرية، طرابلس، الطبعة الأولى، 2006 م، ببليوغرافيا الروايات الليبية المطبوعة (1956 – 2000) من ص 155 – 171.

عن هذا المنهج منهج التحليل الفاعلي سنتحدث أولاً عن الأسباب التي أدت إلى ظهور منهج التحليل الفاعلي على سطح الساحة الأدبية والنقدية المعاصرة، حيث نجد للمؤلف نظرة خاصة فيما يتعلق بالنص الأدبي وحقوله النقدية وتقسيم العقل الإنساني، فمنذ أقدم العصور بتاريخ الإنسانية تم التعامل مع النص الأدبي بأشكال ومفاهيم مختلفة وأفكار وفلسفات متباينة، وهذا ما يقوله مؤلف منهج التحليل الفاعلي في معرض حديثة عن الدوافع الأساسية والتي دعته لدراسة النظريات الأدبية السابقة وتتبع مراحل تطورها من خلال الحديث عن النص الأدبي وأزمة الهوية، ومن ثم محاولة إطلاق منظومة فكرية النص الأدبي بشكل جديد وأكثر فاعلية.[1]

للنص الأدبي طبيعة مزدوجة، فالنص الأدبي يقدم لنا معرفة عن اللغة وجمالياتها وهو في نفس الوقت يقدم لنا معرفة تعبرُ عنها اللغة هي معنى النص أو الدلالة. هذه الازدواجية في طبيعة النص الأدبي خلقت إرباكاً ومأزقاً بالنسبة لنظريات الأدب ومناهج النقد الأدبي.

ومن هذا المنطلق يؤكد الشيخ أن هناك أزمة فكرية تتعلق بمفهوم النص الأدبي من حيث هو خطاب موجه بلغة لها مدلول، فالسؤال هنا هل نتعامل مع هذا الخطاب النصي كونه لغة مجردة بنحوها وقواعدها وبلاغتها من الناحية اللغوية أم أننا نتعامل مع مدلول هذه اللغة بمعانيها ومضامينها التي تدل عليها اللغة ؟. فالشيخ هنا في معرض حديثه عن النص الأدبي وإشكالياته يتفق في الطرح مع الكثير من المفكرين والنقاد العرب، ولعل من أبرز النقاد الذين تناولوا أزمة النقد وتحدثوا عن إشكالية النص الأدبي فيها في العقدين الأخيرين من القرن الماضي المفكرة والأديبة اللبنانية الدكتورة يمنى العيد حيث ألفت كتاباً يتناول أزمة النص الأدبي.[2]

لقد شكل هذا الكتاب – في معرفة النص ليمنى العيد – أرضية صلبة للشيخ محمد لإطلاق نظرية حول الفاعلية تقول يمنى العيد ((ومن هنا أستطيع القول بأني أحاول النظر في

1 - انظر د. الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب نحو نظرية جديدة للأدب، مخطوط، 2001 م، ص 15.
2 - اسم الكتاب (في معرفة النص) منشورات دار الآفاق بيروت – لبنان – 1985 م.

العلاقات الداخلية في النص دون عزله ودون إغلاقه، بل أني ارى إلى النص مستقلاً وأحاول أن أقارب ممارسة هذه الاستقلالية، أنظر فيه كياناً ينتج دلالاته الخاصة، أنظر في متن النص الأدبي في نسيج هذا المتن وفي العلاقات فيه، وأنا في ذلك لا أخفي خشيتي من أن يبقى مفهوم استقلالية النص مجرد كلام ومجرد مفهوم وصفي غريباً في الفعل النقدي وغائباً عن الممارسة).[1]

ومن هنا كانت نقطة البداية فعندما يصبح النص الأدبي مجرد مفهوم وصفي واستقلاله مجرد كلام ويكون عندها النص الأدبي مجرداً من مفهومه نصاً أدبياً، ويكون بحاجة لأدوات نقدية جديدة في محاولة للوصول إلى استقلالية واقعية لا وصفية ((فنحن نتساءل: هل هدف النقد هو إنتاج نص ادبي؟ أي هل إن الأدب هو طموح النقد ؟ فالنقد يواجه مأساته حين يطمح أن يكون نصاً أدبياً[2].

ومن هذا التحليل المنطقي ينطلق الشيخ بنظرية أدبية عن أزمة النص حيث يقول فيها ((فالتحليل الفاعلي بوصفة منهجاً يتمتع ببعض الشفافية في سبر أغوار النص الأدبي، فإنه بذلك يزيد تأكيداً على ثراء الأدب وإمكانياته ربما اللامحدودة في انبعاث الرؤى والنظريات مشكلاً حقولاً للتنوع والاختلاف)).[3]

فالنص أصبح متهماً بعدم استقلاليته وخضوعه للتبعية حسب أهواء المدارس النقدية، فالنص غير برئ في أعين الكثيرين، ومنهم الناقد المغربي الدكتور سعيد يقطين فهو يقول في هذه السياق "النص غير برئ، هذا ما نتحدث عنه دائماً بأشكال متفاوتة الفهم والتقويم".[4]

---

1 ـ د. يمنى العيد، معرفة النص، دار الافاق بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 1985 م، ص 4.
2 ـ المرجع السابق، ص 11.
3 ـ الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب، ص 17.
4 ـ د. سعيد يقطين، القراءة والتجربة حول التجريب في خطاب الروائي الجديد بالمغرب، منشورات دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1985 م، ص 89.

وعلى صعيد آخر متصل حاول الكثير من المفكرين والنقاد رأب الصدع في فهم النص الأدبي عن طريق النقد الأدبي بتنوع مدارسه منذ أرسطو مروراً بالشكلانيين الروس وحتى يومنا هذا، ولعل من أبرز المحاولات لتقريب وجهات النظر المختلفة في هذا المجال ظهور مدرسة البحث الأسلوبي. ففي السبعينات من القرن العشرين أصبح البحث الأسلوبي ينظر إلى النص نظرة نقدية شاملة تؤكد دراسة خصائص الأسلوب والصور الشعرية والنعوت والمجازات والإيقاع وما فيه من جناس وأصوات، وعلى النظام ولغة الشعر وعلى الغموض وتوظيف الأساطير والحكم والأمثال وغير ذلك مما يستوعب من مباحث البلاغة ويتجاوزها إلى مكتشفات الألسنية.[1]

ومن خلال العرض السابق يتضح لنا أن الجميع يبحث عن مفهوم واضح لمعنى النص الأدبي ويحاول أن يضعه في إطاره الصحيح بكل ما تحمله الكلمة من معنى وما نظرية التحليل الفاعلي إلا إحدى المحاولات التي تسعى جاهدة لفهم إشكالية النص الأدبي ومحاولة الوصول إلى مستوى من الفهم الصحيح اعتماداً على الجهود السابقة لها من أطروحات المفكرين والأدباء والنقاد، ومن هنا فإن تحديد تعريف جامع مانع للنص عملية ليست سهلة إذا لم تكن مستحيلة إلى حد ما.[2]

ولكن يمكننا الوقوف على مفهوم لهذا المصطلح إذا لجأنا إلى جهة معرفية تتبنى هذا المفهوم ففي النقد الأدبي عموماً يكون تعريفه فضفاضاً إذ لا يعني أكثر من أنه الكلمات الموجودة على الصفحة بعناصره السياقية والتاريخية التي يفترض أن تحيط به.[3]

فالكل يؤكد على وجود أزمة هوية بالنسبة للنص الأدبي فلنقلها بصراحة أن النقد الأدبي المعاصر تعوزه المفاهيم النقدية كي يخرج من وضعيته الوصفية والرؤيوية أو كي يتغلب

1 - أنظر فرحان بدوي الحربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، دراسة في تحليل الخطاب، مجد المؤسسة الجامعية والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى، 2003، ص 12.
2 - أنظر المرجع السابق، ص 35.
3 - أنظر المرجع السابق، ص 35.

عليها، كي يتجاوزها إلى ما هو بحث عملي وشغل ينتج معرفة بالنص، أمام هذه الوضعية ما الذي يجدينا ؟ هل يجدينا نقل المفاهيم وتكرارها ؟ أم التورط في التنظير بالقفز فوق النص الأدبي؟.[1]

ومن الأسباب المؤثرة في ظهور هذه النظرية ما سماه الشيخ بمأزق بنية الثقافة الغربية وفي هذا المعرض يقول الشيخ ما فحواه أن مأزق بنية الثقافة الغربية يتمثل في وجود بديهية لا مفكر فيها، هي أحادية بنية العقل، ترتب عليها أن أصبحت الثقافة الغربية تدور في حلقة مفرزة الثنائيات: التمركز حول العقل أو الذات، والتمركز حول المادة أو الموضوع، ثم رفض كل ذلك واتخاذ موقف "لا أدري".[2]

إن عدم تجاوز الثنائية وما ترتب عليه من تحولات معرفية وإرباك على عدة مستويات أنظمة معرفية ليست نظرية الأدب إلا واحدة منها، ويرجع في التحليل النهائي إلى وجود بديهية لا مفكر فيها من قبل العقل الغربي عملت على حصر التحولات المعرفية في إطار حلقة مغلقة من المادية والمثالية والشك، تعيد إنتاج نفسها باستمرار.

تتمثل هذه البديهية في أنه بداية من ديكارت مروراً بكانط، فرويد، ليفي شتراوس وجاك لا كان ثم دوماً النظر أو افتراض أن العقل البشري يتكون من بنية واحدة، لعل ذلك واضح تماماً من خلال الجهاز النفسي الذي اقترحه فرويد – الهو، الأنا، الأنا الأعلى – فهي جميعها مكونات بنية عقل واحدة، يترتب تلقائياً على بدهية أو فرضية احتواء العقل البشري على بنية واحدة من الخيارات التالية:

1 – أن تكون المعرفة انعكاس الوجود المادي في عقولنا.

2 – أن تكون المعرفة نتاج فعل عقولنا.

---

1 - أنظر يمنى العيد، في معرفة النص، ص 21.
2 - أنظر الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب، ص 58.

3 – الشك.

لذا فإن أي محاولة لتجاوز الثنائية لن تتحقق إلا من خلال توسيع وتعديل البديهية المولدة لنسق التحولات المعرفية في فضاء الثقافة الغربية، بدون ذلك لن نستطيع التوصل إلى القول بأن المعرفة ناتج علاقة لإنسان بالوجود العام. [1]

لذا لم يكن ممكناً إيجاد حل لهذه المشكلات لوجود سببين الأول يتمثل في وجود وسيادة بني للعقل متدنية الفاعلية يكمن السبب الثاني في انطواء كل من فضاء الثقافة العربية والغربية على وعي قصور، ووعي القصور هو الوعي الذي يقذف بمرجعية الفاعلية السببية – حينما يستكنه الظاهرة – خارج نسقها وعلى وجه التحديد خارج الذات وأحياناً خارج الكون، ويستدمج فرضية أحادية بنية العقل، ويشتمل وعي القصور على بعدين يتعلق البعد الأول بوعي خطي (جزئي) للسببية فحواه أن "يظل كل جسم قاصر بذاته عن تبديل حالته مالم تؤثر عليه قوة خارجية " وهذا هو المحتوى الفيزيائي لقانون نيوتن الأول للحركة، الذي يعرف بمبدأ القصور، أما البعد الثاني لوعي القصور يتعلق بتركيب العقل يتمثل في استدماج فرضية أحادية بنية العقل، هذه الفرضية أو البديهية اللامفكر فيها تجعل أيضاً من العسير وعي الفاعلية، ذلك أن فضاء الفاعلية لا يتأتى إلا من خلال حراك بنيات العقل. [2]

إن انطواء كل من فضاء الثقافة الغربية وفضاء الثقافة العربية على وعي القصور لا يعني أنهما متشابهان أو متماثلان من حيث علاقتهما بالقصور، ذلك أن القطيعة المعرفية التي حققها فضاء الثقافة الغربية مع الفكر الخرافي والغيبي أهلته إلى تجاوز المفهوم الكلاسيكي للسببية ومكنه ذلك من إنتاج العلم والتكنولوجيا، لذا يمكن القول أن كثافة القصور في فضاء الثقافة العربية ذات بعدين، بينما هي ذات بعد واحد في فضاء الثقافة الغربية، هذا يعني أن فضاء الثقافة العربية ينطوي على كثافة قصور أكبر(ومن ثم فاعلية أقل) بالقياس لفضاء الثقافة

1 - أنظر المصدر السابق، ص 51.
2 - أنظر المصدر السابق، ص 59.

الغربية، وبالطبع لا يعني احتواء الفضاء الثقافي على كثافة قصور أكبر من أنه خال من الإبداع والمبدعين، بقدر ما يعني وجود معوقات وضغوط اجتماعية واقتصادية وإيديولوجية أكبر في وجه الإبداع والمبدعين الأمر الذي يؤدي إلى تباطؤ معدلات النمو والنهضة الحضارية ويكرس التخلف.[1]

وصف منهج التحليل الفاعلي:-

تعريف المنهج: يعرف منهج التحليل الفاعلي بأنه ((القدرة على إنتاج وإثراء الحياة الإنسانية جمعاء، بل الحياة جميعها)).[2]

ويعرف أيضاً بأنه ((منهج يعني بعلاقات الفاعلية، يعنى بالبحث في ديناميات نمو وتفاعل بنيات العقل من خلال الاستجابة لتحديات الوجود الاجتماعي والحضاري)).[3]

وهناك تعريف آخر للفاعلية وهو ((تحليل أنطلوجي – أبستملوجي وفقاً لشروط ابتناء الفاعلية، بمعنى أنه حينما تتدنى فاعلية الظاهرة الإنسانية يتسنى تفسيرها ومعالجتها انطلاقاً من شروط الحياة المادية "العالم" أما إذا ارتقت فاعليتها عندها يتجلى الدور التأسيسي للوعي ويتسنى انخراط الذات في صناعة الحقيقة والتاريخ)).[4]

- المنهج : للمنهج أكثر من تعريف أولهم " أنه إجراء يستخدم في بلوغ غاية محددة" وأيضاً " وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة " ومنها تعريفات " رونز" " أساليب معروفه لنا تستخدم في عملية تحصيل المعرفة الخاصة بموضوع معين"[5].

---

1 - أنظر المصدر السابق، ص 60.
2 - المصدر السابق، ص 10.
3 - المصدر السابق، ص 10.
4 - المصدر السابق، ص 10.
5 - أنظر إلى / محمد محمد قاسم ، المدخل إلى مناهج البحث العلمي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان الطبعة الأولى، 1990م/ ص 52.

ويقسم الشيخ العقل في نظريته إلى ثلاث بنى:

1 – بنية العقل التناسلي:

في هذه البنية العقلية يهي المستنمع لها على الصعيد السيكولوجي ذاته ككائن تناسلي وظيفته ودوره في الحياة التناسل، وعلى الصعيد الاجتماعي تكون القرابة وصلات النسب هي عصب البناء الاجتماعي، وعلى الصعيد المعرفي تكون الفاعلية السببية خارج الذات بل خارج الكون، وعلى مستوى نظام القيم فإن بنية العقل التناسلي تحدد معنى الحياة، الموت، الإنسانية، الشرف، العقل على النحو الذي يحفز كل فرد من أفراد المجتمع على أن ينجب أكبر عدد من الأطفال، ((الهدف النهائي من الحياة بالنسبة للكائن التناسلي هو أن يكون أسرة وأن ينتج أطفالاً، ويكون ولاؤه للأسرة أكبر من ولائه للوطن وأكبر من ولائه للعقيدة، ويكون بذلك الزواج غاية الحياة وليس وسيلتها، والشرف عنده هو شرفه الجنسي وليس شرف الوطن أو العمل أو العقيدة)).[1]

أما برامج عطاء هذه البنية فينحصر على الفرد والأسرة وربما العشيرة لذا فهي بنية مغلقة أي أن برنامجها للعطاء مغلق ومحدود، ويخول استغلاق بنية العقل – وهو ناتج عن تدني الفاعلية – استغلال واضطهاد واحتقار من هم خارج الحدود بنية العقل التناسلي ويتم ذلك بحجة التفوق الديني أو العرقي أو الحضاري، فمتى ما وجدنا شخصاً يدعي أن دينه أفضل من دين شخص آخر أو أن عرقه أفضل من عرق شخص آخر، يكون ذلك دلاله على استغلاق بنية عقله ويكون ادعاؤه مسوغاً له لسحب بساط العدل والمساواة من تحت الآخر بغية استغلاله واضطهاده والنتيجة أن المصدر الأساسي للشر في العالم هو استغلاق بنية العقل.[2]

1 - أنظر عبدالرؤوف بكر السيد، النص الأدبي الاستيلاب والفاعلية، منشورات جامعة سرت، الطبعة الأولى، 2008 م، ص 112.
2 - أنظر المرجع السابق - ص 112.

أما آلية ضبط هذه البنية فتتكون من عدة إجراءات:

1 – إعداد المرأة حتى تقبل بأن دورها الوحيد في الحياة هو الإنجاب، ويتم ذلك بتبخيس عقلها وتقديس أنوثتها، بل إن غشاء البكارة يحمل دون عناء شرف قبيلة بأسرها.

2 – يعد الرجل بحيث يتطابق مفهوم الرجولة مع الفحولة.

3 – تحريم الحب والجنس قبل وخارج مؤسسة الزواج وربما كان الكبت والحرمان الجنسي في ظل السلطة الأبوية شبه المطلقة من أنجع الوسائل التي تتخذها بنية العقل التناسلي في هذه المجتمعات من أجل ترويض الشباب والشابات وإرغامهم على القبول من أن الهدف من الحياة هو تكوين الأسرة.

4 – جعل يوم الفرح الأساسي وربما الوحيد في حياة المرء يوم العرس وإذا كان لابد من يوم ثان للفرح فهو يوم الختان. [1]

2 – بنية العقل البرجوازي:

تنشأ هذه البنية حينما يحقق المجتمع درجة من التطور والسيطرة على البيئة فيزداد تعداد السكان وتكتظ المدن بالبشر فيتقلص هاجس الافتراض، وينشأ هاجس جديد هو تحقيق الأمن الغذائي لملايين الأفواه الجائعة، عندها تبدأ في النمو والتشكيل فيعي الإنسان ذاته ككائن اقتصادي وظيفته ودوره في الحياة يتمثل في إنتاج واستحواذ الخيرات المادية وذلك بعد أن تستنفذ بنية العقل التناسلي مهمتها الحضارية فتوفر البشر كمياً، ولكن سيادة بنية الوعي البرجوازي لا تعني إلغاء التناسل ولكنها يمكن أن تسلع الجنس. [2]

أما خصائصها التكوينية فعلى الصعيد السيكولوجي يعي البرجوازي ذاته بوصفه كائناً اقتصادياً وظيفته ودوره في الحياة جمع المال وعلى الصعيد الاجتماعي نجد أن علاقات الإنتاج هي التي تشكل نسيج البناء الاجتماعي، أما على الصعيد المعرفي فنجد أن مفهوم المادة

---

1 - أنظر الشيخ محمد الشيخ، التحليل النفسي والأدب، ص 86.
2 - أنظر عبدالرؤوف بكر السيد، النص الأدبي، ص 114.

كأيديولوجية قد ساعد في طرح فروض مادية حينما يسائل البرجوازي الواقع، وهي فروض بطبيعة الحال قابلة للمحاكمة التجريبية، فتمكنت هذه البنية من إنتاج العلم والتكنولوجيا، وعلى صعيد نظام القيم انتقلت مرجعية نظام القيم من الجنس والتناسل إلى المال والاقتصاد بحكم سيطرتها على البنيتين الأخريين، فأصبح الشخص المقدر والمحترم اجتماعياً هو الثري وليس العالم أو الفحل فينبع إحساسه بعظمته وقيمته كإنسان من خلال الأشياء المادية التي يملكها وليس من إنسانيته.[1]

وأما برامج عطاء هذه البنية فهو محدود بحكم استغلاقها، فلا يستطيع البرجوازي أن يحب كل الناس بل في مقدوره أن يتعدي ويستغل ويقتل، وطبيعة نظام التعقل السائد هو الاستحواذ وليس العطاء، أما آلية ضبطها بعد توفر شروط التراكم الابتدائي لرأس المال والتطور والتقني فهي خلق احتياجات وهمية بغية تلبيتها، إضافة آليات ضبط متعددة منها الخشن مثل السجن والمصحة العقلية ومنها المعرفي الناعم المتمثل في آلية التعقل التي تستبعد كل إحالة للبشر بوصفهم القوة الفاعلة المحركة للصيرورة الاجتماعية، وتقف دعوى موت الإنسان الخلاق ونهاية التاريخ شاهداً على أن الرقابة مستدمجة ضمن آلية التفكير.[2]

3 – بنية العقل الخلاق:

وهي البنية التي يعي الإنسان من خلالها ذاته بوصفه كائناً خلاقاً نشطاً وظيفته ودوره في الحياة هي "الفاعلية" الحب والإبداع والعطاء الشامل وبث الحياة فهذه البنية لم تسد عبر تاريخ البشرية لكن تم الاستعانة بها في فترة النهضة الحضارية بالنسبة للحضارات المختلفة، بل أن ممثلي هذه البنية موجودون من حولنا، أقلية ولكنهم موجودون من مصلحين اجتماعيين وأدباء وعلماء ومفكرين وفنانين وحتى أناس عاديين يجمع بينهم مبدأ بسيط هو أن أخلاقهم

---

1 ـ أنظر المرجع السابق، ص 114.
2 ـ أنظر المرجع السابق، ص 115.

أخلاق عطاء وليس استحواذ أنهم قادرون على الحب قادرون على أن يحبوا لغيرهم ما يحبون لأنفسهم.[1]

أما خصائصها التكوينية فهي بنية وعي الفاعلية، وعي الإنسان بوصفة كائناً خلاقاً نشطاً لذا فإن مفهوم الفاعلية يشكل الأبستيمية التي يعمل على ضوءها مكون الدلالة الخلاق، فينعكس ذلك بدوره على بنية الوعي فنتوقع على الصعيد النفسي أن يعي الإنسان ذاته ككائن خلاق وعلى الصعيد الاجتماعي أن تكون المصلحة العامة هي عصب نسيج العلاقات الاجتماعية بمعنى عدم التناقض بين خلاص الفرد وخلاص المجتمع، وعلى الصعيد القيمي أن يشكل الحب والعطاء مرجعية نظام القيم بدلاً من التناسل والمال، أما على الصعيد المعرفي فنتوقع أن يشكل مفهوم الفاعلية نموذجاً إرشادياً للعلوم الإنسانية.[2]

أما برامج عطائها فهي تتحلى ببرامج مفتوحة بمعنى أن الإنسان الخلاق هو شخص قادر على فعل الخير وغير قادر على الاعتداء على الاخرين وظلمهم، فأينما كان هناك حب وإبداع وعطاء شامل فمن المؤكد أننا إزاء إنسان خلاق.

تطبيق المنهج على موضوع الدراسة:

في فصل بعنوان "بنية الفاعلية اللغوية" من كتاب التحليل الفاعلي والأدب نظر الشيخ محمد إلى الأدب وبقية الفنون في إطار التحليل الفاعلي بوصفة نشاطاً خلاقاً اي شكلاً من أشكال الفاعلية، حيث يتم إثراء الحياة الإنسانية جمعاء بما يتأثر النص الأدبي من قدرة على بث الحب والإبداع والعطاء الشامل.[3]

---

1 - أنظر المرجع السابق، ص 116.
2 - أنظر المرجع السابق، ص 116.
3 - أنظر الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب نحو نظرية جديدة للأدب، 2001، مخطوط ص 118.

فعلى الرغم من أن الأدب نتاج لفاعلية الأديب التي تتحقق في فضاء الفاعلية الواقعي، إلا أنه قادر بدوره على توليد فضاء جديد للفاعلية وهو بالضرورة فضاء رمزي أو تخيلي بحكم رمزية اللغة كونها نظاماً للرموز، وبذلك يعرف الأدب والنص الأدبي ((بوصفة بنية فاعلية لغوية تنتمي إلى فضاء فاعلية رمزي أو تخيلي كمقابل وكامتداد لفضاء الفاعلية الواقعي. [1]

وتكون فاعلية النص على ما سبق ذكره من وجود مرونة في حقل جاذبية فضاء الفاعلية التخيلي تسمح للفاعلين – الشخوص الروائية – أن يأتوا بما هو فوق طاقة البشر العاديين فتتلاحق الأسطورة مع الواقع والخرافة مع العلم، ويكون الأدب بذلك قد قام على مستوى الخيال بتوسيع وتمديد فضاء الفاعلية الواقعي، وفي حين يقارب التحليل الفاعلي النص الأدبي فإن الاهتمام ينصب في علاقات الفاعلية داخل النص وأن يكون محور الاهتمام هو تفجير فاعلية النص وليس البحث في معناه أو قصد المؤلف.[2]

وبذلك عند النظر إلى النص الأدبي المراد تطبيق المنهج عليه فإننا نبحث في قوة أو ضعف فاعلية النص وهو أمر يتحدد بقدر ما يتحول النص إلى فضاء تنوع واختلاف. وعند تطبيقنا للمنهج على النص الأدبي فإننا نقوم بتحليل كل من فاعلية بنية الحدث، وفاعلية بنية الشخصية، وفاعلية بنية السرد وهي من وجهة نظر التحليل الفاعلي كالآتي:

1 – فاعلية بنية الحدث: حيث نجد أن البنية تغتني بالتشكيلات الدرامية بقدر ما تتنوع وتتعدد فيها مستويات تنازر بنيات الوعي أي بقدر ما تتنوع وتتعدد مستويات الصراع النفسي والاقتصادي والاجتماعي والوجودي.. الخ لذا يمكن اعتبار تنازر بنيات الوعي هو الفاعلية الذي يؤدي تنوعه وتعدده إلى فاعلية بنية الحدث أو إلى انبناء الفاعلية من بنية الحدث.[3]

---

1 - المصدر السابق، ص 130.
2 - أنظر عبدالرؤوف بكر، النص الأدبي، ص 120.
3 - أنظر الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب، ص 135.

2 – فاعلية بنية الشخصية: فهي تتأتى من خلال آلية نمو الفاعلية، فإن نمو الفاعلية في بنية الشخصية ينشأ من خلال الاستجابة للتحديات التي يفرضها الواقع المعيش (الافتراضي) حينما تتصدع بنية العقل السائدة، ولا تتحقق الحماية المطلوبة للشخصية المعنية ربما من الطفولة المبكرة فيتم الانفلات بمشروع ثم الدفاع عن مشروع، كما تتطلب فاعلية بنية الشخصية أن تتماهى الشخصية الروائية مع بنية عقلها المستدمجة مدافعه عن مشروعها ضد جميع السلطات الخارجية اجتماعية ودينية.. الخ لذا فإن تبني المشاريع والدفاع عنها لا يتم جزافاً – حسب هوى الكاتب أو الراوي – بل تمليه ضرورات آلية النمو.[1]

3 – فاعلية بنية السرد:

وهو يتعلق بما إذا كانت البيئة الداخلية للنص نظراً لما تحتوي عليه من عناصر تتعلق بالمكان والزمان هيئة القص، نمط القص.. الخ تشكل فضاء للتنوع والاختلاف أم لا ؟ أي تشكل فضاء للفاعلية أم لا ؟ عليه تتحقق فاعلية بنية السرد بقدر ما تتنوع وتتعدد الأزمنة والأمكنة والرواة والأصوات... الخ، أما إذا كانت البيئة الداخلية للنص صحراء جرداء لا تنجب إلا صوتاً واحداً وراو واحداً ومكاناً ساكناً ميتاً وزماناً خطياً عندئذ نقول إن النص ضعيف الفاعلية.[2]

فالباحث يقوم بالبحث عن انبناء فاعلية الشخصية من خلال تحليل أحداث وما ينشأ من تنازر (تآزر وتناحر) البني المختلفة في النص الأدبي وما يصاحب ذلك من ارتفاع وانخفاض في فاعلية البني المختلفة.

التعريف بالمصطلحات:

1 – آلية الضبط:

لكل بنية من بنيات العقل خصائص تتعلق بشروط النشأة، وخصائص تكوينية تشرطها آلية التعقل، آلية الضبط، برامج العطاء، فآلية الضبط هي مجموعة من الإجراءات التي تعتقل

1 . أنظر المصدر السابق، ص 136.
2 . أنظر المصدر السابق، ص 136.

البشر في فضاء البنية حتى تحقق البنية السائدة مهامها وأغراضها وآلية الضبط لا تقتصر على هذه الإجراءات فهناك عقوبات وجزاءات قانونية واجتماعية ونفسية تطال كل من يهم بالخروج على برامج البنية.[1]

2 – آلية نمو الفاعلية:

يقصد بها كيفية نمو الفاعلية، الية تطور الفرد أو المجتمع تجاوزاً لمحدودية ومهام كل من بنيتي العقل التناسلي والبرجوازي، إن عملية التجاوز لا تعني إلغاء بنية العقل التناسلي أو البرجوازي بل تعني انضواء إحداهما أو كلتيهما تحت لواء مرجعية أشمل.[2]

أبستمولوجيا:

هي نظرية المعرفة وهي قسم هام من النظرية الفلسفية حيث هي نظرية في مقدرة الإنسان على معرفة الواقع.

4 – انطولوجيا:

هي نظرية الوجود بشكل عام، الوجود بما هو موجود.

5 – بنية:

نسق من العلاقات الباطنة له قوانينه الخاصة من حيث هو نسق يتصف بالوحدة الداخلية والانتظام الذاتي على نحو يفضي فيه أي تغير في العلاقات إلى تغيير النسق نفسه، فالبنية هي ما نعقله بصيغة منطقية من علاقات الأشياء ببعضها.[3]

6 – بنية العقل:

هي النسق أو النواة التوليدية للوعي التي تحدد فكرة الإنسان عن نفسه ومنحنى استجابته لتحديات الوجود الاجتماعي والحضاري.[4]

---

1 - أنظر عبدالرزوف بابكر السيد، النص الأدبي الاستهلاك والفاعلية، ص 235.
2 - أنظر المرجع السابق، ص 236.
3 - أنظر المرجع السابق، ص 240.
4 - أنظر المرجع السابق، ص 240.

7 – التنازر:

مصطلح من كلمتي (تآزر، تناحر) وهو يكشف عن نمو وتفاعل بين بنيات العقل، تفاعل البنيات يعني أنها تتآزر حينما تقدم إحداها استجابة ناجحة للتحدي الأساسي الذي يواجه المجتمع ولكنها أيضاً تتنازع وتتناحر حينما تفشل البنية السائدة في التصدي للمشكلات القائمة، في حالة التآزر يكون البناء الاجتماعي في حالة استقرار، وحينما تفشل البنية السائدة تبدأ البنيتان الأخريان في المنافسة فيتجلى الصراع والتناحر.[1]

8 – الفاعلية:

يقصد بها قدرة الإنسان على إنتاج وإثراء الحياة الإنسانية جمعاء، بل الحياة جميعها.

9 – فضاء الفاعلية:

يحتل مفهوم الفضاء مكاناً مرموقاً في الرياضيات وعلم الفيزياء وتنبع أهمية الفضاء من أنه وفقاً لما له من أبعاد يحدد تركيب الأجسام أو الظاهرات التي تتموضع فيه، ويتكون فضاء الفاعلية من خمس أبعاد هي البعد النفسي، الاجتماعي، التاريخي، البيولوجي، الكيميائي، وبذلك يكون فضاء يسمح بمعالجة كلية لظاهرة الإنسان.[2]

10 – نمو الفاعلية:

يقصد بنمو الفاعلية تجاوز ميام وأغراض بنيتي العقل التناسلي والبرجوازي واحتياز بنية العقل الخلاق.[3]

---

1 - أنظر المرجع السابق، ص 243.
2 - أنظر المرجع السابق، ص 256.
3 - أنظر المرجع السابق، ص 256.

الفصل الأول

فاعلية بنية الحدث في الرواية الثلاثية

المبحث الأول

فاعلية بنية الحدث في رواية سأهبك مدينة أخرى

مما سبق تقديمه في الفصل التمهيدي والذي أشار فيه الباحث الى أنه يتوسل بمنهج التحليل الفاعلي لسبر أغوار الرواية الثلاثية لأحمد إبراهيم الفقيه، وذلك بما يتمتع به هذا المنهج من بحث في علاقات الفاعلية داخل النص الأدبي، وتتبع لنمو الفاعلية لدى الفرد أو المجتمع، وما ينتج عنه من تنازر لبنيات الوعي داخل المجتمع، فالتحليل الفاعلي يهدف الى الكشف عن ديناميات لنمو وتفاعل بنيات العقل (بنية الوعي التناسلي، بنية الوعي البرجوازي، بنية الوعي الخلاق) من خلال الإستجابة لتحديات الوجود أو التطور الاجتماعي[1].

"فما يوحد بين بنية المجتمع وبنية فاعلية واقعية، تكون فاعلية النص الأدبي تخيلية، وبذلك يشكل مفهوم الفاعلية الأرضية الأنطلوجية الرابطة بين بنية المجتمع وبنية الحياة الواقعية من ناحية وبين بنية النص الأدبي من ناحية أخرى"[2].

فحينما يقارب التحليل الفاعلي النص الأدبي فإن محور الإهتمام سوف ينصب على البحث في علاقات الفاعلية داخل النص، ويكون الاهتمام بتفجير فاعلية النص وليس البحث في معناه وفي قصد المؤلف بل أن ما يقصده المؤلف هو تصدير فاعلية وليس تصدير معنى محدد، إذن ينصب اهتمام التحليل الفاعلي في البحث على قوة فاعلية النص أو ضعفها، وهو أمر يتحدد بقدر ما يتحول النص إلى فضاء تنوع واختلاف، كما لا يعنى التحليل الفاعلي بقضية الإحالة على الخارجي المنطقي أو الاجتماعي أو الأيديولوجي. وإذا أخذنا الرواية مثالاً نجد أن البحث في قوة فاعلية النص أو البحث في علاقات الفاعلية داخل النص الأدبي عند فعل القراءة يتطلب العزل أو الفصل الافتراضي لمكونات البناء الروائي:

---

1 - أنظر د. الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي و الأدب نحو نظرية جديدة للأدب، مخطوط 2001م، ص106.
2 - عبد الرؤوف بكير السيد، النص الأدبي الاستلاب و الفاعلية، ص119.

ـ الحدث، الشخصية، السرد والحوار ومن ثم بحث علاقات الفاعلية في بنية الحدث وفي بنية الشخصية وفي بنية السرد [1].

"فالنص الأدبي يصدر من مبدع وليس من فراغ، هذا المبدع يحتاز على بنية وعي ويعيش بنية وعي أخرى في مجتمعه كما أن إحساسه ووعيه بالفاعلية يجعله صاحب رسالة أو مشروع، ولكن هذه الرسالة أو ذاك المشروع تتازر بنيات الوعي لديه لإنجازه أو تتنازعه تلك البنيات ومن خلال هذا التنازر يتشكل المشروع عبر البنية اللغوية المجسدة في النص حاملة لجسد وروح هذا المشروع"[2].

فاعلية بنية الحدث في رواية سأهبك مدينة أخرى:

تدور أحداث رواية سأهبك مدينة أخرى بين مدينة طرابلس الواقعة على ضفاف البحر الأبيض المتوسط شمال ليبيا وبين المملكة المتحدة في النصف الثاني من القرن العشرين، لذا فإن الواقع الإنساني أو الشرط الاجتماعي القائم من وجهة نظر منهج التحليل الفاعلي يتكون من بنية الحدث والتي تشتمل على محورين هما:

1 ـ الإحساس بمرارة الهزيمة الحضارية والقهر الاستعماري.

2 ـ سيادة بنية العقل التناسلي.

لقد كان للاستعمار أثر بالغ في التأثير على حياة عائلة خليل الإمام والمجتمع المحيط بها، فقد كان هذا التأثير متمثلاً في حقول الألغام التي زرعها المستعمر الإيطالي والانجليزي والألماني فوق الأرض الليبية والتي كانت في يوم ما مسرحاً لحرب كونية امتدت على أرضها الواسعة بين قوات المحور بقيادة ألمانيا وبين قوات الحلفاء بقيادة انجلترا وأثر هذه الحرب وما جرته من ويلات على بنية الوعي التي تم غزوها ويتمثل هذا الغزو من خلال ما صرح به والد ليندا العسكري المتقاعد عندما تحدث عن ليبيا حينما كان جندياً في فترة الحرب العالمية الثانية

---

1 ـ أنظر د. الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي و الأدب نحو نظرية جديدة للأدب، ص134.
2 ـ عبد الرؤوف بفكر السيد، النص الأدبي الاستلاب والفاعلية، ص192.

"لم أر من بلادكم إلا الرمال التي كانت تمتد على مدى الأفق وتحيط بنا من الجهات الأربع تتوهج تحت شمس شديدة السطوع والقسوة ساكنة دائماً..... ولذلك فقد كنت أكثر الناس اندهاشاً عندما خذلتنا تلك الرمال وتآمرت ضدنا جاءت تتحالف مع رومل وتمنحه غطاء لأخطر هجوم في حرب الصحراء انتظرنا هجومه ليلاً ثم انتظرناه فجراً وعندما أنقضى الصباح وجاء منتصف النهار وتحركت تلك العواصف الرملية تسد منافذ الدنيا، أدركنا أن الهجوم الذي تأهبنا لإحباطه بات أمراً غير قابل للتطبيق فنسينا رومل وانشغلنا بصد هجوم العاصفة ولكنه في تلك الظهيرة مدفوعاً بقوة العاصفة ومتخذاً من الرمال غطاء لدباباته وجنوده، جاء رومل زاحفاً بجيشه علينا جعل الريح خلف ظهره وجاء يشن بمعاونة الرمال هجوماً كاد يفسد علينا الحرب العالمية كلها، كنا حلفاء بلادكم في الحرب في حين تحالفت رمالكم مع أعدائنا"[1].

لقد كان والد ليندا العسكري القديم بقوات الحلفاء يحدث خليل الإمام عن حرب الصحراء التي دارت رحاها بين دول أوروبية متناحرة يدفعها طمعها وجشعها من أجل مكتسبات جديدة ومستعمرات تضاف الى مستعمراتها السابقة مدفوعة بوعي الفكر البرجوازي الذي يكون في سعي دائم من أجل تحقيق الربح وتركيز رأس المال وفتح أسواق جديدة من أجل زيادة إنتاجية مصانعه وهي قمة النشوة في الفكر البرجوازي، فالنصر بالنسبة للبرجوازي هو إفقار الغير وزيادة رأس مال الذات بغض النظر عن الطريقة التي تمت بها زيادة رأس المال، لقد أثر هذا الغزو والذي قامت به بنية العقل البرجوازي لبنية الوعي التناسلي وكان هذا التأثير جزئياً وشكل نوع من التحدي لبنية العقل التناسلي التي تم غزوها لذا فإن التحديات التي تتطلب استجابة هي التحديات التي تؤدي الى تصدع أو تخلخل البنية السائدة في المجتمع، وعندما تفشل بنية الوعي السائدة في مجتمع ما في معالجة التحدي القائم فإنه في هذه الحالة تتشكل بنية عقل جديدة بديلة وأكثر كفاءة [2].

---

1 - أحمد ابراهيم الفقيه، رواية سأهبك مدينة أخرى، ص55.
2 - أنظر د- الشيخ محمد الشيخ الأدب والتحليل الفاعلي، ص107.

ومن هنا يتضح أن بنية العقل السائدة تتوسط بين التحدي والاستجابة، فلقد كانت بنية العقل السائدة في المجتمع الليبي ولا تزال بنية الوعي التناسلي وكان التحدي متمثلاً في الغزو العسكري الممثل لبنية الوعي البرجوازي إضافة للفقر والجوع وكانت الإستجابة متمثلة في مقاومة هذا الغزو لبنية الوعي التناسلي من خلال مواجهة الغزو بالمقاومة المسلحة والدفاع عن فكر البنية المستدمجة من قبل أفراد المجتمع.

ومن هنا يتضح أن البنية الفكرية التي تم غزوها والمتمثلة في بنية الوعي التناسلي لم يتم غزوها كلية وإنما تم غزوها جزئياً أي أنها لم تتبدل كافة خصائصها النوعية لصالح البنية الغازية وهي بنية العقل البرجوازي، فلقد كان الغزو يمثل التحدي وكانت بنية العقل التناسلي قد واجهت هذا التحدي بطرق مختلفة وهذا ما يسمى بآلية نمو الفاعلية في منهج التحليل الفاعلي والمتمثل في:

أ ـ التحدي.

ب ـ تصدع بنية العقل السائدة.

ج ـ الاستجابة أي مواجهة الواقع.

فهناك نوعان من التصدع أو ما يمكن تسميته بفشل بنية العقل السائدة في مواجهة التحدي القائم وهو كالاتي:

1 ـ تصدع موضوعي.

2 ـ تصدع شبه كلي.

1 ـ تصدع موضعي أو جزئي على نطاق الفرد والأسرة يمهد لنمو فاعلية الفرد وهذا ما حدث مع غزو بنية العقل البرجوازي المتمثل في الغزو العسكري لليبيا وما صاحبها من مواجهة من قبل بنية العقل التناسلي.

2 ـ تصدع شبه كلي لبنية العقل السائدة وهو تصدع يمهد لنمو فاعلية المجتمع وظهور بنية عقل بديلة لبنية الوعي السائدة والتي فشلت في مواجهة التحدي القائم في المجتمع.

على الرغم من الهزيمة العسكرية والتكنولوجية والحضارية التي ألحقها المستعمر ببنية الوعي التناسلي إلا أنه لم يغزها كلياً، أي لم يبدل كافة خصائصها النوعية لأن ذلك يقتضي تحولاً اجتماعياً واقتصادياً وزيادة في الكثافة السكانية تفرز طبقة برجوازية ترتبط مصالحها بالمشروع الرأسمالي، لذلك ظل التناقض والتناحر قائماً بين بنية الوعي البرجوازي وبنية الوعي التناسلي التي تم غزوها وقد ظلت الرغبة في الحاق الهزيمة للمستعمر والثأر للاباء والأخوة الذين حصدتهم الحرب وحقول الألغام التي خلفها المستعمر دفينة تستعر في بنية العقل التناسلي "قضى جزءاً من عمره ماشياً فوق حقول الألغام، يقابل الموت في كل لحظة دون أن يجرؤ الموت على الاقتراب منه، كانت حقول الألغام التي تركتها الجيوش المتصارعة في أثناء الحرب العالمية الأخيرة تملأ الصحراء، حيث كان الناس الذين تضيق بهم مجالات الرزق الأخرى يشتغلون بتفجير قنابلها وبيع حديدها لوكالات تجارية تتنافس على شراء الحديد وتصديره الى الخارج، وما أن ينتهي العمل في حقل من الحقول حتى ينتقل بنا الى مناطق أخرى وحقول لم تنفجر بعد، كان سيد نفسه لم يرض أن يخدم أجيراً لدى احد وفي حين كان يعز العمل وتضيق فرص الرزق، فإن رزقه ظل جاريا ينتزعه انتزاعاً من بين مخالب الموت وكنا ننتقل من بادية الى أخرى حيث تنتشر المناجات في كل مكان نذهب إليه لأن إنساناً ما أكلته الألغام، وكانت أمي تجلس باكية في خيمتها تنتظر خبراً فاجعاً كلما سمعت لغماً ينفجر الى أن جاء الخبر ذات عشية وعقب انفجار هز الأرض كالزلزال لان حقلاً يعمل به والدي قد تفجر بكامله وأن أشلاء الضحايا تمزقت وتناثرت في كل مكان، وبات من المتعذر التعرف على هوية

الموتى توافد على بيتنا المعزون وارتفعت عقائر النساء بالنواح يمزقن أثوابهن وينبشن أظافرهن في وجوههن حتى تنبجس منها الدماء"[1].

تحت هذه الشروط السالفة الذكر ماذا نتوقع من طفل نشأ وترعرع في ظل الخوف والفقر والطفولة البائسة، وفي ظل سعي والده الدائم للبحث عن قوته اليومي وسط حقول الألغام التي زرعها المستعمر في صحراء بلاده الشاسعة ؟ إننا نتوقع منه أن يصبح أكثر حساسية تجاه الظلم الذي لحق بأهله وعشيرته ولا تستقيم حياته إن لم يثأر لهم ويلحق العار والهزيمة بأعدائهم، عندما سافر خليل الإمام الى المملكة المتحدة لاستكمال دراسته ذهب غازياً لتلك البنية البرجوازية انتقاماً لبنية مجتمعه التناسلية والتي الحقت بها بنية الوعي البرجوازي الهزيمة فالمطلوب أن يلعب خليل الامام دور الغازي لبنية العقل البرجوازي والتي سبق وأن غزت بنية مجتمع خليل الامام من قبل، وبما أن قمة الانتصار في بنية العقل البرجوازي والتي يمثلها المستعمر الغربي هو الاستحواذ على مال وخيرات البنية التي تم غزوها وافقارها فإن قمة الانتصار بالنسبة لبنية العقل التناسلي والتي يمثلها خليل الامام هي الاستحواذ على أكبر عدد من النساء بدون زواج وبما أن قمة الهزيمة لبنية العقل البرجوازي هو افقراها فإن قمة العار والهزيمة بالنسبة لبنية العقل التناسلي هتك واستباحة اعراض الأخرين، لذا فقد ال خليل الامام على نفسه أن ينال من البريطانيات وأن يضاجع أكبر عدد منهن بلا زواج لأن الزواج يهزم المهمة التي هو من أجلها نذر نفسه، واستطاع خليل الامام اغواء اعداد هائلة من البريطانيات مستخدماً كل نبوغه وثقافته الواسعة متوسلاً بموضوع رسالته والتي مضمونها يدور ((حول العنف والجنس في الف ليلة وليلة)) وهو محور بنية العقل التناسلي التي يمثلها خليل الامام والتي يستخدمها كشرك للإيقاع بأكبر عدد من الانجليزيات في حبائله العنكبوتية والتي حاكتها بنية الوعي التناسلي لينتهي بها الى مخدعه ويحقق بذلك النصر الكبير على بنية العقل البرجوازي وهذا يذكرنا بمصطفى في رواية (موسم الهجرة الى الشمال) للمبدع السوداني

---

1 - أحمد ابراهيم الفقيه، رواية ساعة سنونة أخرى، ص 70.

الروائي المرحوم الطيب صالح عندما تحدث عن مصطفى والذي استخدم كل نبوغه للإيقاع بالانجليزيات وابهارهن بالشرق العظيم وما يحويه من أساطير وروائح البخور حتى ينال مبتغاه وهذه الرواية أي موسم الهجرة الى الشمال محكومة بمنهج التحليل الفاعلي وذلك لتشابه كلا الروايتين وتشابه مصطفى وخليل الإمام من حيث أنهما تصدران عن بنية واحدة وهي بنية العقل التناسلي، "أنه يكتب رسالته عن الليالي العربية، يدخلني هذا التقديم دائرة الاهتمام والفضول ويحيطني بشيء من وهج الأسطورة العربية وسحرها، وأسمع سؤالاً عن الجانب الذي أخترت دراسته، فأجيب بصوت يلونه الأداء المسرحي:

- عن العنف والجنس.....

- يبدو غريبًا هذا الحديث عن العنف والجنس في الف ليلة وليلة.

فأقدم لها الجانب المسكوت عنه والذي لا تقوله حصة الأطفال في التلفاز ولا تعترف به مقررات المنهج المدرسي، الملك الذي يعيث كل ليلة بصبية من صبايا مدينته، يقطف بكارتها ثم يقطع رأسها وأنقل لها تفاصيل المشهد الافتتاحي للكتاب عندما نلتقي بأولى ولائم الجنس والدم، أجساد عارية تتعانق وسط أحواض الماء، والملك الذي يدخل شاهرًا سيفه معلنًا نهاية الحب وبداية الموت، عنف وجنس وحديث يتكسر به جليد اللقاءات الأولى، ليسهل بعد ذلك العبور الى مخادع النساء المنبهرات بشرق الخرافات"[1].

وهكذا فلقد كان خليل الإمام متفانيًا في أداء رسالته المقدسة وكان يظن بانه الحق هزيمة نكراء بالإنجليز الذين لا شك بانهم سوف يمزقونه اربًا عندما ينكشف لهم مدى العار الذي الحقه بهم، إن موضوع دراسة خليل الإمام العنف والجنس في ألف ليلة وليلة كان صوتًا صادقًا في التعبير عن بنية الوعي التناسلي فهو يمثل هذه البنية من الناحية الدلالية من حيث الواقع والأحداث ومن ناحية لغوية متمثلاً في القاموس الذي يحوي كمًا هائلاً من الكلمات التي تعبر عن الجنس والتناسل والتي يمثلها الجسد في المفهوم العام في بنية الوعي التناسلي، بل أن خليل

---

1 - المصدر السابق، ص11.

الإمام ذهب الى أبعد من ذلك في تفسير اللغة من وجهة نظر بنية العقل التناسلي فهو يفسر بيتاً لعنترة العبسي من خلال مفهوم بنية الوعي التناسلي ((ولقد ذكرتك والرماح نواهل - مني وبيض الهند تقطر من دمي، لعلك تنبيت الى ما ينضح به البيت من عنف وجنس لكي تدرك أن الموضوع الذي أخترته لرسالتي لم يكن عبثاً..... إنك لو تأملت البيت بعيني ناقد يعتمد مدارس التحليل النفسي لوجدت أن للرماح التي تنهل من الجسد والسيوف البيضاء التي تقطر دماً والتي يذكرها الشاعر بتلذذ وهو يتذكر فم معشوقته معاني جنسية لا سبيل الى إنكارها ولو تأملته بعيني ناقد يعتمد المدارس البنيوية لوجدت أن لكلمات ذكرتك وتقطر ودمي ونواهل ومني ورماح فيضاً من التداعيات الجنسية التي تجعل من رعشة الحرب ورعشة الجنس شيئاً واحداً"[1].

إن ألف ليلة وليلة في حد ذاتها تعبير صادق عن الفكر التناسلي الصرف لكل ما تحمله الكلمة من معنى فهي مجموعة قصصية تبدأ بولائم الدم والقتل وتكون وفية لبنية العقل التناسلي، بحيث تكون هذه الليالي تناسلية صرفة، فالقصة تولد تناسلياً من رحم القصة السابقة وفي انتظار ولادة قادمة أخرى مع شهرزاد، وهكذا فإن حكايات ألف ليلة وليلة تتكئ على عكاز الوعي التناسلي من حيث الفكر والأهداف ومن ناحية الدلالة واللغة، وموضوعها كان السبيل الوحيد أمام خليل الإمام لعبور المسافات واختراق بنية الوعي البرجوازي لأن خليل ابن هذه البنية (بنية العقل التناسلي) والوفي لها، والعارف بمجاهلها لذا فقد كانت هذه الدراسة عن الليالي وسيلة لغزو بنية العقل البرجوازي، ومحاولة أخرى منه للثأر أو لشيء من ذلك القبيل.

الموت وعلاقته ببنية الوعي التناسلي وارتباطه ببنية الحدث:

كان خليل الإمام منسجماً مع طبيعة بنية وعيه التناسلي فيما يتعلق بالموت والفراق، فكما نعلم أن بنية العقل التناسلي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالموت والفراق من حيث خصائصها النوعية والتكوينية، فلقد نشأت بنية العقل التناسلي في المجتمعات

---

1 - المصدر السابق، ص 44.

المتخلفة والعاجزة عن السيطرة على صحة البيئة ومواجهة ويلات الطبيعة والكوارث المختلفة من أمراض فتاكة وغيرها على النحو الذي يزيد من معدلات الوفيات داخل المجتمع ولا يكون من سبيل لدرء خطر الموت وتحقيق الأمن البيولوجي إلا من خلال تحفيز كل فرد من أفراد المجتمع على انجاب أكبر عدد من الأطفال لمواجهة شبح الموت، ومن هنا تعي غالبية أفراد المجتمع ذواتها ككائنات بشرية تناسلية لمواصلة المسيرة الإنسانية والتي دورها ووظيفتها في الحياة التناسل، وهذه البنية تتمثل في البلدان الفقيرة المتخلفة والمعروفة بالبلدان النامية أو بدول العالم الثالث[1].

إن القتل والموت مرتبط بهذه البنية بنية الوعي التناسلي وخاصة فيما يتعلق بجرائم الشرف فكما نعلم أن هذه البنية على مستوى نظام القيم يمثل فيها الشرف معنى من أهم معاني الحياة، وإن قمة الانتصار في فضاء بنية العقل التناسلي كذلك الهزيمة يكون الانتصار أو الهزيمة الجنسية، و المقصود بالشرف هنا في هذه البنية تحديداً الشرف الجنسي وليس شرف الوطن أو العقيدة، ومن هنا تكون عقوبة الاعتداء على هذا الشرف الموت وذلك بقتل الجسد لما له من دلالة جنسية في فضاء العقل التناسلي، وهذا ما لاحظته ساندرا في شخصية خليل الامام عندما جسد أمامها شخصية عطيل فوق خشبة المسرح عندما قالت له:

"من أين جاءتك هذه القدرة على تقمص دور القاتل؟

يبدو أنني لم أتحرر من ميراث ذلك الإنسان البدائي الذي كان يخوض صراعاً قاسياً من أجل البقاء فلا يجد غير القتل واستخدام العنف سبيلاً الى ذلك، إن هذا الجانب المظلم من نفسي يبقى مقموعاً حتى يجد فرصته للتنفيس عن طريق التمثيل"[2]

---

1 - أنظر/ الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي و الأدب، ص82.
2 - أحمد ابراهيم الفقيه، رواية ساعتك مدينة أخرى، ص110.

ومن قبل كان الأمر مشابهاً مع ليندا عندما وصلت علاقتها مع خليل الإمام الى نهايتها المحتومة المتوجة بالفشل فما كان من خليل الإمام إلا أن كان وفياً لبنية عقلة التناسلي وهو يعبر عن مشاعره تجاه ليندا بقوله "قوة تتلبسني وتدفعني لأن أرتكب أي حماقة في حقها الآن أن اقذف بها فوق الأرض وأدوس بأقدامي كل جزء من جسمها حتى لا تقوى على الوقوف..... أن أطوق عنقها بأصابعي وأخنقها حتى تسقط كما سقطت ديدمونه جثه بلا حراك هذه الأفكار المجنونة التي تريدني أن أقتلها وأصنع من رمادها قدحاً أملأه خمراً أعاقرها مدى الحياة"[1].

وهنا يشير خليل الإمام الى تصرف قديماً في التاريخ العربي صدر عن الشاعر العباسي دعبل الجن الحمصي عندما قتل عشيقته وشرب فوق جثتها الخمر وهذا يوضح مدى ارتباط بنية العقل التناسلي بقضية الموت والفراق[2].

وهذه النزعة والرغبة في القتل نجدها فيما بعد ماثلة في علاقة خليل الامام بسانترا والتي كان يتمنى أن يقتلها لأنها كانت تقيم علاقات جنسية مع الكل دون أن تضع اعتباراً لعلاقتها مع خليل الإمام والذي أعتبرها خيانة في حقه واحتقاراً لرجولته في ظل فكر بنية الوعي التناسلي، وهي الخيانة العظمى والتي تكون عقوبتها الموت فلا السجن ولا النفي يمثلان عقوبة رادعة وإنما إفناء الجسد الذي يمثل التناسل في بنية الوعي التناسلي، إن هذا الشخص القاتل والذي لا يعرفه إلا خليل الإمام ما هو إلا شخص وفي لبنية العقل التناسلي، فخليل الإمام يحاول أن يهرب من هذا الشخص القابع في داخل بنية عقله الباطن التناسلي ولكنه لا يستطيع الفرار لأنه جزء منه يحمل كل الخصائص الوراثية في بنية الوعي التناسلي "أضرب في الشوارع تائهاً هارباً من إنسان لا أعرف كيف أهرب منه، لأنه يقيم في دمي ويحتل جانباً مظلماً من نفسي هذا الكائن المجبول من طين السنين العجاف ورماد أزمنة الجفاف والقحط وبقايا الجحيم المتفجر في حقول الألغام وبكاء النساء الذاهبات في مأتم الموت الفجائي يفتك بالإنسان الاخر..... أستحضر

---

1 - المصدر السابق، ص129.

2 - ديوان دعبل الجن الحمصي عبد السلام بن رغبان 161- 236هـ جمع وتحقيق ودراسة، مظهر الحمي ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق – سوريا، 2004.

صورة ليندا وهي تهرب مني تندمج مع ملامح آن بولين وهم يضعون رأسها تحت المقصلة.... وأرى ليندا مرة أخرى في صورة أو فيليا وهي تطفو فوق البحيرة تغمر جسمها الأعشاب والزهور الميتة وأراها في صورة ديدمونة وهي ترتمي مخنوقة فوق سرير حبها"[1]

إن ساندرا والتي خانت خليل الإمام صدر بحقها قرار بالموت ولكنه كان قرارًا مع وقف التنفيذ لأن المجتمع الذي يحيا فيه خليل الإمام هو مجتمع برجوازي لا يرى أي حرج في ممارسة الجنس خارج إطار مؤسسة الزواج وهذا ما جعل خليل الإمام يقف مكتوف اليدين وهو يرى المرأة التي أحب تخونه علانية دون خوف أو وجل "موجة من الذعر داهمتني وأنا أجد نفسي أفكر فيما لو أنني فعلاً وقفت الآن خلفها وأطبقت بأصابعي بغتة على عنقها بحيث لا أترك لها فرصة للصراخ أو طلب النجدة، نشوى وحشية غمرتني وأنا أتمثل نفسي أقتل هذه المرأة الصغيرة.... لابد أن ذلك يحدث لأنني فعلاً أحبها وأغار عليها وأقمع غيرتي متظاهرًا بالسلك الحضاري"[2].

فالموت الذي يتحدث عنه خليل الإمام هو من أهم خصائص بنية العقل التناسلي التكوينية فخليل الإمام يؤكد هذه الرؤية بقوله "كان الناس فعلاً يموتون ومن لم يمت بالألغام مات بغيرها ومن لم تسعفه الأحجبة والكي بالنار فإن عليه أن يموت، لا أدري كم عدد الأخوة الذين فقدتهم كان الواحد منهم يموت بعد أشهر من ولادته وكان مبدأ الإنتخاب الطبيعي الذي يتيح الحياة للأقوى في تلك البيئة الشرسة هو البديل لحبوب منع الحمل"[3].

لقد حاول خليل الإمام أن يجد تفسيرًا لرحيل حبيباته واختفائهن من حياته الواحدة تلو الأخرى وهن اللاتي كن يضججن بالحياة من قبل أن يدخل الى حياتهن والتي تتحول معه الى سعادة مؤقتة يعقبها كدر وتعاسة وفراق أشبه بالموت بل إن هذا الفراق بعينه من وجهة نظر بنية العقل التناسلي والتي يحملها خليل الإمام معه في حله وترحاله وهو ما أشار اليه الإمام في

---

1 - المصدر السابق، ص131.
2 - المصدر السابق، ص 173.
3 - المصدر السابق، ص 170.

أكثر من مناسبة "جاء الفراق مبكراً أكثر تبكيراً مما كنا نريد وبطريقة عنيفة لم نكن نتوقعها ولكن للحياة حقائقها التي لا سبيل الى الفرار منها"[1].

وهذا بالتحديد ما أقره خليل الإمام بأن الفراق هو الموت بل هما وجهان لعملة واحدة وهو تفسير منطقي من وجهة نظر بنية الوعي التناسلي "إنما أحس به من ذعر وفجيعة إنما يأتي نتيجة هذه القسوة التي تتقطع بها خيوط الوشائج والعلاقات الحميمة؟.... وإذا بعالم وبشر وعواطف وأشواق تغمرها مياه الطوفان وتختفي فجأة من فوق الأرض بسرعة ينتهي كل شيء وكأنه لم يكن إلا وهماً وكأن هؤلاء البشر الذين عرفناهم وتألفنا معهم وأصبحوا جزءاً من حياتنا قد داهمهم على حين بغته وفي مرة واحدة موت فجائي، وإلا ما هو الموت إن لم يكن هذه الحدة الموجعة التي تقطع ما تواصل بيننا من علاقات، هذا الخاطر الذي يربط الفراق بالموت هو الذي أفزعني وأيقظ الزوابع السوداء في رأسي"[2].

كان خليل الإمام يعلم مسبقاً من خلال وعيه التناسلي بكل مقوماته الثقافية وخبراته المتراكمة بأن مظاهر هذه البهجة التي يحياها في ظل المجتمع الغربي وبنية الفكر البرجوازي ماهي إلا لحظة عابرة ولن تدوم "كان حدسي وفي أكثر اللحظات امتلاء بالبهجة والأمان ينذرني بأن هذا الفرح لن يدوم"[3].

اختلاف نظام القيم بين بنية العقل التناسلي وبنية الوعي البرجوازي وتأثيرها على بنية الحدث:

لقد حاول خليل الإمام غزو بنية الوعي البرجوازي وكان أشبه بالفيروس حينما يغزو الخلية ويقوم بإبطال خصائصها الوراثية ويعيد ترتيب مكوناتها وفقاً لخصائصه الوراثية وبذلك يفتك بالخلية، إذن هو منتهى الغزو أن تفرض أو تقحم بنية عقل خليل الإمام خصائصها التكوينية بمعدلات وفيائها المرتفعة وجميع ما تحمله من خصائص نوعية في مجتمع ليست له

---

1 - المصدر السابق، ص170.
2 - المصدر السابق، ص 234.
3 - المصدر السابق، ص 130.

نفس الخصائص التكوينية، وقد قام المؤلف بمنح عملية الغزو والتي قام بها خليل الإمام طابعاً مأساوياً وتدميرا من خلال علاقاته ابتداء من علاقته بليندا وتدميره لحياتها العائلية وانتهاء بساندرا والتي تم اغتصابها من قبل شباب انجليز وهذا يظهر أن بنية العقل البرجوازي تحتوي في طياتها على بنية العقل التناسلي لأنها عند النظر الى تطور بنية العقل البرجوازي نجد بأنها قد قامت على أكتاف البنية التي كانت قبلها وهي بنية العقل التناسلي، إن النهاية المأساوية والتي تعرضت لها ساندرا غيرت مجرى حياتها كلياً، وهو أشبه بالدور الذي لعبته حقول الأنغام التي زرعها المستعمر في بلاد خليل الإمام وصحرائه، ربما لم تخطر الفكرة على هذا النحو من الأساس على المؤلف، وهذا يوضح أن يكون النص غنياً بالتشكيلات الدلالية، كما يوضح معنى أن يكون النص غنياً بالتشكيلات اللغوية أو التخيلية[1].

هل نجح خليل الإمام في أن يلحق الخزي والعار ببنية الوعي البرجوازي، إن مأساة خليل الإمام تكمن في أنه فشل فشلاً ذريعاً في مهمته لسبب بسيط ألا وهو أن الجنس ليس إطاراً مرجعياً لنظام القيم في بنية العقل البرجوازي كما هو الحال في بنية العقل التناسلي، ونظام القيم يختلف في بنية العقل البرجوازي مقارنة مع نظام القيم في بنية العقل التناسلي، وهو ما أحدث الفرق في آلية التعقل بين كل من البنيتين، فنظام القيم في بنية العقل التناسلي تكون مبنية على جملة من القواعد تتمثل في الآتي:

1- إن بنية العقل التناسلي تحدد معنى الحياة والموت، الشرف والعقل، الانتصار والهزيمة، على النحو الذي يحفز كل فرد من أفراد المجتمع أن ينجب أكبر عدداً من الأطفال، على سبيل المثال إذا فشل التناسلي رجل كان أو امرأة في عملية التناسل لا يرى أنه فقد بعداً أو ركناً أساسياً من أركان حياته بل يرى أن حياته في جملتها قد انهارت وأنه لم يعد رجلاً (أو امرأة).... الخ.

1 - أنظر/ الشيخ محمد الشيخ، التحليل الذاتي والأدب ص151.

2- إن قمة الانتصار من خلال بنية العقل التناسلي هو الانتصار الجنسي، وإن قمة الهزيمة هي الهزيمة الجنسية، والهدف النهائي من الحياة بالنسبة للكائن التناسلي أن يكون أسرة وأن ينتج أطفالاً.

3- ويكون ولاؤه للأسرة أكثر من ولائه للوطن وأكبر من ولائه للعقيدة.

4- ويكون الزواج بذلك غاية الحياة وليس وسيلتها، وحين يتحدث الإنسان التناسلي عن الشرف يكون معلوماً تماماً إنه يقصد شرفه الجنسي وليس شرف الوطن أو العمل أو العقيدة"[1]

بينما نظام القيم في بنية العقل البرجوازي يتلخص في:

1- انتقال مرجعية نظام القيم من الجنس والتناسل في بنية العقل التناسلي الى المال والاقتصاد في بنية العقل البرجوازي، وبحكم ان استكمال بنية العقل التناسلي بمهامها يؤدي بصفة تلقائية الى استقلال الجنس عن التناسل.

2- تسليع الجنس كبضاعة قابلة للبيع في سوق يحكمه قانون الطلب والعرض، وبحكم أن بنية العقل البرجوازي، هي التي أصبحت مسيطرة تماماً على البنيتين الأخريين ترتب على ذلك بأن ينظر الى الإنسان بحسب ما يملك من نقود.

3- يصبح الشخص المقدر المبجل والمحترم اجتماعياً هو الثري وليس العالم أو الفحل بصرف النظر عن الكيفية أو الوسيلة التي جمع بها الثروة وينبع احساس الإنسان بقيمة حياته وعظمته كإنسان ليس من خلال عطائه وتصديه لحل المشكلات الاخرين والمجتمع ولكن من خلال مقتنياته المادية المتمثلة في الشركات والمصانع والعقارات بمختلف أشكالها إضافة الى سياراته الفارهة الى آخره أي ينبع احساسه بعظمته وقيمته كإنسان من الأشياء المادية التي يقتنيها وليس من إنسانيته[2].

1 - انظر المصدر السابق، ص 85.
2 - انظر المصدر السابق، ص91.

ويمكننا أن نلمس هذا الفرق الواضح من خلال نظرة البرجوازي الصرف متمثلة في أحد الأساتذة بالجامعة والتي يدرس بها خليل الإمام واسمه لاري وهو أستاذ متخصص في علم اللغة هجر مهنة التدريس وأنشأ حانه يتردد عليها الطلبة والأساتذة سماها بحانة العناقيد "كان يعلق فوق الجدار الذي نجلس بجواره إعلاناً كتب بخط عريض يتوجه به الى مدرسي الجامعة يرحب فيه بأي استاذ يريد أن يتحرر من عبودية ويؤمن هذه الوظيفة، ليعمل ساقياً في حانة العناقيد وسيمنحه راتباً يوازي ضعف ما يتقاضاه من الجامعة مضافاً إليه الإكراميات التي يتلقاها من زبائن الحانة"[1]

وهكذا فقد تحول الأستاذ المتخصص في علم اللغة من أستاذ جامعي الى بائع خمور فما فائدة السنوات التي قضاها في التحصيل العلمي لكي ينتهي الى مهنة سهلة لا يحتاج المرء فيها الى أية مؤهلات تعليمية أو تخصصية، إنها باختصار بنية الوعي البرجوازي والتي لا تنظر الا الى المادة والمكتسبات المادية بغض النظر عن الوسيلة التي تجمع بها هذه المادة.

لقد ادى استنفاد البنية التناسلية لمهامها في المجتمعات الغربية الى أن يستقل الجنس عن التناسل ومن ثم فقد مرجعيته لنظام القيم، فخليل الإمام لو فعل في بلاده جزءاً يسيراً مما فعله من ممارسات جنسية في فضاء بنية الوعي البرجوازي لمثل به شر التمثيل ولربما ذبح لأن الجسد في جملته في حسبان بنية العقل التناسلي يعتبر رمزاً للفحولة، ولو أن رد فعل كهذا حدث في بنية العقل البرجوازي لربما شعر خليل الإمام بزهو الانتصار وبأنه ألحق الخزي والعار بأعدائه وإنه قام برسالته على وجه الكمال والتمام، وهذا تماماً ما أشعر خليل الإمام بالدهشة والذهول من ردة فعل دونالد زوج ليندا عندما علم بعلاقته بها والتي كان يحسب لها خليل الإمام ألف حساب ولكن المفاجأة كانت مدوية وغير متوقعة بالنسبة لخليل الإمام من ردة فعل دونالد عندما علم بعلاقته مع زوجته "أذهلني أيضاً موقف زوجها اللامبالي، لكن قد خامر قلبه الشك وليكن قد أدرك ما يحدث بيننا وأدار وجهه الى الناحية الأخرى مدعياً انه لا يرى شيئاً فكله

1 - أحمد ابراهيم الفقيه، رواية ساحبك منونة أخري، ص

ممكن وجائز أما أن يصارح زوجته بأنه لا يجد مانعاً في أن تواصل علاقتها معي شرط أن تبقى زوجة له فهذا ما بدأ لي سلوكاً يستحق الاندهاش والفزع، كنت أتصوره ما أن يعرف على وجه اليقين حقيقة ما يحدث بيننا حتى يطردني ويطردها من بيته، وكنت أفكر في خطة أواجه بها موقفاً كهذا عندما يأتي وقته، أختلف المشهد الان ها هو يرضى بأن تصبح ليندا امرأة مشتركة بيننا"[1].

هكذا كانت ردة فعل دونالد على العكس تماماً مما قدره خليل الإمام انطلاقاً من بنية وعيه التناسلي فقد كان يعتقد أن عقبة جريرته ستكون النفي والطرد له لها وانهياراً للعلاقة الزوجية بين دونالد وليندا، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ذلك لأن نظام القيم عند دونالد يصدر من بنية العقل البرجوازي والتي تختلف عن بنية الوعي التي ينتمي اليها خليل الإمام.

بنية الحدث بين الفكر البرجوازي والفضاء التناسلي:

كان خليل الإمام يشعر في قرارة نفسه بالفشل والهزيمة، فقد كان يتطلع أن يغزو هذه البنية التي سبق وأن داست صحراءه وزرعتها بالألغام والموت وما خلفته من دمار ودموع خلفها، ولكنه لم ينل الا الفشل والهزيمة لأنه حاول غزو هذه البنية من خلال فكره المتمثل في بنية عقلة ووعيه التناسلي، وبما أن أقصى وأشنع عقاب تلحقه هذه البنية بعدوها هو الحاق الأذى الجنسي بحقه مما فيه إهانة للمعتدى عليه فقد حاول خليل الإمام منذ أن وطأت قدماه بلاد الانجليز أن يعيث فيها فساداً ويخوض معاركه الجنسية على أمل أن يحقق انتقاماً لصحرائه التي تقيم معه في حله وترحاله، وعلى الرغم من اتهام خليل الإمام بالسلبية من قبل صديقه عدنان إلا أنه كان يحارب على جبهة أخرى وبطريقة مختلفة عما أنتهجه عدنان والذي كان ينتهج الكفاح المسلح ضد العدو وكانت طريقة الإمام تصب في النهاية في مسار محاربة العدو المشترك للطرفين، ولكن في حقيقة الأمر كانت نهاية رحلة خليل الإمام في حربه على بنية العقل البرجوازي الهزيمة والفشل، لقد هزمته بنية العقل البرجوازي المتمثلة في شخصية ليندا عندما

---

1 - المصدر السابق، ص 38.

عرض عليها الإمام الزواج ولكنها رفضت مفضلة البقاء مع طفلها غير الشرعي والذي يمثل لسان الحال بالنسبة للواقع والذي يربط خليل الإمام بليندا فهو واقع غير شرعي لأنه يجمع بين فضائين مختلفين في القيم والمفاهيم لا يلتقيان أبداً بنية العقل التناسلي وفضاء العقل البرجوازي، فقد توسل الإمام لليندا لتعود معه الى ليبيا ولكنها رفضت ورفضت إعطاءه أبنه أدم ثمرة العلاقة المحرمة بينهما والتي لم يكتب لها النجاح وربما كانت المقابل من العلاقة بينهما أدم الطفل غير الشرعي هو نتاج معارك خليل الإمام ضد بنية الفكر البرجوازي، فشل ذريع وانكسار لا مثيل له عبر عنه صديقه بقوله "ظننت بأنك ستهدد بإشعال ثورة في هذه البلاد فإذا بك تخذلني وتتنازل بهذه السرعة"[1]

وهكذا فقد عاد الإمام الى موطنه بعد أن قضى ردحاً من الزمن بين مجتمع ليس بمجتمعه وأناس ليسو بأهله، عاد الى موطنه ليعيش كأي إنسان منتم الى بلاد لا يشعر فيها بالانتماء، لقد كانت بنية الحدث في رواية سأهبك مدينة أخرى تدور حول الصراع الذي أغنى النص الأدبي بالكثير من الدلالات والفعل القصصي الذي شكلته حركة الشخصيات في تفاعلاتها لتقدم لنا تجربة إنسانية ذات معنى لها خصوصيتها، وهذا الصراع ناتج عن صراع بنية العقل التناسلي والتي مثلها خليل الإمام وعدنان وبين بنية العقل البرجوازي متمثلة في ليندا ودونالد وساندرا، لقد نتج عن هذا الصراع تنازر بين بنيتي الوعي التناسلي بكل ما تحمله من قيم وخصائص نوعية وبين بنية العقل البرجوازي وما وصلت اليه من اكتمال بعد أن استنفذت بنية الوعي التناسلي مهامها في المجتمعات الغربية، لقد كانت بنية الحدث في الرواية غنية بالتشكيلات الدرامية من خلال تعدد مستويات الصراع المنطقي والاقتصادي والاجتماعي والوجودي لذا يمكن اعتبار تنازر بنيات الوعي هو عنصر الفاعلية الذي يؤدي تنوعه

---

1 - المصدر السابق، ص 239.

وتحدده الى فاعلية بنية الحدث أو إلى انبناء الفاعلية من بنية الحدث، فتنازر بنيات الوعي تكون الفسحة التي يشيد عليها الروائي قاعدة البناء الدرامي[1].

1 - أنظر / الشيخ محمد الشيخ، التحليل التفاعلي والأدب نحو نظرية جديدة للأدب، 2001م، ص135.

المبحث الثاني

فاعلية بنية الحدث في رواية هذه تخوم مملكتي

عندما نتحدث عن بنية الحدث في رواية هذه تخوم مملكتي نجد أنفسنا إزاء نص أدبي إبداعي، ولكنه على الرغم من أنه نتاج لفاعلية الأديب إلا أنه بدوره قادر على توليد فضاء جديداً للفاعلية وهو فضاء رمزي تخيلي بحكم رمزية اللغة كونها نظاماً للرموز، ولكن بمقدور هذا النص الأدبي توليد دلالة فاعلية كما هو متاح لبنية العقل [1]

ومن هذا المنطلق يكون للنص الأدبي فضاؤه الفاعلي التخيلي والذي يكون بنية وعيه وهي ليست بالضرورة انعكاساً لبنية وعي الأديب صاحب النص.

تدور أحداث رواية هذه تخوم مملكتي في ليبيا وتحديداً بعد عودة خليل الإمام من انجلترا والتي كان يدرس بها، عاد لبلاده بعد أن تحصل على الشهادة الدقيقة عن أطروحته "العنف والجنس في ألف ليلة وليلة والتي تعرف لدى الغرب باسم الليالي العربية، تدور أحداث الرواية داخل المجتمع العربي الليبي في فترة نهاية السبعينيات من القرن الماضي وبداية الثمانينات من نفس الفترة التاريخية، إن الشرط الاجتماعي والحضاري الإنساني القائم في رواية هذه تخوم مملكتي يتمثل في:

1 ـ الشعور بالغربة داخل الوطن.

2 ـ الرحلة العجائبية لمدينة عقد المرجان.

1 ـ الشعور بالغربة داخل الوطن:

بعد عودة خليل الإمام الى وطنه الأم نجد بانه قد أصيب بنوع من التصدع الجزئي في بنية عقله التناسلي بعد شعوره بالهزيمة الحضارية والتي لحقت به من بنية العقل البرجوازي المتمثلة في البلاد التي كان يدرس بها، وذلك لعجزه عن غزو تلك البنية البرجوازية والتي سبق

---

1 ـ أنظر/ عبد الرؤوف بكير السيد، النص الأدبي الاستلاب والفاعلية، منشورات جامعة سرت، الطبعة الأول 2008، ص118.

وإن غزت بنية عقله التناسلي في فترة الحقبة الاستعمارية وكان لهذا الشعور أثر في تغيير بعض المفاهيم لدى خليل الإمام خاصة فيما يتعلق ببنية العقل التناسلي والتي يستدمجها شأنه في ذلك شأن باقي أفراد المجتمع ولكن الذي طرأ على خليل الإمام هو عدم تأقلمه مع الناس والمجتمع بعد رجوعه الى وطنه بعد غياب طويل فوجد صعوبة في التأقلم والتعايش من جديد مع مجتمعه بعد اكتسابه خبرات جديدة من خلال احتكاكه ببنية عقل جديدة استمد منها بعض الأفكار والرؤى فتكونت عنده بعض الأفكار الثورية خلافاً لفكر مجتمعه التناسلي مما أحدث لديه تصدعاً في بنيته أدى الى نفوره من المجتمع والناس ومن هنا قامت بنية العقل السائدة في المجتمع بتطويق خليل الامام ومن هم على شاكلته ووصفهم بالشواذ فكرياً واتهامهم بالحيد عن العادات والتقاليد والأعراف وقامت بمحاربتهم بكافة السبل إذ هم لم يرجعوا الى حظيرة البنية الفكرية السائدة في المجتمع، أو اعتقالهم داخل أسوار بيتوهم أو خلف أبواب المصحات النفسية ومن هنا يكتفي هؤلاء الأشخاص بالتعلق بالوهم والأخيلة للتنفيس عن مكنوناتهم المكبوتة بفعل بنية العقل التناسلي لدرجة يوصفون معها بالجنون وذلك لعدم تقبلهم للمجتمع الذي يعيشون فيه وقد تغلب خليل الامام على ذلك الاعتقال من قبل بنية العقل التناسلي بالهرب من قبضة تلك البنية عن طريق خلق رحلة وهمية الى عوالم الخيال والأسطورة الى مدينة خيالية أسمها مدينة عقد المرجان.

لقد صنع خليل الإمام لنفسه مدينة أخرى غير مدينته التي يعيش فيها واقعياً مدينة الحلم والتي قد تعوضه عن حلم لم يتحقق على أرض الواقع والسبب في صنع مثل هذه المدائن يعود الى محاولة استعادة التوازن النفسي والفكري المفقود بين الشخص وبين بنية الفكر التي يستدمجها بقية أفراد المجتمع. إن رحلة الإمام العجائبية ماهي في الواقع الا محطة لإعادة تأهيل خليل الإمام حتى يعود من جديد الى حظيرة المجتمع الذي لم يتأقلم في التعايش معه بعد عودته من بلاد الغربة.

الشعور بالغربة في البيت:

لقد كان الشعور بالغربة داخل الوطن قد بدأ مع خليل من البيت الذي هو الملجأ الامن لكل فرد في المجتمع لأنه يحوي أكثر الناس قرابة الى الانسان وهم في العادة أقرب الأقارب ولكن نلاحظ بأن خليل الإمام لم يشعر بهذا الأمان في بيته بل كان يشعر بانه إنسان غريب عن هذا البيت ولا ينتمي اليه والبيت بالمفهوم الواسع يعني المجتمع، وقد كانت فاطمة زوجة خليل الامام تحفه بالعناية والاهتمام المستمر ولكنها كانت في نظره امرأة لا يعرفها ولا ينسبها الى نفسه كزوجة بل يذكرها بشكل عام بقوله المرأة التي بجواري وقد يذكر بعد فترة زمنية طويلة أنها زوجته ولكن ذكرها يأتي من باب الشفقة لا غير "أضع الوسادة فوق وجهي أحيط بها أذني، اتقلب شمالاً ويميناً واتوجع واتألم تستيقظ المرأة التي تنام بجواري، أنك منذ أسبوع لا تنام"[1].

لم تكن هذه المرأة التي ذكرها الإمام في حديثة سوى فاطمة زوجته ولكن التركيبة الفكرية لخليل الإمام لا تقوى على تقبل الوضع الجديد بعد عودته من بلاد الغرب وذلك بعد أن صال فيها وجال وغزى تلك البنية من مفهوم بنية العقل التناسلي ولكن بالمقابل تم استدراجه وهزيمته من قبل بنية العقل البرجوازي من حيث لا يدري وكان لأثر هذه الهزيمة أنه استدمج بعض الأفكار من تلك البنية مما شوش على تفكيره وتعاطيه مع الأمور فصار ينظر اليها بشكل يدمج فيه بين بنيتي العقل التناسلي والبرجوازي وكان لهذا الأمر تأثير على خليل الإمام من حيث أنه واجه صراعاً نفسياً حاداً من خلال تناز بنيتي العقل التناسلي والتي يستدمجها كونه أحد مخرجات المجتمع التناسلي وبين بنية العقل البرجوازي والتي حاول غزوها وأحتك بها عن قرب، أن هذا الصراع هو الذي مزق خليل الإمام لدرجة أصبح معها ضائعاً ومغيباً عن الواقع المعيش الذي يحياه، ولكن هذا الصراع أيضاً هو الذي يقوم عليه البناء الفني للعمل الروائي وتسمى هذه العملية بفاعلية بنية الحدث وهي التي يحدث فيها الصراع بين بنيات الوعي المختلفة

---

1 - أحمد ابراهيم الفقيه، هذه تخوم مملكتي، ص8.

ومن هنا تنشأ علاقة تناحرية أو تآزرية بين هذه البنيات المختلفة ويكون البقاء فيها للأقوى وليس للأفضل وهذا ما حدث مع خليل الإمام.

تصدع جزئي في بنية عقل خليل الإمام:

بعد عودة خليل من غربته حاول أن يقنع الجميع بأنه فرد عادي كأي فرد من أفراد المجتمع يؤمن بأفكاره ويتحرك بنفس الاتجاه الذي يسير فيه وفق منظومته الفكرية والتي يؤمن بها أغلب أفراد المجتمع، ولكن الذي حدث لبنية خليل الإمام الفكرية هو نوع من التصدع الجزئي على صعيد بنية وعيه التناسلية، فصار يشعر بأنه كائن غريب عن هذا المجتمع فأحس بأنه إنسان منافق يحاول أن يظهر بوجه غير وجهه الحقيقي وفكر غير ما يعتقد فنشأ عن ذلك صراع بين ما يعتقده من أفكار ورؤى وفكر باقي أفراد المجتمع ونشأ عن ذلك ما يسمى بتنازر البنيات، لقد كان خليل الإمام وفيًا لبنيته الأم بنية العقل التناسلي لأنه ليس من السهولة بمكان خروج الفرد عن بنية العقل التي يستدمجها كليًا ولكن قد يأخذ بعضًا من الأفكار المتجددة ويخرج بمشروع جديد يغاير منطق الفكر الاجتماعي المعيش، ولكن هذا المشروع إذا كان لا يحمل نفس الخصائص الفكرية للمجتمع سوف يواجه بحرب قاسية من بنية العقل السائدة هذا إذا كان لدى صاحب هذا المشروع الشجاعة الكافية للبوح بأفكاره على الملا ولكن بالمقابل نجد أن خليل الإمام لم يكن لديه مشروع محدد واقعيًا ولم يكن بمقدوره البوح بأفكاره ولكنه كان يحتفظ بها حبيسة جدران نفسه، نشأ عن كل ذلك صراع نفسي حاد مرده إلى الحرب التي شنتها بنية العقل التناسلي على خليل لأنه حاول أن يغير في بعض خصائصها الفكرية ولو حدث ذلك التغيير الذي أراده الإمام لنتج عنه تغيير في سلوك الناس وهذا ما لا ترضاه بنيه العقل السائدة، لذلك نجد أن هناك تنازر بين بنيات الوعي في داخل نفس وعقل خليل الإمام فهو يعلم جيدًا بأنه لا طاقة له على مواجهة بنية العقل السائدة لذلك أثر المهادنة وحتى هذه لم ينجح فيها فقد كان يشعر بأنه مكشوف من قبل بنية العقل التناسلي السائدة في المجتمع، فكان أشبه بمن يضع قناعًا

من الشمع على وجهه والذي لا يلبث بدوره إلا أن يذوب من شدة سطوع شمس الحقيقة والتي تعريه تماماً أمام الجميع فيلوذ بالفرار والاختباء داخل منزله لأنه لا يقوى على مقاومة بنية العقل المسيطرة والتي تفرض على خليل حصاراً قاسٍ لتعيده الى أسوار بنية العقل والتي يندمجها أغلب أفراد المجتمع "أرتدي بدلتي وأغادر بيتي لأعاود الاتصال بالدنيا أذهب الى الجامعة وأتجول في الأسواق وأقابل الناس أضع شمعاً على وجهي أمنع به ظهور مشاعر الخوف والإعياء وأسد به الثقوب السوداء والتي تملأ الروح، أرسم بالشمع وجهاً يضحك لا يقاوم ضراوة الشمس تعاودني مشاعر الخوف من الناس عندما أراهم يقتحمونني بنظراتهم المشنوقة لأنهم شاهدوا شمعاً يسيل على وجهي فأكره أن أراهم أو التقي بعيونهم الأسمنتية أعتزلهم وأمكث طوال اليوم في داري"[1].

لقد كانت نظرة المجتمع لخليل الأمام على أنه أنسان مريض نفسياً وربما مجنون، وهذا يعتبر من الأمور الضبطية والتي تقوم به بنية العقل التناسلي السائدة في المجتمع للمحافظة على خصائصها من التغيير والتشويه، وأيضاً في محاولة لإعادة الأمام وامثاله إلي الجادة الفكرية والتي يحاولون الخروج عليها، لقد تبني خليل الامام بعد احتكاكه ببنية عقل أخرى غير بنية عقله التناسلية بعض الشعارات والأفكار العامة مثل الخير والحب والتي ترفعها بنية العقل البرجوازي كواجهة براقة من أجل الأثراء وتحقيق مكاسب جديدة وأسواق متجددة وهي أفكار لا تنسجم مع المنطلقات الفكرية والعقلية والتي تنادي بها بنية العقل التناسلي، وهذا أحدث لدى الأمام نوع من التصدع الجزئي في بنية عقله التناسلي لتبنيه جملة من الأفكار من نتاج بنية عقلية أخرى مما أدى إلي أن تقوم بنية العقل التناسلي بالدفاع عن نفسها من خلال آليات الضبط والتي تتمثل في جملة من العقوبات والجزاءات القانونية والاجتماعية والنفسية، وهي بهذه الإجراءات تعاقب كل من يتطاول بالخروج على برامج البنية ومهامها داخل المجتمع، ومن هنا صار خليل الإمام في نظر المجتمع ابتداء من البيت وانتهاء بالعمل إنسان مريض نفسياً يعاني

---

1 - المصدر السابق، ص 10.

من مرض أصاب عقله وأثر عليه مما أدي إلي أن يتجنبه الناس "أجلس أمام الطبيب الذي يبحث في طفولتي عن شيء يجعله سبباً لمرضي، أعرف أنه يرتدي معطفه الأبيض متنكراً في ثياب هذه المهنة بينما هو عميل سري لكل أعراف المجتمع وقوانينه الظالمة التي جاء الآن يبرئ ساحتها، متواطي مع كل المؤسسات الوحشية التي تدير شؤون الكرة الأرضية، لا أقول شيئاً بغضبه لكي لا يأمر بحجزي داخل اسوار عيادته النفسية"[1]

وهكذا حكمت بنية العقل التناسلي على الأمام بالجنون لأنه حاول تبني أفكار مستورده من بنية عقلية أخرى، وهي أفكار لا تعكس بنيه العقل السائدة في المجتمع الذي ينتمي إليه، وهذا تحديداً ما نراه على أرض الواقع فخليل الأمام يمثل في حقيقة الأمر المثقف في المجتمع الليبي والذي درس في أرقى الجامعة العالمية واحتك بحضارات شتي ومختلفة وعند عودته للوطن تكون لديه أحلام ومشاريع فكرية وحضارية تهدف إلي خدمة الوطن والرقي به من دوائر التخلف الممثلة في الأفكار المشوهة والتي تهيمن عليها بنية العقل التناسلي والخروج به من عوالمها الضيقة وإلي الأفق الواسع لخدمة الوطن. ولكن هذه البنية العقلية تحكم قبضتها على المجتمع بحكم خصائصها التكوينية و التي يستخدمها أغلب أفراد المجتمع. فبرامج عطاء هذه البنية محدودة وضيقة وتكاد تكون مغلقة وهي وفي أشد لحظات انفتاحها تكون حكراً على الأسرة والعائلة وإن اتسعت سوف تشمل القبيلة فقط ولن تتعداها، لهذا نجد ان كل مثقف لديه مشروع حضاري فكري يهدف لتطوير المجتمع وهذا المشروع لا ينبع من أفكار البنية العقلية السائدة في المجتمع سوف تقوم البنية بمحاربته بشتي الوسائل والطرق حتي يعود عن مشروعه الفكري والتنازل عنه لصالح بنية العقل السائدة ومن هنا نقول بأن بنيه العقل السائدة قد انتصرت وحققت كامل أهدافها، ولهذا نلاحظ بأن المثقف في المجتمع لا يعدو كونه إنساناً عادياً لا يؤثر في الحياة الفكرية مثله مثل خليل الأمام حتي وان نال أعلي المؤهلات العلمية من أعرق

---

1 - أحمد إبراهيم الفقيه، هذه تخوم مملكتي، الجزء الثاني من الرواية الثلاثية، الطبعة الأولي، مايو 1991، دار رياض الريس للكتب والنشر، قبرص، ص10.

الجامعات في العالم، فحين يستدمج الفرد بنية العقل السائدة فهو يصبح مجرد عنصر في بنية تعيد أنتاج نفسها من خلاله، فهو في هذه الحالة لا يكون في وضع يؤهله لإنتاج أو أبداع خطاب جديد او بديل[1].

وكمثال على ذلك نجد ان المثقف في المجتمعات التي تستدمج بنية الوعي التناسلي عندما يعرض له عارض نفسي فإنه لا يذهب يستشفي من مرضه عند أهل الطب والاختصاص ولكنه يذهب إلي الفقيه والشيخ لكي يعالجه بطلاسمه وتمائمه فهو في نهاية الأمر محكوم بذات الفكر ولا يعدو كونه مجرد عنصر في بنية تعيد أنتاج نفسها من خلاله.

- الرحلة العجائبية لمدينة عقد المرجان:

للهروب من الواقع الذي لم يتصالح معه خليل الامام فكّر في طريقة ليعالج بها أمراض روحه دون أن يدخل في حرب غير متكافئة مع بنية العقل السائدة ويخرج منها مدحوراً منكسر الجناح، فقرر القيام برحلة عجائبية مستعيناً في القيام بتلك الرحلة الخيالية ببنية العقل التناسلي نفسها والسائدة في المجتمع كونها بنية من أهم خصائصها التكوينية أن مرجعية الفعالية السببية فيها خارج الذات، بل خارج الكون، فالأنسان التناسلي عندما يساءل الواقع- وهذا ينطبق على المجتمع الليبي – فأنه لا يقدم فروضاً واقعية بقدر ما يقدم فروضاً غيبية لا يمكن محاكمتها من الناحية التجريبية، وبذلك يكون مكون الدلالة لدى الأنسان التناسلي قد اشترط أبستيمية غيبية تجعل من العسير أنتاج علم ومعرفة بمعني أكاديمي[2].

إن مدينة عقد المرجان ماهي إلا نتاج للفكر الغيبي والذي غذي على خرافات عهد الطفولة والتي كانت تحكيها الجدات و الأمهات، وحكايات ألف ليلة وليلة وما بها من أساطير وخرافات عن الجان وبساط الريح والعفاريت وغيرها من نتجات الأبستيمية لبنية العقل التناسلي، أن خليل الأمام حاله حال أي شخص يستدمج بنية العقل التناسلي حتى وأن حدث لديه

1 - أنظر/ فطر الرؤوف بكر السيد، النص الأدبي الاستلاب و الفاعلية، منشورات جامعة سرت، الطبعة الاولى 2008، ص109.
2 - المصدر السابق، ص 130.

تصدع جزئي في بنيته، فعندما اصابه مرض نفسي لم يقنع أهله بعلاج العلم لحالته المرضية ولكنهم كانت لديهم القناعة التامة بعلاج الفقيه لأسقام روحه العليلة وهذا يرجع الى الأبستيمية المعرفية لهذه البنية "يراني أخي نافزاً من الأطباء فيقترح هذه المرة الذهاب إلى فقيه ذاع صيته وعالج أناساً كثيرين مثلي، فهذه أمراض لا يعرف اسرارها إلا أهل الله من أمثال هذا الفقيه.... إن كائناً من هذه الكائنات الخفية المجهولة التي تعيش هنا دون أن نراها قد انتقل من شقوق إحدى الخربات ليسكن جسمي ويكون هذا الفقيه قادراً على إحراقه بالأوراد والأحجبة و الطلاسم السليمانية"[1].

وهكذا نجد ان خليل الأمام وأهله لديهم الثقة التامة في أمكانية شفائه من اسقامه وأمراضه التي علقت بروحه على يد الفقيه و الذي عالج الكثيرين من أمثاله وتمائنوا للشفاء على يديه، فالأطباء لم يقدرا على شفاء المرضى من أدوائهم على الرغم من أخذهم بأسباب العلم ولكن الفقيه يستطيع ذلك وإذا إخذنا في الحسبان خليل الأمام كونه يمثل المتعلم والمثقف ولكنه مع ذلك نجده مقتنع في قرارة نفسه بأن الفقيه سوف يشفيه من أمراضه واسقامه عن طريق حرق البخور وتعليق الأحجبة والتمائم وأنه سوف يطرد الأشباح التي تسكن نفسه، فكل الذي مضى يعطينا مؤشر على أن المجتمع ما يزال مستغرقاً في التفكير الغيبي الماوراني، فالبستمية السببية والمعرفة والتي توجد في بنية العقل التناسلي تحكم على أفراد المجتمع الذين يستدمجونها بأن يكونوا أوفياء لهذه المعرفة والتي غالباً ما تكون غيبية متافيزيقيا فلا فرق في هذه البنية وخاصة في هذا المكون الغيبي بين أستاذ جامعي أو مثقف وبين أميّ متخلف فهم جميعاً زبائن عند الفقيه يغشونه ليعالج أمراضهم ويصف لهم العلاج الناجع للشفاء ويكفي أن نعلم بأن مدينة "عقد المرجان" وهي المدينة الخيالية والتي تقوم عليها رواية "هذه تخوم مملكتي" والتي سافر إليها خليل الأمام، وصار الحاكم لها، لم يكن ليحقق هذه الرحلة إلا عن طريق هذه الأبستيمية المعرفية الغيبية والتي لا توجد إلا في بنية العقل التناسلي والتي يستدمجها أغلب أفراد المجتمع،

1 - أحمد إبراهيم الفقيه، رواية هذه تخوم مملكتي، ص 130.

إن الشيخ الصادق أبو الخيرات منح الأمام صك العبور إلي زمن موغل في القدم يعود إلي العصر العباسي الثالث وفي هذا أشاره الي قوة وهيمنة الفكر الغيبي المسيطر على أفكار المجتمع.

إن الرحلة التي تخيلها خليل الأمام هي رحلة مستحيلة، بل هي رحلة لا يمكن حدوثها من الناحية العقلانية التي تؤمن بالعلم والتجربة، وهذه العقلية نجدها في حيز بنية العقل البرجوازي لأنها بنية مرجعيتها المعرفية ليست خارج الكون ولكنها عادة خارج الذات وهي تقوم على التجربة وهذا سمح لتلك البنية بإنتاج العلم والتكنولوجيا المادية[1].

الشيخ الصادق أبو الخيرات هو رجل صاحب كرامات وخوارق تفوق قدرة البشر، هكذا يقدمه لنا خليل الأمام حتي لا نصاب بالذهول مما يمكن أن يقوم به أو يفعله من معجزات "فقيه يكتب الاحجبة ويطرد الجن ويعالج النساء العقيمات هو الشيخ الصادق أبو الخيرات"[2].

أيضاً هو يتحدث بلهجة رجل عاد من العالم الأخر ويأكل من طعام أهل الجن والذي تطعمه له زوجته الجنية كما يقول عنه خليل الامام فالدكتور خليل في هذا المقام لا يحتكم إلي المعرفة التي تقوم على المنطق والعلم وإنما يلغي دور العقل ليحل محله نوع أخر من المعرفة والتي تمثل المعرفة المنبثقة عن بنية الوعي التناسلي "كنت أعرف أن هذا لا يحدث إلا في الحكاية التي تسردها شهرزاد فكيف استطعت وفي غفلة من حراس الزمان الذين يحيرون الأفلاك بمعيقات ونظام أن أنتقل من خارج الحكاية إلي داخلها"[3].

لقد تحول خليل الأمام إلي شخص من شخوص الحكاية يتناص مع حكاية ألف ليلة وليلة فتأثيرها وأضح عليه حتي في مدينة عقد المرجان التي سافر إليها بخياله، فأحداث الحكاية في مدينة عقد المرجان تشبه إلي حد بعيد حكايات ألف ليلة وليلة، كما نجد أن خليل الأمام استلهم الشخصيات واستدعاها من الليلي، فنجد أن شهريار هو نفسه خليل الأمام بكل مجونه

---

1 - أنظر / د. الشيخ محمد، التحليل الناعلي والأدب نحو نظرية جنية للأدب، 2001م، ص 84)
2 - أحمد فراهيم الفقيه، عقد ثغور مسلكي، الجزء الثاني، الطبعة الأولي، 1991 دار ريض الريس، قبرص، ص18.
3 - المصدر السابق، ص 26.

وتناقضاته. ونرجس القلوب ماهي الا شهرزاد وهي دليل الامام في مدينة عقد المرجان ودورها يشبه الي حد ما دور شهرزاد مع شهريار في الليالي وأن أختلف الحال من محاولة شهرزاد في الليالي الإبقاء علي حياتها وحياة بنات جنسها من الفناء وترويض، شهريار المتعطش للدماء، نجد بأن نرجس القلوب في ارتباطها بخليل الأمام أمير مدينة عقد المرجان كان محاولة الإنقاذ مدينتها من الفناء والاندثار، ويتضح لنا مدى قوة وتأثير ألف ليلة وليلة على عقل خليل الأمام وهو يعترف بهذا التأثير عند وصفه لنرجس القلوب "وما هذا المرأة إلا شهرزاد كما عرفتها ورأيت صورتها معكوسة في مرايا الحلم والمخيلة، بقامتها الفارعة المجيدة ووجهها المستدير المضيء وسواد عينيها اللتين تنفثان سحرهما الاسطوري الذي روض الوحش"[1].

إن بنية العقل التناسلي هي بنية وعي قصور، وهذه التسمية مستمدة من المعني الفيزيائي، بمعني أن يظل الجسم قاصراً بذاته عن الحركة ما لم تؤثر عليه قوة خارجية، وهذا سبب جعل مرجعية الفعالية السببية في بنية العقل التناسلي خارج الذات، بل خارج الكون، وهكذا فلقد جعل خليل الأمام من الشيخ الصادق أبو الخيرات القوة المؤثرة في وعي القصور المتمثل في رحلة الامام إلي مدينة عقد المرجان، فالشيخ الصادق هو صاحب المعجزة فهو الذي قام بأرسال خليل في رحلة تمتد لألف عام من عمر التاريخ، فهو يمثل القوة المستمدة من أبستيمية بنية العقل التناسلي، فالباحث يرى بأن خليل الأمام استخدم بنية العقل التناسلي وأبستيميتها المعرفية و التي تحتوي على مبدأ القصور، قصور الوعي وهذا يترتب عليه تدني للفاعلية ناتج عن هذا القصور، أدي كل ذلك إلي استلام الامام للمعرفة الغيبية كمحاولة منه للهروب من الواقع المعيش الذي عاني منه الأمرين، امراض الروح واسقامها ونظرة المجتمع إليه على انه أنسان غير سوي وهذا أدي به إلي اللجوء إلي المعرفة الغيبية في محاولة منه للتخفيف من وطأة الشعور بعدم القدرة على مواجهة الواقع وأدي هذا به إلي محاولة الهرب من ذلك الواقع بأستغراقه في الفكر الغيبي من خلال زيارة الاولياء و الأضرحة وغيرها من الامور المتعلقة

---

1 - المصدر السابق، ص 31.

بعالم ما وراء الطبيعة و التي تقوم بتخدير الروح وبعث الطمأنينة والامن فيها وتكريس في الإنسان مدى قدسية ذلك الجانب الغيبي لما له من معجزات وخوارق فوق قدرة البشر. وعبر هذه البوابة تمت عملية الرحلة العجائبية في غفلة من العقل. فخليل توهم بان رحلته دامت الاكثر من عام كامل بينما اتضح فيما بعد بأنه لم يغب عن البيت سوى ساعة واحدة فقط. فرحلة خليل الامام لم تكن سوى استغراق في الخيال و الحلم باستخدام بنية تكرس الجانب الغيبي في جانبها المعرفي "ولكنك لم تغادر البيت إلا منذ ساعة واحدة فقط"[1]. إن رحلة خليل الإمام إلى مدينة عقد المرجان تمت في أقل من ساعة وهي التي تخيلها الامام بانها دامت لأكثر من عام تقريباً.

إن الرحلة إلى مدينة عقد المرجان جاءت نتيجة لرغبة عند خليل الامام في ان يرحل مدائن الحلم والتي تشبه مدن ألف ليلية وليلة والتي عشقها بشعره بالأمان فخلق هذه الرحلة وعاش فيها لدرجة انه لم يستطع أن يميز فيها الحقيقة من الخيال، ولكنها تبقى وهم وخيال عاشه خليل الامام، فهذه الرحلة أشبه بأحلام اليقظة التي يعيشها الإنسان فهي أحلام تكون في يقظة الأنسان والتي يعتبرها علماء النفس علاجاً لكثير من الأمراض النفسية لدى الأنسان لأنها تخلصه من مشاعر الكبت والحرمان والشعور بالنقص وإلى أخر المشاعر السلبية لدى الإنسان.

---

1 - المصدر السابق، ص 161.

المبحث الثالث

فاعلية بنية الحدث في رواية "نفق تضيئه امرأة واحدة"

تعتبر بنية الحدث في رواية "نقص تضيئة امرأة واحدة" امتداد لبنية الحدث في رواية" هذه تخوم مملكتي" والتي تحدث فيها الأمام عن قيامه برحلة عجائبية لبلاد الحلم الأسطورية والتي أسماها مدينة "عقد المرجان"، وهذا الترابط والامتداد في كلا الروايتين يأتي من خلال الوحدة العضوية والتي تجمع الروايتين لأنهما مكملان لبعضهما الأخر، وتتجسد بنية الحدث في رواية نفق تضيئة امرأة واحدة من خلال سيادة بنية العقل التناسلي لأنها محكومة بهذه البنية من خلال فكر خليل الإمام.

تدور أحداث هذا الجزء من الثلاثية المعنون بـ (نفق تضيئه أمرأه واحدة) بعد عودة خليل الإمام من رحلته الأسطورية والتي كانت نتيجة لمعاناته لعدم تأقلمه مع المجتمع بعد عودته من بلاد الغرب، وما حدث لبنيه الفكرية من تصدع جزئي أثّر على جملة من المفاهيم العامة للحياة لديه مثل الحب، الخير، وغيرها من قيم فكرية.

إن الحدث من وجهة نظر التحليل الفاعلي هو الفعل القصصي في الرواية وهذا الفعل هو الذي يحدد حركة الشخصيات لتقدم تجربة إنسانية ذات معنى لها خصوصيتها المتميزة و عالمها المستقل.[1]

ومن هنا تكون بنية الحدث في رواية "نفق تضيئة امرأة واحدة" للفقيه هو نتاج لبنية غنية بالتشكيلات الدرامية وما تحتويه من تنوع وتعدد لمستويات تنازر بينات الوعي المختلفة بين شخوص الرواية مما ينتج عنه تعدد لمستويات الصراع داخل العمل الروائي سواء أكان الاجتماعي أو المنطقي أو الاقتصادي إلخ، فخليل الإمام

1 ـ أنظر: د. الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي نحو نظرية جديدة للأدب، محطوط، 2001 م، ص 135.

يعود بعد رحلة أسطورية حاول فيها معالجة أمراضه وأوجاعه ومن ثم يحاول أن ينسجم ويندمج مع مجتمع يستمج أغلب أفراده بنية العقل التناسلي" ها أنا الآن أخرج من تخوم مملكتي لأدخل دائرة العادة والروتين أكابد الحياة اليومية داخل مدينة لا تقيم أعياداً للماء والنجوم والقمر والزنابق وزهور أشجار اللوز والمشمش والليمون والبرتقال [1].

ونلاحظ بأن خليل الإمام يربط بين حدثين واحد يتعلق ببنية الحدث في رواية "هذه تخوم مملكتي" والأخر يتعلق ببنية الحدث في رواية "نفق تضيئة امرأة واحدة" وذلك للوحدة العضوية التي تجمع الروايتين لكونهما محكومتين بالبنية العقلية نفسها، والحدث الذي يربط بين الروايتين هو الرحلة العجائبية ومن ثم عودة الإمام إلى أرض الواقع، والتي يسرد لنا أحداثها في رواية "نفق تضيئة امرأة واحدة" وعلى الرغم من قسوة الواقع إلا أن الإمام يمضي لتحقيق المصالحة مع المجتمع لكونه يحيا فيه ويعايشه بشكل مستمر فيقرر أن يستمج أفكار المجتمع من جديد ليكون مفرده مثل باقي مفردات المجتمع وسط دهشة المحيط الذي يعرف خليل الإمام جيداً بأنه يعاني من مرض نفسي واكتئاب شديد الأمر الذي أدى إلى نفور الجميع منه "وسط دهشة زملائي الذين لا يعرفونني إلا متفرجاً ساخطاً أو رجلاً منطوياً على نفسه هارباً من مثل هذه الحلقات مريضاً أغلب الوقت بالكآبة وانشطار الذات [2]

إن التحديات التي واجهت خليل الإمام فيما مضى أدت إلى تصدع في بنية عقله التناسلي مما أثر على البنية التي يستدمجها فحاول أن يستوعب بنية فكر بديلة أكثر كفاءة وقدرة على تفسير مفهوم الحياة وتكون مقنعة له، والتصدع الذي تعرض له

---

1 . أحمد فراهيد الفقيه، نقص تضيئة امرأة واحدة، الجزء الثالث من الرواية، الطبعة الأولى، مايو 1991 م، دار رياض الريس للكتب والنشر، قبرص، ص 7.
2 . المصدر السابق، ص 32.

الإمام هو تصدع جزئي وليس كليًا كما سبق الذكر. فهو لا يشمل المجتمع ككل ولكنه ينحصر في الفرد وهذا النوع من التصدّع يمهد لنمو فاعلية الفرد ولكن خليل الإمام يفشل هذه المرة في أن يكون لديه مشروعه الخاص به، فالمشروع يجب أن يكون واضحاً، وأن يرتبط به الفرد وجودياً ووجدانياً وان يتكفل بالدفاع عنه فالمشروع هو الذي يكون لدى الفرد وعي الفاعلية وهذا لم يحدث مع خليل الإمام لأنه هزم من قبل البنية المسيطرة على المجتمع وهي بنية العقل التناسلي، لذلك آثر خليل العودة إلى داخل أسوار البنية المهيمنة على المجتمع وأن يكون أحد أفرادها ليحيا معها بسلام .

ويمكننا أن نقسم بنية الحدث في رواية: "نفق تضيئة امرأة واحدة" إلى :

1 – مفهوم الحب لدى خليل الإمام.

2 – سيادة بنية العقل التناسلي.

1 – الحب مفهوماً لدى خليل الإمام:

إن الحب في نظرية التحليل الفاعلي يعد مرادفًا للفاعلية، وهو من أهم سمات بنية العقل الخلاق، وهو البنية التي يعي الإنسان من خلالها ذاته بوصفه كائناً خلاقاً ونشطاً وظيفته في الحياة هي الفاعلية أي الحب والإبداع والعطاء.[1]

ولكن لبنية العقل التناسلي رأي مخالف لقضية الحب تختلف عن رأي بنية العقل الخلاق، فبنية العقل التناسلي ترفض الحب من خلال مكونها العقلي والذي تفرضه على كل من يستدمج فكرها، فالحب وخاصة بين الرجل والمرأة يعد محرمًا قبل الزواج وهو شيء متعارف عليه في فضاء العقل التناسلي، وهذا ما لمّح له الإمام عند حديثة عن مفهوم الحب أمام الجميع فهو في قرارة نفسه له رأي مغاير للمفهوم المتعارف عليه داخل المجتمع التناسلي ولكنه لا يجرؤ على البوح به إلا لنفسه، ولكن

1 - أنظر: د. الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب، مخطوط، 2001 م، ص 95.

رأيه أمام الجميع كان مرافقاً لرأي بنية العقل التناسلي في نظرتها لموضوع الحب، فهو يرى بأن الحب قبل الزواج ضرب من الوهم والخيال لا وجود له "لم أفعل ما يفعله هؤلاء الذين يصفون حباً من نظرة خاطفة ثم يتوهمون كذباً بأنهم تزوجوا حبيباتهم"[1]

ولكن عندما تعلق خليل الإمام بسناء اعتقد بأنها الحب الصادق في عالم الحلم والحقيقة، وصار مفهوم الحب لديه مغايراً تماماً للمفهوم الذي تنادي به بنية العقل التناسلي، فدلالة الحب أصبحت لديه تعني الحياة والتي يقابلها الموت لأنه يعي بأن الحب في فضاء بنية العقل التناسلي قبل الزواج هو عمل محرَّم وقد يؤدي إلى الموت لذلك كان الحب لديه يفجر معاني الحياة فيرفض في المقابل معنى الموت الذي حكمت به بنية العقل التناسلي على مفهوم الحب، لذلك جعل الإمام من الحب أعظم شيء في الدنيا عندما كان يتحدث إلى سناء "لا شيء نستطيع أن نقهر به الموت الذي ينصب فخاخه في أجسادنا سوى الحب"[2]

فالإمام هنا يعبر عن حالة فكرية تتجاوز مرحلياً بنية العقل التناسلي والتي يستدمجها مجتمعه الذي يحيا فيه بينما نجد سناء والتي صارت تميمة الحب في زمن الواقع والحلم لدى الإمام لا ترى في الحب أكثر من شيء غير موجود على أرض الواقع وهي بذلك تتماهى مع أفكار بنية العقل التناسلي فهي تعيش في وسط محكوم مسبقاً بأفكار لا يجب الخروج عليها فهي لا ترى الحب مثلما يرى خليل الإمام "لا أعرف كلمة أخرى عبثنا بها كثيراً حتى لحقها العطب مثل هذه الكلمة"[3]

---

1 - أحمد إبراهيم الفقيه، نفق تضيئه امرأة واحدة، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، مايو 1991م، دار رياض الريس للكتب والنشر، قبرص، ص 12.
2 - المصدر السابق، ص 36.
3 - المصدر السابق، ص 36.

بل أنها تزيد في استلهام بنية العقل التناسلي وخاصة فيما يتعلق بموضوع الحب "إنه مثل طائر العنقاء شيء لا وجود له"[1]

فالحب شيء غير موجود من وجهة نظر سناء وهذه النظرة توافق تماماً مفهوم بنية الوعي التناسلي عن الحب والذي تحصره في مؤسسة الزواج، فسناء تعتقد بأن الحب لا يكون إلا من خلال هذه المؤسسة التي تعتبر العمود الفقري لبنية العقل التناسلي، ولكن في حقيقة الأمر نجد أن مفهوم الحب لدى خليل الإمام لا يعدو كونه تعبيراً صادقاً عن بنية العقل التناسلي والتي يستدمجها هو نفسه حتى ولو حدث لديه تصدع جزئياً وهذا لا يعني بأنه قد استدمج بنية أخرى ولكن اقتبس بعض الأفكار وحاول توظيفها في فضاء بنية العقل التناسلي. فخليل الإمام يعبر عن مفهوم الحب ويفسره من الجانب الحسي للموضوع وهو الشيء الذي تحظره بنية العقل التناسلي وتقصره على فترة ما بعد الزواج، فخليل الإمام يريد ممارسة هذا الحب خارج مؤسسة الزواج وهذا مالا ترضاه بنية العقل التناسلي وهي تفرض عقوبات قاسية على كل من يحاول فعل مثل هذه الممارسات خارج الزواج قد تصل إلى حد الموت "لماذا يكون الحب إن لم يكن هذه الدماء التي تركض في بدني تريد أن تغادرني وتفر إليها، هذه الرغبة الحارقة لأن أسند رأسي فوق نهديها وابكي واغسل يدي في موج شعرها وأغني، ألم وجهها وأرتشف الندى من فوق شفتيها وأعانق في عينيها المدى".[2]

مطابقة الحلم بالواقع:-

لقد جاهد خليل الإمام في محاولة لمطابقة الحلم بالواقع، فلقد حلق في عوالم الأخيلة البعيدة من خلال استفادته من التقنيات التي تنطوي عليها بنية الوعي التناسلي ومن هنا كان وجود سناء الحقيقي ومطابقتها لعوالم الخيال والأسطورة وفق معايير

1 - المصدر السابق، ص 16.
2 - المصدر السابق، ص 17.

ومقاييس تحتكم إلى بنية العقل التناسلي خاصة فيما يتعلق بأستيمية المعرفة الغيبية فيها كما سبق الإشارة إليها، فالبحث عن الحب المفقود كان من أكبر الدوافع وراء الرحلة العجائبية إلى بلاد عقد المرجان، فروح الإمام متعطشة للحب منذ صباه وهو المحكوم ببنية تجعل من الحب شيئاً محرماً قبل الزواج وهذا رسخ فيه كغيرة من أفراد المجتمع مجموعة من العقد الأوديبية والرغبات الدفينة التي تتعلق بمفهوم الحب، وبعد تعرف خليل الإمام على سناء في الجامعة أسقط عليها كل أخيلته وحاول جاهداً أن يقنع نفسه بأنها الحب الضائع وصنع منها فارسة لكل أحلامه "كنت أجهد نفسي في البحث عن تفسير واع لمعجزة ظهورها، لابد من تفسير يقبله العقل".[1]

مفهوم الحب بين بنية العقل التناسلي بنية العقل الخلاق:-

الحب محصور بين الزوج وزوجته وبمفهوم عام يجب أن يكون هذا الحب في إطار مؤسسة الزواج، الحب بمفهومه في بنية العقل التناسلي لا يرقى للمفهوم الذي تعنيه بنية العقل الخلاق التي ترى في الإنسان كائناً دوره في الحياة الفاعلية وهي الحب والإبداع والعطاء الشامل.[2]

فالحب في فضاء بنية العقل الخلاق يعني العطاء كونه أحد مكونات البنية العقلية لتلك البنية، وفي هذه البنية تحديداً تكون برامج العطاء مفتوحة لتشمل القريب والغريب على عكس بنية العقل التناسلي والذي تكون برامج العطاء فيها مغلقة غير مفتوحة ومحصورة على الأسرة وأن اتسعت فهي تشمل العشيرة أو القبيلة فقط فالخلاف جوهري بين البنيتين العقليتين فخليل الإمام لم يرتق إلى مستوى من الفاعلية ليستدمج فيها بنية العقل الخلاق ولكنه ظل رهين بنية العقل التناسلي حتى وأن حاول

---

1 - المصدر السابق، ص 20.

2 - أنظر: د. الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب نحو نظرية جديدة للأدب، 2001 م، ص 95.

جاهداً أن يظهر أفكاراً مغايرة لبعض الأفكار التي تتبناها بنية العقل التناسلي "من أين جاء إلى حياتنا هذا التطرف في قهر العواطف وكبتها حتى أصبح التنكر لعواطفنا عرفاً سائداً في التفكر والسلوك". [1]

فخليل الإمام يرى أن البنية الفكرية والتي يؤمن بها أغلبية أفراد المجتمع هي بنية متطرفة وقاسية تقوم على قهر عواطف الناس وكبح جماح مشاعرهم وهذه الطريقة تعد من أقوى وسائل الضبط لدى بنية العقل التناسلي والذي تمارسه ضد أفراد المجتمع حتى تضمن سيادتها الفكرية والحضارية والسلوكية على المجتمع. لذا صار التنكر للعواطف عرفاً وقانوناً سائداً في المجتمع من الناحية السلوكية. واعتبرت تلك العواطف والمشاعر في ظل البنية الفكرية التناسلية ضرباً من الضعف واللين لدى الإنسان في مجتمع ذكوري لا يؤمن إلا بالأقوياء، فهذه البنية بنية المجتمع الذكوري القوي بسواعده وفحوله فهو مجتمع لا يعترف بالضعف والذي تسببه المشاعر والعواطف، فهذه البنية الفكرية صارت سلوكاً وطريقة حياة متعارف عليها بين أفراد المجتمع، فالمرجعية الفكرية والمتعارف عليها بين الناس هي القيمة السلوكية التي يحيا بها أفراد المجتمع والذي ينظر إلى أية علاقة حب قبل الزواج على أنه أمر محرّم ويجب أن يعاقب كل إنسان يقع فيه.

لقد نادى خليل الأمام بجملة من الأفكار والتي نظر إليها بشكل مغاير عما كانت تنظر إليه بنية العقل السائدة في مجتمعه، وهي أفكار كان يلقيها على استحياء خوفاً من آليات الضبط التي تستعملها بنية العقل التناسلي لمعاقبة الخارجين عليها، فالإمام يعتبر أن الفصل بين الرجال والنساء إنما مرده إلى عصور الانحطاط والتخلف الحضاري وهذا الخطاب لا تقبله بنية العقل التناسلي لأنه يمثل تمرداً على أساسها

1 - أحمد إبراهيم الفقيه، نفق تسعينة امرأة واحدة، الجزء الثالث من الرواية الثلاثية، الطبعة الأولى، 1991 م، ص 21.

الفكـري والقيمـي داخـل المجتمـع "إن تقاليـد التزمـت والفصـل التعسـفي بـين النسـاء والرجـال إنمـا هـي تقاليـد مفروضـة مـن خارجنـا، إرث ثقيـل جـاء مـن عصـور الغـزو والانحطـاط والتراجع الحضاري". [1]

وبالمقابل نجد بأن البنية التي يعيش فيها الإمام تقوم بتحريم الحب والجنس قبل وخـارج مؤسسـة الـزواج ففـي أحـدى الشـرائع القديمـة جـاء لـو أن رجـلاً واقـع شـاة يقتـل وتقتـل الشـاة، بـل أن الكبـت والحرمـان الجنسـي فـي ظـل السـلطة الأبويـة المطلقـة تعـد مـن أنجـح الوسـائل التـي تتخـذها بنيـة العقـل التناسـلي مـن أجـل تـرويض وتهـذيب الشـباب وإرغـامهم علـى القبـول بـأن الهـدف الوحيـد مـن الحيـاة هـو تكـوين الأسـرة وانجـاب الأطفال. [2]

ولكننـا نجـد بـأن خليـل الإمـام لـم يجـد الحـب مـن وجهـة نظـر بنيـة العقـل التناسـلي والتـي تحصـره فـي الـزواج، فخليـل تـزوج ولكننـا نـراه يعـود إلـى البيـت فيحس بـالخواء والوحـدة والألـم لأنـه لـم يجـد فـي هـذا الـزواج الحـب المنشـود، فهـو ينـام بجـوار زوجتـه فاطمـة ولكنـه لا يجـد معهـا سـوى الإحسـاس بـالخواء والغربـة ويحـس بأنـه لا ينتمـي إليهـا، لقـد كـان زواجـه منهـا مبنـي علـى قواعـد وأسـس بنيـة العقـل التناسـلي، ولكنـه لـم يتوافـق مـع تلـك القواعـد والأسـس فقـرر البحـث عـن الحـب فـي عـوالم الخيـال ليصـل إليـه فـي نهايـة الأمـر حقيقـة فـي عـالم الواقـع لا الخيـال "وسـريعاً انتهـت الرحلـة ووجـدت نفسـي عائـداً إلـى بيتـي، أنـام فـي سـرير واحـد مـع امـرأة غريبـة"[3]

---

1 - المصدر السابق، ص 22.
2 - أنظر: د. الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب، 2001 م، ص 86.
3 - أحمد ابراهيم الفقيه، نفق واحد تصيئة امرأة، الجزء الثالث، ص 42.

فالزوجة بالمفهوم التناسلي لا تعني لخليل الإمام سوى الغريبة في مجتمع الأعراف والتقاليد التناسلية، فالحب الذي ينشده الإمام شيء أخر غير موجود في هذه البنية السائدة في المجتمع.

2 – سيادة بنية العقل التناسلي:

نلاحظ ي رواية "نفق تضيئة امرأة واحدة" مبدأ سيادة الوعي التناسلي المصاحب لبنية العقل التناسلي من خلال مكون الدلالة في فضاء هذه البنية، وذلك من خلال الأحداث التي تتلاحق عند تصفحنا للرواية، ومن هذا المنطلق نجد أن الإنسان تحت هذه الشروط ومن خلال مكون الدلالة التناسلي يعي نفسه على الصعيد السيكولوجي بأنه كائن تناسلي وظيفته ودوره في الحياة هو التناسل، ويكون الزواج وتكوين الأسرة وإنجاب الأطفال هو غاية الحياة لديه، ومن هنا ينظر لقضية العقم في المجتمع التناسلي على أنه مساو للموت أو العدم، بل يذهب الكثير من التناسليين بأن أي زواج لا يتحقق من خلاله أنجاب الأطفال يعد محرّمًا وغير مقبول ومن هنا يكون من ضمن اليات الضبط لدى هذه البنية التناسلية تداخلاً بين المفهوم السيكولوجي في بنية العقل التناسلي ومكون الدلالة وذلك لخدمة بنية العقل التناسلي، ومن ضمن هذه الأليات إعداد المرأة حتى تقبل بأن دورها الوحيد في الحياة هو الأنجاب، بينما يُعد الرجل بحيث يتطابق مفهوم الرجولة لديه مع مفهوم الفحولة، وهذا ما يؤكده الإمام من خلال حديثه عن أسطورة ايزيس مع أوزريس وما لهذه الأسطورة من دلالة عن سيطرة بنية العقل التناسلي عبر التاريخ ويكفي بأنها أول بنية عقلية سادت عبر العصور من أجل توفير البشر كمياً "هذه المرأة ايزيس عندما مات أوزريس وخشيت إلا يبعث من جديد فذهبت تبحث بين أعضائه التي تناثرت في أرجاء الأرض عن تلك

القطعة من جسمه التي تقوم بمهمة الأخصاب وأخصبت نفسها وأنجبت ابنها حورس"[1].

فنحن إزاء مجتمع يكرس الفكر التناسلي من خلال التكوين النفسي للذين يستدمجون هذا الفكر، والمقصود باستدماج بنية يعني بأنها تحدد سلوك الفرد وأسلوبه في الحياة أكثر من البنيتين الأخريين، فعندما نتابع أحداث رواية "الفق تضيئة امرأة واحدة "نجد أن السيكولوجيا التناسلية تظهر واضحة للعيان متجسدة في خليل الإمام والذي يرغب في أن تكون سناء عشيقة له من خلال تخيلاته والتي تعكس واقع نفسي وعقلي لإنسان يستدمج بنية العقل التناسلي.

ونجد هذه السيكولوجيا عند محمود عندما تحدث عن سناء والتمس العذر لخليل الإمام في عشقها "على كل حال فهي امرأة تستحق أن يدخل الرجل المعارك من أجل عيتيها". [2]

وهي ذات السيكولوجيا عند الأستاذ شعبان زميل الإمام في الجامعة عندما كان يهم بالمغادرة والذهاب إلى المحكمة ولكن عندما شاهد سناء تزور خليل في مكتبه لمناقشة بحث حول ألف ليلة وليلة تسمر في كرسيه ولم يشأ أن يغادر وعلق على سناء بعد مغادرتها من خلال تلك لسيكولوجيا بقوله "مازال الجنس بضاعة رائجة تجذب النساء الجميلات". [3]

- نظام القيم التناسلية:.

من خلال حديثنا عن سيكولوجية بنية العقل التناسلي لا يفوتنا الحديث عن نقطة مفصلية وهي تكوين الأسرة وذلك من خلال أهم أيقونة في هذه البنية وهي

1 - المصدر السابق، ص 32.
2 - المصدر السابق، ص 70.
3 - المصدر السابق، ص 41.

الزواج، ولكن هذا الزواج مشروط بأن يكون موافقاً لأفكار بنية العقل التناسلي، وهذا يعني بأن الزواج هو هدف الحياة والهدف الأكبر هو أنجاب الأطفال، ومن هنا يكون نظام القيم في هذه البنية هو الذي يحدد معنى الحياة والموت والانتصار والهزيمة على النحو الذي يحفز كل فرد من أفراد المجتمع على أن ينجب أكبر عدد من الأطفال، فعلى سبيل المثال إذا فشل التناسلي رجلاً كان أو امرأة في عملية التناسل فإنه لا يرى بأنه فقد بعداً أو ركناً من حياته بل يرى أن حياته بوصفه كائناً تناسلياً قد انهارت، وتعتبر قمة الانتصار من خلال العقل التناسلي هو الانتصار الجنسي وقمة الهزيمة هي الهزيمة الجنسية، وأن الهدف النهائي من الحياة هو تكوين أسرة وانتاج أكبر عدد من الأطفال.[1]

ومن هنا كان العقم في هذه البنية الفكرية مرادفاً للموت ونهاية الحياة وهذا بالتحديد ما حدث مع خليل الإمام وفاطمة زوجته فبعد لم يحدث بينهما حمل رغم مضي سنوات على زواجهما، بل ألاذهي من ذلك هو عدم قدرة الزوج خليل على التواصل مع زوجته وهذا يعتبر انهياراً تاماً للعلاقة الزوجية بينهما حسب شروط بنية العقل التناسلي "إن هذا الشيء الذي لا يحدث في الفراش هو بذاته ما سيكون حجتي لحظة تجيء الفرصة لإقناعها باستحالة حياتنا الزوجية". [2]

وهكذا لا يمكن أن تستمر علاقة الرجل بالمرأة إلا إذا كان هناك أطفال من خلال هذه العلاقة "تحرّم على وجه الخصوص الممارسات الجنسية التي لا تحقق الأنجاب"[3]

---

1 - أنظر: د الشيخ محمد الشيخ، التحليل الذاتي والأدب، ص 84.
2 - أحمد ابراهيم الفقيه، نفق تضيئة امرأة واحدة، 1991 م، ص 99.
3 - د. الشيخ محمد الشيخ، التحليل الذاتي والأدب، 2001 م، ص 86.

فخليل الإمام ليست لديه القدرة على الإنجاب وإثراء الحياة بالأطفال وهذا ما ترفضه بنية العقل التناسلي "أنثى رجل عقيم لا قدرة له على منحها أطفالاً يملؤون خواء العمر"[1].

وهذا بدوره كاف لإنهاء العلاقة الزوجية بين خليل وفاطمة وهو مبرر منطقي لإنهاء علاقة الزواج، فالأطفال في ضوء هذه البنية وخاصة الذكور منهم يشكلون السواعد القوية مستقبلاً ويمكن توظيف هذه السواعد لتأمين الجانب الاقتصادي علاوة على أنه يشكل قوة عسكرية ضاربة فتصبح الأسرة أو القبلية التي لديها أكبر عدد من السواعد في مأمن من تربص المعتدين، فالرجل المحترم هو الذي في حوزته أكبر عدد من الأبناء وخاصة الذكور [2].

1 - أحمد إبراهيم الفقيه، نفق تضيئة امرأة واحدة، الجزء الثالث، 1991 م، ص 48.
2 - أنظر: د. الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب، 2001 م ص 83.

الفصل الثاني

فاعلية بنية الشخصية في الرواية الثلاثية

المبحث الأول

فاعلية بنية الشخصية في راوية "سأهبك مدينة أخرى"

أحمد إبراهيم الفقيه

نمو الفاعلية في بنية الشخصية:-

الفاعلية التناسلية في شخصية خليل الإمام:-

إن انبناء الفاعلية في بنية الشخصية يتم بوسائل متعددة أو متنوعة من ضمنها الانفلات من بنية العقل السائدة والدفاع عن المشروع البديل، وأيضاً وفاء كل بنية لمشروعها والدفاع عنه بشتى الوسائل علاوة على توظيفها للبنيتين الأخريين إحداهما أو كلتيهما لأغراضها أو تهميشهما وطمسهما بغية تحقيقها برامجها، وفي هذا الإطار نلاحظ أن بنية الشخصية في رواية (سأهبك مدينة أخرى) لأحمد إبراهيم الفقيه لا تحتوي على انفلات عن بنية العقل السائدة ولكنها بالمقابل غنية بالفاعلية التناسلية. ومن أبرز مظاهر الفاعلية التناسلية هو توظيفها العقل الخلاق من أجل مهامها وأغراضها، والمعلوم أن بنية العقل الخلاق هي أرقى البنى العقلية الثلاث لاحتوائها على برامج للعطاء برامج مفتوحة. فالإنسان الخلاق هو شخص قادر على فعل الخير وغير قادر على الاعتداء على الاخرين وظلمهم، ومن هنا نلاحظ أن بنية الوعي التناسلي قد وظفت بنية العقل الخلاق لخدمة أهداف وأغراض الوعي التناسلي ونلاحظ ذلك جلياً في شخصية الخليل الإمام، فلقد وظف بنية العقل الخلاق من أجل أغراض ومهام بنية عقله التناسلي.

"أسمع سؤالاً عن الجانب الذي اخترت دراسته، فأجيب بصوت يلونه الأداء المسرحي: عن العنف والجنس، لم يكن العنف والجنس إلا موضوع دراسة مقارنة أكتبها عن أثر الأسطورة العربية في أدب اللغة الإنجليزية.... وامضي وراء الإثارة التي يصنعها الحديث عن العنف والجنس أقول لها فالليالي ليست سفائن سندباد وكنوز علي بابا، وفضول حلاق بغداد ومصباح علاء الدين الذي يسكنه ملوك الجان، ليست فقط بساطاً سحرياً نسافر فوقه..... إنه العنف

والجنس والعنف وحديث يتكسر به جليد اللقاءات الأولى ليسهل بعد ذلك العبور إلى مخادع النساء المنبهرات بشرق الخرافات". [1] يتضح لنا أن علاقة خليل الإمام بالمعرفة لم تكن أساسية، أي بمعنى المعرفة من أجل ثمار المعرفة ولكن هذه المعرفة كانت لخليل الإمام مجرد وسيلة لرسالته الجنسية، فهو يستغل موضوع دراسته عن العنف والجنس وكل ثقافته في الأدب والفلسفة محاكيًا الأسطورة والتي يصوغها بلغة بلورية شفافة تستدعي مصطلحاتها من ألف ليلة وليلة من أجل إغواء أكبر عدد من النساء وإدخالهن إلى مضجعه ليكون وفيًا لبنية عقله التناسلية وهذا ذكرنا بشخصية "بمصطفى سعيد" بطل رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح، لقد استطاع مصطفى سعيد إغواء أعداد هائلة من البريطانيات مستخدماً كل نبوغه وثقافته "أقرر الشعر، وأتحدث في الدين والفلسفة، وأنقد الرسم، وأقول كلامًا عن روحانيات الشرق حتى أدخل المرأة إلى فراشي ثم أسير إلى صيد آخر". [2]

كان هم خليل الإمام أن يهرب من مجتمع يقع في قبضة بنية العقل التناسلي بكل ما تعنية الكلمة، فلقد كانت هذه البنية تضع القوانين القاسية والتي تضبط بها كل أفراد المجتمع والذين يستدمجون هذه البنية، بينما كانت تعاقب كل من يحاول الانفلات منها أو ان يستدمج بنية عقل بديلة، ولهذا كان خليل الإمام لا يجرؤ على استدماج بنية عقل بديلة، ولكنه كان تحت وطأة ضوابط بنية عقله التناسلية كان ممن أذعنوا لهذه البنية فجعلت منه شخصاً سلبياً وانهزامياً لا يقوى على مواجهة التحديات الكبرى في حياته كما سنرى لاحقًا، ولكنه آثر السلامة وهادن بنية عقله التناسلية، وكان أكثر شيء يمكن أن يحققه بإشباع رغباته المكبوتة داخل مجتمعه المستدمج لبنية العقل التناسلي هي الهرب من ذلك المجتمع الذي تهيمن عليه بنية العقل التناسلي، والانتقال إلى مجتمع لا تحكمه بنية العقل التناسلي من أجل التنفيس عن مكنونات نفسه والتي كبتتها بنية عقله، ومن أجل هذا الهدف كان سعى خليل الإمام لتغطية هروبه من بنية عقله والتي يستدمجها

---

1 - أحمد إبراهيم الفقيه، ساعيك منبئة أخرى، ص11

2 - الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، دار العودة للنشر والطباعة بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، 1981م.

أغلبية أفراد المجتمع بحيث ترضى عنه بنية وعيه التناسلي ويكون تبرير هروبه منطقياً، وكان هذا الهروب عن طريق السفر إلى خارج البلاد من أجل اكتساب العلم والمعرفة وليكون أيضاً ستاراً وغطاء لهروب خليل الإمام وليمنحه قليلاً من الانطلاق في عوالم جديدة:

"وجدت نفسي مبعوثاً على حساب الدولة بعد أعوام من الانتظار والملاحقة، فجئت فرحاً بفرصة الانفلات من قبضة الحياة المضغوطة داخل المجتمع الصغير والمتحصن بأسواره العالية، لم أسأل عندما جئت إذا ما كان العالم حقاً واسعاً ورحباً كما كنت أقرأ عنه في الكتب لأنني لم أكن أريد سوى جرعة من سوائله السحرية التي تروي جفاف الجسد وتطفئ عطش القلب"[1].

لهذا كان خليل الإمام مجرد متسلل إلى العقل البرجوازي ولم تكن دراسته بالخارج إلا وسيلة للتنفيس عن مكنونات تم كبتها وهي محاولة لإشباع هذا العطش والذي يشبهه خليل الإمام بالصحراء والتي يحملها في أعمق نقطة في نفسه، وتتسرب إليه في كل علاقاته بدون أن يدري، ولهذا كان خليل الإمام يمثل بنية العقل التناسلي أصدق تمثيل، لقد توسل خليل الإمام بموضوع دراسته والذي يحقق له ما أراده ولهذا كانت علاقة خليل الإمام بموضوع دراسته كعلاقة الطعم بفريسته:

"وجدت موضوعاً مثيراً ومسلياً عن العنف والجنس والأساطير في كتب الشرق والغرب فاتخذته سبيلاً للحصول على الشهادة التي يطالبونني بها ثمناً لأيام الانعتاق القليلة هذه، ارتديت لبرد الشتاء كنزة ثقيلة وحذاء ثقيلاً وشالاً أحيط به عنقي، وقاومته بإقداح الشراب النفس الدفء قرب العواقد والنساء". [2]

وهكذا فقد كان موضوع العنف والجنس عند خليل الإمام ستاراً وقناعاً يوهم به الآخرين بأنه يسعى وراء المعرفة والتحصيل العلمي بينما كان في حقيقة الأمر شيء آخر تماماً، شخص

---

1 - المصدر السابق، ص 82.
2 - المصدر السابق، ص 82.

غير الذي يظهر للعيان، شخص مسكون بتيارات الوعي الجنسي والتي يحاول إشباعها بكل الوسائل الممكنة، فما أبعد الفكر ما بين الدكتور "هاورد" المشرف على موضوع العنف والجنس في ألف ليلة وليلة وخليل الإمام الطالب صاحب الموضوع:

"أريد أن تجعل من هذا البحث إضاءة لعبقرية الخيال عند العرب وكشفاً للحظة الحضارية التي أبدعت هذا النص. هكذا يقول الدكتور هاورد يقول ذلك بلهجته الأكسفوردية التي تصدر من قاع الحنجرة وتذكرني بممثلي المسرحيات الكلاسيكية فالتظاهر بالإنصات والاهتمام، إنه الوحيد الذي يأخذ موضوع الرسالة مأخذاً جدياً ويكثر من الحديث عن مسؤولية الباحث في الاهتداء والنفاذ إلى عمق القضايا التي يطرحها". [1]

لذا فإن خليل الإمام لم يستطع أن يقدم مساهمة حضارية فاعلة من خلال دراسته بل أنه استغل قدرته ومعرفته من أجل إغواء الفتيات. فلقد كانت بيئته السيكولوجية مأهولة بتيارات الوعي الجنسي وليست بمشكلات المعرفة والنهضة، فخليل الإمام ولأنه يحمل بنية عقل تناسلي، يعي نفسه ككائن تناسلي من منظور نفسي:

"إن ما يميز بنية العقل التناسلي عن البنيات الأخرى أن يكون مكون الدلالة في آلية تعقلها تناسلياً، ومن ثم فإن بنية الوعي المصاحبة بالضرورة تناسلية ماذا يعني هذا ؟ يعني هذا على الصعيد السيكولوجي أن المستدمج لبنية العقل التناسلي يعي ذاته ككائن تناسلي وظيفته ودوره في الحياة التناسل". [2]

وهذا تحديداً ما كان عليه خليل الإمام، لقد كان يعي ذاته ككائن تناسلي وظيفته التناسل فهو لا يرى الوجود إلا من هذا المنظار، وينظر إلى نفسه من خلال سيكولوجية بنية العقل التناسلي ومن هذا المنظور كان الإمام يعترف بحقيقة شخصيته الحقيقية والمخبئة وراء قناع الإنسان الذي يبحث عن العلم والتعليم "مستعيناً بشهرزاد وذاكرتها السحرية، بلصوص بغداد

---

1 - المصدر السابق، ص 84.
2 - الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب نحو نظرية جديدة للأدب، مخطوط 2001 م، ص 84.

وشطارها، بالأميرات الباحثات عن الحب، والمغامرين الحالمين بالمجد، بالجواري القابعات خلف الخدور، يملأن الأرض شجناً ودموعاً، أو رقصاً وغناء بالأمراء الذين يرتدون ملابسهم التنكرية، مستعيناً بالطلاسم والتمائم والأدعية والخواتم السحرية، بالجنيات القادرات على الطمس الطبيعة البشرية، والمردة الطائعين من قماقم الملك سليمان، ذهبت أبحث عن زمن أكثر بهجة من زمني القديم، مرتدياً ملابسي التنكرية، متخذاً مظهر رجل شرقي خرج لتوه من كتاب الأسطورة". (1)

لقد واجه خليل الإمام تحد لبنية عقله التناسلية والتي كان أغلب أفراد مجتمعه تستدمجها وتمثل ذلك التحدي في مرحلة الطفولة البائسة والتي عاشها محفوفة بالمخاطر يهددها الخوف والموت وعدم الأمان، فكانت طفولة لا طمأنينة فيها فالوالد في سعيه من أجل تأمين قوته وقوت أولاده يمشي على حقول الألغام والتي خلفها المستعمر متحدياً شبح الموت الذي يهدده كل لحظة وليست أشلاء الضحايا التي أكلت أجسادهم الألغام بدويها المرعب ببعيدة عن مخيلة خليل الإمام الطفل، مواجهة الموت من أجل قهر الموت والجوع، البيت كان خيمة تطوي وتنصب على ضفاف بحيرات الألغام في الصحراء الليبية الشاسعة وما أكثر بحيرات الألغام فيها، لقد كانت طفولة مريرة حقاً، إضافة إلى شخصية الأب المتسلط حال أي أب يستدمج بنية العقل التناسلي، فالقوة والجبروت والبنية العضلية هي سمات هذه البنية التي تتباهى بقوة سواعد الرجال وفحولتهم هذا من أسباب القوة في بنية العقل التناسلي:

فالقوة العضلية أهمية قصوى في هذه البنية، أهمية اقتصادية واجتماعية، فالرجل والأسرة التي في حوزتها أكبر عدد من الأبناء يمكنها أن توظف هذا الكم من السواعد في الصيد والرعي والزراعة، ومن ثم تؤمن حاجاتها من الغذاء، وفي نفس الوقت هذا الكم من السواعد يشكل قوة عسكرية ضاربة فتصبح الأسرة والقبيلة التي في حوزتها أكبر عدد من السواعد في

1 - أحمد إبراهيم الفقيه، ساعة سنوسة أخرى، ص 12.

مأمن من تربص الغزاة المعتدين، وهي من ثم ذات قوة ونفوذ ويصبح الرجل المحترم والمقدر هو الذي في حوزته أكبر عدد من الأبناء خاصة الذكور، أي الفحل. [1]

طفولة خليل الإمام وأثرها في تكوين شخصيته في الفضاء التناسلي:-

كاد خليل الإمام أن يموت في طفولته أكثر من مرة نتيجة للأمراض التي لحقت به والجهل المسيطر على عقول المعالجين الذين يستخدمون أساليب متخلفة في العلاج، لقد تعرض للكي على رأسه وكاد أن يموت، وختن بأدوات بدائية ملوثة سببت له التهابات حادة كاد أن يلقى حتفه بسببها لولا العناية الإلهية، إضافة إلى تسلط الوالد والذي كان يريد من خليل أن يكون رجل دين امتداداً لصورة أسلافه، الوالد ذو الشخصية الدكتاتورية والذي يصادر شخصية طفله الذي لم يبلغ السابعة من عمره بعد، وهذا سبب نوعاً من التحدي لشخصية خليل الإمام الطفل، وبالمقابل فإن هذا التحدي والذي تمثل في تهديد وجود خليل الإمام طفلاً والذي لم يجد الحماية الكافية من بنية العقل السائدة فسبب لخليل ما يسمى بتصدع بنية العقل من منظور التحليل الفاعلي وهذا التصدع هو جزئي لأنه تمثل في شخصية خليل الإمام وهو طفل وهو تصدع موضعي جزئي عادة ما يكون على نطاق الفرد والأسرة ويمهد لنمو فاعلية الفرد ويترتب على هذا التحدي الذي سبب الصدع أن تقوم الشخصية التي تواجه التحدي باستجابة تكون عادة نوعاً من الدفاع والحماية عن وجودها، ومفهوم الاستجابة هنا يكون إيجابياً مما يعني الانفلات من بنية العقل السائدة بمشروع للعطاء الشامل والدفاع عن هذا المشروع، والدفاع عن المشروع يحتاج من الإنسان أن يرتبط به وجودياً وهو ما يمكن تسميته بوعي فاعلية [2]، ولكن حبن الإنسان في الدفاع عن مشروعه يجعل بنية العقل السائدة تعتقله داخل أسوارها وتهزمه ليكون متغرباً بدون هوية ولا انتماء لبنية العقل السائدة في المجتمع وهذا ما حدث لخيل الإمام فيما بعد.

---

1 - أنظر الشوخ محمد الشوخ، التحليل الفاعلي والأدب نحو نظرية جديدة للأدب، مخطوط 2001 م، ص 83.
2 - أنظر الشوخ محمد الشوخ، التحليل الفاعلي، ص 107

ويمكن ملاحظة التحدي لطفولة خليل الإمام التي تجسدت في معاناته عندما حاول والده أن يفرض عليه وعلى أخوته نوعاً من التربية الصارمة والتي تحيل شخصية خليل الإمام إلى تكرار منسوخ عن أجداده وأفكارهم ، "أراد أن يهيئني لرسالة أسلافه فألهب ظهري بالسياط يدفعني إلى طريق المدرسة القرآنية التي كنت أهرب منها". [1]

بل إن الوالد ذهب إلى أبعد من ذلك عندما حاول أن يشنق ابنه عثمان الذي يكبر خليل بتسع سنوات "نصب له مشنقة وسط الغرفة ووضع الحبل حول عنقه وأراد أن يشنقه عقاباً على هروبه من الدروس، صار أخي يصرخ رعباً فك الأنشوطة عن عنقه وهدده بأنه سينفذ وعده إذا تكرر إهماله... وعندما نجا من الشنق فر هارباً من البيت ولم يعد إليه، إلى أن عرفنا فيما بعد أنه انضم للعمل بأحد المعسكرات في مدينة أخرى". [2]

إذن كانت طفولة خليل الإمام ضربٌ بالسياط وتهديداً بالقتل شنقاً مما دفع بأخيه والذي يبلغ السادسة عشر من عمره إلى الهرب من البيت فماذا نتوقع من خليل وهو طفل في السابعة من عمره يحيا ويعيش بهذه الطريقة ؟

لقد كان والده يقوده كل صباح إلى الفقيه ويوصيه باستخدام كل الوسائل التي في حوزته لتأديبه بما في ذلك فلقته، لقد سبب كل ذلك الظلم نوعاً من التحدي والذي حاول خليل الإمام أن يواجهه من خلال مفهوم الاستجابة للتحدي وما ينشأ عنها من إنبناء للفاعلية الفرد وما ينتج من مشروع فردي يحتاج من المرء أن يدافع عنه، وهذا يحدث عندما ينفلت الإنسان ويتمرد على بنية وعيه والتي يستدمجها بقية أفراد المجتمع، ولكن بنية الوعي السائدة في المجتمع لم تترك صاحب المشروع المنفلت عنها بسلام وذلك لأنه يمثل تهديداً لوجودها، عليه فإنها تقوم بمهاجمته ومواجهته بكل قوتها وجبروتها مستعينة بآليات الضبط لديها وبكل القوانين الاجتماعية والدينية والوجودية، ومن هنا لم يستطع خليل الإمام أن ينفلت بمشروع يمكنه من الهرب من

---

1 - أحمد إبراهيم الفقيه، ساعة مدينة أخرى، ص 72.
2 - المصدر السابق، ص 73.

بنية وعيه لأنه عاجز عن حماية هذا المشروع، لأن الأب الديكتاتوري والذي يصادر حرية طفله في التعليم والحياة يكون من أهم الأسباب السلبية التي لا تسمح بنمو الفاعلية:

"الجدير بالذكر أن الأسباب الداعية للإحساس لعدم الحماية والأمن منذ الطفولة المبكرة عديدة لأن مفهوم الأمن واسع يشمل الأمن العضوي والاجتماعي والاقتصادي، ومن ضمن هذه الأسباب الفقر والظلم والاضطهاد وعدم الاستقرار الأسري، اليتم، التعويق الجسدي... الخ، كما توجد أسباب إيجابية مثل الأب الديمقراطي الذي لا يصادر التفتح الحر المستقل لشخصية طفله خلافاً للأب المتسلط الذي يصادر حق طفلة في الاستقلال والتعلم الذاتي، بالطبع الأسباب السلبية – الحرمان – لوحدها لا تكفي لنمو الفاعلية، فكيف نتوقع أن تنمو فاعلية شخص مكبل بالحقارة وازدراء الآخرين".[1]

وهكذا فلقد كان لتربية خليل الإمام الأثر الكبير في تحديد سلوكه وشخصيته في الحياة والتي جعلت منه إنساناً سلبياً غير متفاعل مع القضايا الكبرى وهذا ما نلاحظه من خلال سلبيته في التعامل مع قضايا أمته العربية:

"أمتنعت عن قراءة أي شيء يتصل بالسياسة لكي لا أمنح محرري هذه الصحف فرصة اثارتي، أو مباغتتي بعبارة تفسد مزاجي هذا الصباح، واتجهت مباشرة إلى قراءة الأبواب التي تتحدث عن المطاعم، والحانات، وأنواع النبيذ، ومحلات السهر في لندن".[2]

وهكذا كان خليل الإمام يضع رأسه في التراب كالنعامة في محاولة للهروب من الواقع المحيط به والمتمثل في القضايا المصيرية لأمته العربية، وأيضاً كانت شخصية خليل الإمام شخصية انهزامية ومتخاذلة لأنها لم تكن تقوى على مواجهة الأخطار المتربصة بها ((أراد عدنان أن أكون نافعاً مثله، رأى قلبي فارغاً فأراد أن يحشوه بالوقود الذي ذهب يعبئ به فتيان الثورة في لبنان، لكن قلوب أولئك التلاميذ خضراء وقلبي متيبس أفسده دخان الحانات

1 ـ الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب، ص 108.
2 ـ أحمد إبراهيم الفقيه، سأهبك مدينة أخرى، ص 21.

ودخان الأساطير، رأني مستقبلاً من قضايا العاصة زاهداً في الدخول إلى ميادين الصراع أرفع راياتي البيضاء وأعلن الحياد فأهملني كعرف شجرة مقطوع تعبث به الرياح والأهواء)). [1]

مفهوم الحياة من منظور تناسلي وأثره على شخصية خليل الإمام:-

إن مفهوم الحياة لدى خليل الإمام قد ارتبط بمفهوم التناسل والجنس، وهذا تماماً هو مفهوم الحياة من وجهة نظر بنية العقل التناسلي فمنذ أن وطئت قدما خليل الإمام بريطانيا وهو في بحث دائم عن المرأة من أجل إشباع رغباته، وهو بذلك يكون وفيّا لبنية عقله فهي بنية تربط مفهوم الحياة بالتناسل فها هي ليندا توبخ خليل الإمام والذي دأب على جلب النساء كل ليلة إلى بيتها وهو الطالب الموفد من أجل إتمام دراسته، وكان بذلك يكرس مفهوم بنية العقل التناسلي: "ألم تستطع الاهتداء إلى صديقة ثابتة لعلها تريدني أن أترك بيتها وأبحث عن سكن جديد"[2]. ولهذا يرد خليل على هذا التساؤل لاحقاً "إن صديقة واحدة لا تستطيع أن تملأ فراغ هذه الصحراء التي تمتد تحت أضلعي".[3]

لقد كان خليل في بحث دائم عن المرأة والتي كانت مصدر سعادته وفخره، فقمة المجد والانتصار في بنية الوعي التناسلي هي لحظة الانتصار الجنسي والتي تمجد الرجل الفحل القادر على معاشرة أكثر عدد من النساء ولهذا يكثر في أدب هذه البنية ذكر الغزوات النسائية والتي تكون مصدر فخر واعتزاز لأن قمة الانتصار، في هذه البنية العقلية هو لحظة الانتصار الجنسي، ومن أجل ذلك قرر خليل الإمام أن يقوم بغزو ليندا والتي وقع في حبها فما كان منه إلا أن حاك مؤامرة ضدها ليضمها إلى مجموعته الجميلة ويستدرجها إلى مخدعه لتكون انتصاراً أخر يضاف إلى انتصاراته التي عرف بها في لندن منذ أن تنفس هواءها لأول مرة، لقد كانت المرأة هي الشغل الشاغل لخليل الإمام لأنه لا يعي نفسه إلا كائناً تناسلياً من الناحية السيكولوجية والاجتماعية والقيمية لذلك نجد أن خليل الإمام لا يبحث عن قيم أخرى كالمعرفة، أو محاولة

---

1 - المصدر السابق، ص 212.
2 - المصدر السابق، ص 13.
3 - المصدر السابق، ص 13.

مساعدة الأخرين لحل مشاكلهم ومساندتهم ومد يد العون لهم، ولكن همه الوحيد وشغله الشاغل قوته الجنسية وهذا مكون نفسي وتربوي تعود عليه الإمام منذ نعومة أظافره بحكم تكوينه النوعي المرتبط ببنية عقله ووعيه التناسلي والتي تحرّم الحب والجنس قبل وخارج الزواج، كما أنها تحرّم على وجه الخصوص الممارسات الجنسية التي لا تحقق الإنجاب:

"تتثاقل على الذاكرة صور ومشاهد من أعوام الطفولة والصبا، أطياف نساء خلف الشبابيك تعشقتهن وتعذبت بحبهن في صمت، أو وجه صبية وقفت أسابيع أنتظره من بين ظلفتي باب باهت الزرقة، يرتعش لدى مرآه الجسد حبًا وشبقًا"[1]

ومن هنا كان خليل الإمام يحاول أن يعوض ما فاته وذلك بأن يخوض معارك ضد أعدائه ممن ينتسبون إلى بنية أخرى ودين غير بنيته غير دينه وهو في هذا يمثل بنية عقله التناسلي من حيث هي بنية مغلقة لا توجد بها برامج عطاء فبرامج العطاء في بنية الوعي التناسلي تقتصر على الفرد وأسرته وربما عشيرته لذلك فهي بنية مغلقة، وهذا الإغلاق سببه تدني الفاعلية.

ومن هذا المنطلق نلاحظ بأن الغير والذي لا ينتمي إلى بنية فكر خليل الإمام يكون مستهدفاً بكل أريحية وبدون ان يكون هناك تأنيب للضمير وهذا تماماً ما حدث مع ليندا التي خطط خليل الإمام لاقتحام حياتها الزوجية والاستحواذ عليها لتكون إحدى أميراته على طريقة ملهمته ألف ليلة وليلة.

لقد كانت ليندا علاقة تحيا وسط الانفتاح والاختلاف التي تتيحه بنية العقل البرجوازي، ولكن خليل الإمام يغزو هذه العلاقة ويعطلها ويصيبها بأمراض يحملها معه من خلال بنية عقله التناسلي.

"بالرغم أنني حاربت هذه الرغبة بعد أن صار زوجها صاحباً وجاراً له حرمته، إلا أن هذا الافتتان بليندا ترجم نفسه في سلوكي وتعاملي معها، بل لعله كان معها دافعًا أساسيًا وراء انتقالي

1 - المصدر السابق، ص 82.

للمعيشة تحت سقف واحد معها وظل بطريقة لا واعية ينتظر فرصة أو ذريعة تتيح له القفز فوق أسوار المثل والاخلاقيات وصولاً إليها. أنني أفهم الان لماذا كنت أحرضها على الشراب حتى أشلها التبيذ وأضعف قدرتها على الرفض والمقاومة، إن هذا الذي حدث كان دون كلام ووسط جو من الصمت والتواطؤ كان شيئاً مدبراً. كان تنفيذاً لخطة أتقنتها تلك الإرادة التي تعمل بصمت وتدأب خلف الإرادة الواعية"[1]

وهكذا في غمرة العلاقة العاصفة بين خليل الإمام وليندا وسفرهما معاً إلى لندن ظهر الاختلاف واضحاً بين البنية الفكرية لكل منهما فخليل لا يرى من لندن سوى حي سوهو وما يحتويه من ترفيه ومتعة وجنس بينما ليندا ترى فيه الأمجاد الفنية وشتان ما بين الفكرتين فكرة تنطوي تحت لواء بنية العقل التناسلي والأخرى تحت بنية العقل البرجوازي "سوهو الحي الذي عرفته أكثر من أي منطقة أخرى، عندما أقمت في لندن للدراسة التحضيرية، فلم ار فيه إلا المسارح والمطاعم وعلب الليل ودكاكين الجنس، كان هو أيضاً يرتبط لديها بأسماء كتاب وموسيقيين ورسامين صنعوا أمجادهم الفنية في هذا المكان".[2] وهكذا فقد كان كل واحد يعمل بحسب ما تمليه عليه بنية وعيه الفكري.

- شخصية الإمام التناسلية وعلاقتها بالمرأة:

أخذت العلاقة بين خليل الإمام وليندا في الانتشار بين رواد حانة العناقيد وهذا ما كدر صفو خليل لأنه يعرف من خلال بنية وعيه التناسلي مدى قوة كلام الناس وتأثيره في مجرى حياة الكثيرين من الناس، ولكن لا بأس فالمكان والزمان هنا مختلفين عن الزمان والمكان هناك. "إنني لا أستطيع أن أكتم أفواه الناس ولا أستطيع في ذات الوقت أن أنسى ما يقولون ربما لأنني جئت من بيئة تضع اعتباراً كبيراً لكلام الناس لأنه يتحول أحياناً إلى خناجر تحز الأعناق أو

1 - المصدر السابق، ص 32.
2 - المصدر السابق، ص 34.

أعيرة نارية تخترق الصدور عندما يتصل بالشرف والنساء، أعرف أن الأمر يختلف هنا وأن مثل هذه القضايا تصبح شأناً شخصياً لا يهم إلى صاحبه".[1]

فخليل يتحدث عن الكلمة عندما تصبح مدية تحز الرقاب أو عياراً نارياً يخترق الصدور من أجل الانتقام للشرف وكما هو معلوم أن المقصود بالشرف هنا هو الشرف بمنظور بنية العقل التناسلي "حين يتحدث الإنسان التناسلي عن الشرف يكون معلوماً تماماً أنه يقصد شرفه الجنسي وليس شرف الوطن أو العمل أو العقيدة".[2]

ولو رجع المرء إلى سجلات الشرطة في بلادنا سيجد وإلى يومنا هذا أن معظم جرائم القتل ذات أسباب جنسية تتعلق بالعرض والشرف، كان خليل الإمام بحكم بنية عقله التناسلية وما فرضته هذه البنية من هيمنة تفوق الخيال على أتباعها وسجنها لهم داخل أسوارها العالية مما أدى إلى كبتهم بحيث أصبحت فيه العلاقة مع الجنس الاخر وكأنه مسخ وتشويه للعلاقات الإنسانية ومن هنا كان خليل الإمام غير قادر على تحقيق تواصل مع المرأة لأنه كان محروماً من هذا التواصل بحكم البنية العقلية المهيمنة عليه فلقد كانت المرأة نقطة ضعفه فهو يحبها ويحقد عليها في آن واحد، وكانت كل علاقته معها فاشلة مما أثر على شخصيته تجاه المرأة "إن الخيبات الكثيرة أورثتني شيئاً من الحذر في التعامل مع النساء وجعلتني أدرك أن لمثل هذه العلاقات قواعد وتقنيات يجب حفظها... وكنت في أعقاب هذه العلاقات السريعة الفاشلة أندم على نفسي لأنني لم أستطع أن أتجاوز التربية التي أورثتني تكويناً نفسياً لا يقوى على إنشاء العلاقات السوية".[3]

---

1 - المصدر السابق، ص 60.
2 - أنظر الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب، ص 85.
3 - أحمد إبراهيم الفقيه، سأهبك مدينة أخرى، ص 42.

وأيضاً قوله في هذا الصدد" انني أحب الواحدة منهن وكأنني أكرهما وأحقد عليها وأحملها وحدها مسؤولية الأرض المحروقة في صدري وما عانيته من إحساسات العار والخجل على كل عملية استمناء أو مضاجعة وهمية لنساء فوق الورق".[1]

وهكذا كانت شخصية خليل الإمام الغازية لبنية الوعي البرجوازي والتي يحملها فكراً تناسلياً تحكم عليه حياته ومقدراته وتجعله يسير على خطى من سبقوه ممن يحملون الفكر التناسلي كمنهاج حياة وعمل ولذلك لم يأب خليل عندما علم بأن دونالد كان على علم بعلاقته بلبندا على الرغم من دهشته من ردة فعل الزوج والذي كان يتوقع منه الكثير إلا أن خليلاً كان لديه منطق خاص به في تبرير علاقته مع لبندا "إن عقلي وضميري لا ينكران هذه العلاقة التي تربطني بلبندا لأنني لا أقيسها بمقاييس المجتمع الذي جئت منه فأنا الان أعيش بعيداً عنه، ولا أقيسها بمقياس المجتمع الذي أعيش فيه لأنني لا أنتمي إليه، أنني أقيسها بمقاييس ابتكرتها بنفسي للتعامل مع نفسي ومع الاخرين".[2]

وهكذا برر خليل علاقته مع لبندا ليهرب من كل مركبات النقص وتأنيب الضمير ليعيش فترة علاقته مع المرأة التي أغتصبها من زوجها بدون وجه حق وبدون أن يشعر بالحرج، كما برر علاقته أيضاً بأنها علاقة مؤقتة ولن تضر دونالد لأن زوجته ستعود إليه بعد فترة قصيرة "أن ما بيني وبينها ليس إلا علاقة مؤقتة، وما أنا إلا رجل عابر في حياتها وستعود لبندا بكاملها إليه بعد أن تكون علاقتي بها قد استنفذت زمنها وأغراضها".[3]

أراد خليل أن يحرر البدوي الساكن في داخله من ميراث ثقيل وهيمنة للفكر التناسلي ليأخذ استراحة في ظل الواحة البرجوازية الوارفة الظلال والتي لا ترى حرجاً في إباحية العلاقات الجنسية والتي تتخذها بنية الوعي التناسلي كأهم أداة ضد أفراد المجتمع لكي يذعنوا لها بالولاء والطاعة، ولأنه عندما ينعزل الإنسان بنفسه في مجتمع غير مجتمعه تكون له القدرة

1 - المصدر السابق، ص 150.
2 - المصدر السابق، ص 84.
3 - المصدر السابق، ص 43.

على التركيز والإنصات إلى ذاته ليكتشف أحياناً أشياء جديدة في نفسه لم يكن يعرفها أو يعيد اكتشاف أشياء بمفهوم جديد ومختلف عن السابق "كانت مناسبة أيضاً لأن أتعرف على هذا البدوي الذي يحمل ميراث العصور الطويلة يخبئ النساء داخل عباءة ثقيلة من التقاليد والقيم المستعارة من عصور الحريم والسلاطين باعتبارهن مخلوقات هشة ضعيفة يؤذيها ضوء الشمس أفتش عما تبقى من هذا الميراث في وعي ولا وعي الرجل الذي خلع أرديته البدوية وتخلى عن خيمته وشياهه ونياقه واكترى معقداً في طائرة تحط به في أكثر مناطق العالم تحرراً وانعتاقاً من سطوة القرون الوسطى".[1]

الأبستيمية المعرفية لشخصية خليل الإمام:-

إن البيئة الجديدة التي حل بها الإمام تختلف عن بيئته وفكره وثقافته، فهي بيئة مسكونة بفكرها البرجوازي الذي له أبستميته المعرفية وآليات ضبطه التي لا تتوافق وبيئة الفكر التناسلي التي يحملها خليل الإمام لذلك وجد خليل صعوبة في التعايش مع هذا المجتمع المختلف والتكيف معه "لم يكن سهلاً أن أحقق توازناً مع هذه البيئة التي تتباين أساليب الحياة فيها مع الأساليب في تربيت عليها، جئت ملفوفاً بقماطي المشرقي فوجدت نفسي جسماً غريباً لا يحقق توافقاً مع ما حوله".[2]

ولهذا كان خليل يحس بالغربة داخل المجتمع الذي يدرس به فلقد كانت غربة فكرية بالدرجة الأولى لأنه يستدمج بنية عقل تختلف عن بنية العقل التي يعيش معها في مجتمعها، ولأنه وقع في ازدواجية المفاهيم والقيم والمعايير فهو وفي لبنية عقله التناسلي وإن كان يظهر أحياناً عكس ذلك نفاقاً ورياء وزوراً فهو أحياناً يتوسل بقيم غريبة عن فكرة من أجل أن يقال عنه بأنه متحضر فها هو يتحدث عن عطيل والذي تقمص شخصيته ليعبر عما يجول في خاطره بأنه أبدل جلده ليكون متمشياً مع فكر الوعي البرجوازي نفاقاً ورياءً لتحقيق مكاسب

1 - المصدر السابق، ص 41.
2 - المصدر السابق، ص 83.

نسانية أكبر "ساجعله يتحرق شوقاً للقاء ديدمونه من أجل أن تروي له كل مرة قصتها مع الرجل الذي نامت معه في الليلة الماضية، وسيصبح عطيل الذي كان عنواناً للغيرة مثالاً للرجل المتسامح في عصر تحرر وانعتاق النساء وتتحول المأساة التي أبكت جيلاً وراء جيل ملهاة تفرح القلوب".[1]

ولكن حقيقة الأمر أن خليل الإمام ليس كما قال بأنه يمثل عطيلاً الذي صار مثالاً للتسامح ونموذجاً للانفتاح الحضاري ولكنه في حقيقة الأمر كان يحمل معه ميراثاً ثقيلاً يسكن عقله ووجدانه يتمثل في بنية عقله التناسلي والتي تتحكم فيه وبقوة تفوق الخيال لدرجة أن يتحول فيها خليل الإمام إلى مجرد دمية متحركة في يدها "تظل وجوه أب وأم وذوي قربى، رجال ونساء عاشرتهم زمناً ثم رحلوا عن الدنيا. اكتشفت في هذه اللحظات أنني أنقلهم معي يسافرون في دمي ويدفعون بأسئلة حارقة إلى حلقي عن معنى الأهل والانتماء للجذور، قيم وتقاليد تتربى عليها ثم نثور ضدها نفك في لحظة زهو بأنفسنا ارتباطنا بها ونعلن القطيعة معها لندرك أن حبالاً تمتد مثل الكوابل المحفورة في قاع البحر تشدنا إليها وتعيدنا مهما طوحت بنا الأسفار إلى حقيقة من نحن ومن نكون، قوة لها مفعول أجهزة التحكم الآلي على المدى البعيد تستطيع متى تشاء أن توجه حركتنا وتحدد مسارنا مهما توهمنا أننا خرجنا عن مجالها المغناطيسي وانتزعنا هامشاً لأنفسنا يتيح لنا أن نمارس حريتنا واختيارنا وتمردنا".[2]

مفهوم الموت والفراق في شخصية الإمام:

إن بيئة الفكر التناسلي تختصر مفهوم الحياة بالتناسل وتعتبر أن الرجل المقدر والمحترم هو الفحل وليس العالم كما أنها ترتبط بالموت والفراق ارتباطاً وثيقاً ولعل هذا الهاجس الذي كان يكدر صفو الحياة على خليل الإمام لأنه يعلم بأن الفراق سيأتي عاجلاً أم آجلاً مع ليندا ومع هذه الجنة التي فتحت ذراعيها لخليل، وذلك لارتباط الموت والفراق مع مفهوم الحياة في بنية العقل

1 - المصدر السابق، ص 15.
2 - المصدر السابق، ص 83.

التناسلي لذلك حاول خليل في علاقته مع ليندا بأن يعب منها ما استطاع من الحب والعشق لأطول فترة ممكنة لأنه كان يعلم بأنه شيء مؤقت وزائل فضرب بكل الاعتبارات الأخلاقية التي تمنع قيام علاقة مماثلة عرض الحائط "إن هذه الأنثى التي أذاقتني من ثمار فردوسها الأرضي سوف لن تكون لي غداً وإنني كما قال زوجها عابر طريق مسافر وجد ظلاً لقيلولته قبل أن يأخذه الطريق مرة أخرى، ولسوف استيقظ ذات يوم لأجد نفسي مرمياً في الخلاء مطروداً من بساتين هذه المرأة".[1]

هكذا كانت العلاقة مع ليندا مجرد قيلولة، لقد أصيبت هذه العلاقة بالفتور بعد ما كثرت بها التصدعات لكونها علاقة غير سوية ولأن وعي خليل الإمام لا يعرف كيف يقيم علاقة صحيحة مع المرأة لبحثه الدائم عن المرأة حتى في ظل وجود المرأة نفسها مما أثر على علاقته مع ليندا فقد أقام خليل علاقة مع ساندرا زميلته في الكلية ونجمة المسرح بالجامعة، بل إنه جاء بها إلى بيت ليندا وأدخلها إلى فراشه على مرأى من حبيبته السابقة مما زاد في توتر العلاقة معها "لعل تصالحي في الأيام التالية لم يكن تصالحاً وإنما محاولة أخرى لتجميد الصراع الذي بدأ يصيب حياتنا المشتركة بالتصدع والشقوق".[2]

ولم يعد لدى خليل متسع من الوقت يمنحه لليندا في وجود المرأة الجديدة ساندرا "أحسست بالإثم لأنني لم أعد أمنحها وقتاً يملأ هذا الفراغ الذي صنعته لها بعد ما انتزعتها من محيطها وعلاقاتها".[3]

وأخيراً جاءت ساعة الفراق بين خليل وليندا والذي لم يكن همه من العلاقة الحب بمفهومه الإنساني الخلاق وإنما كان الدافع هو الهاجس الجنسي الذي يسكنه والذي يرى الوجود من خلاله وكأنه نظارة يضعها على عينيه لا يرى العالم إلا منها، وهكذا فقد كان خليل مجرد عنصر في بنية تعيد إنتاج نفسها من خلاله لا يقوى على الانفلات منها وهي بنية عقله التناسلي،

---

1 - المصدر السابق، ص: 50.
2 - المصدر السابق، ص: 85.
3 - المصدر السابق، ص: 80.

وكان خليل في هذه المواقف العصيبة والحالكة لا يوجه الاتهام إلى نفسه في محاولة لدرء التهمة عنها وإنما كان يلقي بتبعة الفشل على ذلك الإنسان الغامض والذي يسكنه رغماً عنه، ولكن لم يكن ذلك الشخص سوى الوريث الشرعي لبنية العقل التناسلي والذي يحمل كل خصائصها الوراثية ويعيد إنتاج تلك البنية في عقل ووعي خليل الإمام الذي كان يعمل ويحيا ويتصرف على ضوء هذه الشخصية والتي كانت تحتويه وتتحكم فيه "الرجل البدائي الذي يطل برأسه ليدمر كل علاقة مبهجة، يتسلل ملتحفاً بالظلام ليطعن بخناجره المصنوعة من الصوان البشر الذين أحبهم ويشعل الحرائق في البيوت التي منحتني الأمان، مخاتل مخادع يباغتني دائماً دون إنذار فلا انتبه لأفعاله وتصرفاته إلا عندما تداهمني النتائج مثل حوادث السير القاتلة". [1]

بل إن خليلاً يذهب إلى أبعد من ذلك ليتهم هذا الرجل البدائي القابع في أعتم بقعة في نفسه والذي يحمل شعار بنية العقل التناسلي بأنه المسئول الوحيد عن كل جرائم القتل ضد النساء عبر التاريخ وكأنه يجسد حقيقة ارتباط هذه البنية بالقتل وخاصة عندما يتعلق الأمر بالشرف والخيانة للحبيب والزوج، وما حكايات ألف ليلة وليلة إلا تأكيد لهذا الاتهام ولولا الخيانة الجنسية ما كانت شهرزاد ولا الليالي، والملاحظ أن خليلاً عندما يصف هذا القاتل الأسطوري يحدد جنسه بأنه رجل وليس امرأة وبأنه رجل بدائي جداً وفي ذلك دلالة على مدى هيمنة بنية الفكر التناسلي والتي تعتد بالرجال أكثر من النساء لذلك تعتبر هذه البنية بنية ذكورية إلى أبعد حد "وأرى الرجل الآخر الذي يعيش بداخلي هو الذي دفع برأس أن بولين إلى المقصلة وهو الذي رمى بأوفيليا إلى بحيرة الأزهار الميتة وهو الذي ساق ديدمونة إلى حتفها وهو الذي أغمد الخنجر في ظهر الزوج المخدوع، إنه يسير الآن في الشوارع حراً طليقاً لا أحد يدري بجرائمه". [2]

---

1 - المصدر السابق، ص 131.
2 - المصدر السابق، ص 132.

علاقات الإنتاج داخل المجتمع البرجوازي وأثره على شخصية الفرد:

انتبه خليل الإمام بعد علاقته مع ليندا بأنه يحيا في مجتمع كل شيء فيه قابل للبيع بما في ذلك الحب والذكريات، ومرجع ذلك يعود إلى أن البرجوازي يعي نفسه على الصعيد السيكولوجي كائناً اقتصادياً وظيفته ودوره في الحياة جمع المال بأي طريقة كانت خلافاً للفرد الذي يستدمج بنية العقل التناسلي، ونجد أن علاقات الإنتاج داخل المجتمع البرجوازي هي التي تشكل نسيج البناء الاجتماعي. [1]

"بيت للبيع ذكريات للبيع حب للبيع حجارة للبيع علاقات قديمة للبيع "كل شيء خاضع للعرض والطلب... لقوة السوق منطقها الذي لا يعبأ كثيراً بأوهام البشر وعواطفهم كالاونيا لك التمجيد والسلام أيتها الحقيقة الوحيدة الثابتة في سوق البيع والشراء". [2]

وعلى هذا الأساس كانت صدمة خليل الإمام عظيمة عندما شاهد أستاذاً جامعياً متخصصاً في علم اللغة يترك الجامعة ويفتتح حانة من أجل الكسب المادي بل أنه ذهب إلى أبعد من ذلك عندما قام بوضع إعلان يدعو فيه اساتذة الجامعة إلى هجر مهنة التدريس والعمل في حانته على أن يقوم بدفع مقابل مادي لهم "كان يعلق فوق الجدار الذي نجلس بجواره اعلاناً كتب بخط عريض يتوجه به إلى مدرسي الجامعة يرحب فيه بأي أستاذ يريد أن يتحرر من عبودية وبؤس الوظيفة ليعمل ساقياً في حانة العناقيد وسيمنحه ضعف ما يتقاضاه من الجامعة مضافاً إليه الإكراميات التي يتلقاها من الزبائن". [3]

عرض كهذا لو كان في بيئة تستدمج بنية العقل التناسلي ربما دفع فيه صاحب هذا الإعلان ثمناً غالياً لتطاوله هذا، ولكن بنية العقل البرجوازي لا ترى حرجاً في مثل هكذا إعلان لأن كل شيء في هذه البنية خاضع لقانون العرض والطلب التجاري.

---

1 - أنظر الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب، ص 90.
2 - أحمد ابراهيم الفقيه، ساعيك مدينة أخرى، ص 130.
3 - أحمد ابراهيم الفقيه، ساعيك مدينة أخرى، ص 78.

شخصية ساندرا:

إن بنية العقل التناسلي والتي تتمثل في بنية وعي خليل الإمام "تنظر إلى مفهوم التناسل بأنه يختصر ويختزل مفهوم الحياة كلها فإنه فلابد من المرأة كتعويذة لطرد الوساوس ولكي تسري عن النفس وتكون الوصفة السحرية لعلاج جميع الأوجاع، ولن يجد خليل أفضل من ساندرا تلك الفتاة الجميلة والمتمردة على الحياة في مجتمعها والذي يحمل أفراده الفكر البرجوازي، كانت ساندرا منفلتة عن بنية الوعي البرجوازي لأن لديها مشروعها والذي كانت تدافع عنه بشتى الطرق وتحاول أن تحميه وتلتصق به متحدية بنية العقل البرجوازي بكل آلياتها ولكنها مستقبلاً ستدفع الثمن غالياً لتطاولها وتحديها لبنية عقل يستدمجها أغلب أفراد المجتمع، لقد تفاجأ خليل الإمام من الأفكار التي تطرحها ساندرا وهي أفكار لا تتماشى مع فكر مجتمعها وما يمثله هذا المجتمع من بنية فكرية لها قيمها الاجتماعية والمعرفية والتي يعتنقها أغلب أفراد المجتمع، وعلى الأرجح أن هذه البنية الاجتماعية تواجه تصدعاً جزئياً في شخصية ساندرا وهذا ما يعرف بتنازر البنيات في منهج التحليل الفاعلي ويقصد به تناحر البنيات أو تآزرها فعندما ينشأ حراك لبنية العقل السائدة في المجتمع يكون هذا الحراك إما تصادمياً ينشأ عنه صراع يكون فيه البقاء للأقوى أو مساندة وموازرة لبنية العقل السائدة وعند ذلك يحدث تآزر بين بنية العقل المستدمجة من قبل أفراد المجتمع، ولكن ما حدث مع ساندرا كان صراعاً بين بنية عقلها وبين البنية السائدة في المجتمع، وعادة ما يكون هذا الصراع بين البنى عندما يشعر المرء بالخطر وعدم الأمان حينها يستدمج بنية فكرية تختلف عن البنية الفكرية الموجودة داخل المجتمع فينشأ لدى الفرد نوع من التصدع في البنية التي كان يستدمجها سابقاً مما يترتب عليه انفلات هذا الفرد من البنية السائدة ويكون لديه مشروع بديل يحاول أن يتمسك به ويدافع عنه مستخدماً كل قوته في ذلك، في حين تكون البنية السائدة في المجتمع قد شنت حرباً لا هوادة فيها من أجل الحفاظ على بنيتها الفكرية من الاختراق وهنا ينشأ صراع بين التيارين يكون فيه

الانتصار غالباً لبنية المجتمع السائدة لما لها من قدرة وآليات متمثلة في قوانين وأدوات ضبط قادرة على حفاظ البنية الفكرية داخل الجميع وتقوم عادة بمعاقبة الذين حاولوا التمرد على هذه البنية الفكرية وتفكيك مشروعهم حتى يكونوا عبرة للاخرين "لست مقيماً هنا كما تعلمين ما أنا إلا عابر طريق وما هذا المكان إلا محطة على الطريق"[1] خطاب من خليل الإمام لساندرا يخبرها فيه بأنه لا ينتمي إلى هذه البيئة التي تحمل فكراً غير فكره ووعي غير وعيه، ولكن ساندرا ترد على خليل بقول فيه من التمرد والانفلات عن بنية الوعي البرجوازي السائدة في المجتمع "ليس هناك شيء دائم وشيء مؤقت ليس هناك إنسان مقيم آخر زائر. طالما إنك تعيش هذه المرحلة من عمرك هنا فأنت مقيم وأنت دائم لأن هذه الأيام قد تكون هي عمرك كله". [2]

فساندرا تبعث برسالة إلى خليل مفادها بأنه لا فرق بين البشر سواء أكانوا يحملون الوعي البرجوازي أو التناسلي ولا فرق بين الشرق والغرب فكليهم بشر سواسية فأنت بحكم وجودك هنا فأنت مثلك مثل أي برجوازي يملك الملايين، فالعبرة بالوجود الحالي للإنسان داخل المجتمع وليس بالأجناس والعادات والتقاليد، وهذا يعد تمرد على بنية المجتمع والتي تقوم ساندرا بفك الشيفرة الأساسية له وإبطال جميع خصائصه الوراثية وبذلك يصبح المجتمع من وجهة نظرها إنسانياً خلاقاً يمنح الحب والحياة للاخرين بدون تفرقة، كما نعلم أن بنية العقل البرجوازي هي بنية مغلقة لا توجد بها برامج عطاء للاخرين مثلها في ذلك مثل بنية العقل التناسلي فهذا الطرح يعتبر معادياً لأفكار هذه البنية وتمرداً عليها وعلى وعيها ووجوده "إنها لا تكبت نزوة تجد سبيلاً إلى تحقيقها سواء أرضى ذلك الناس أم أغضبهم وهي لا تفعل ما تفعله بحثاً عن التقاليع وإنما سجية ونظرة واستجابة لنداء ينبع من ذاتها ولا يأتي من خارجها ساندرا

---

1 - احمد ابراهيم الفقيه، سأهبك سنبلة أخرى، ص 98.
2 - المصدر السابق، ص 98.

لا تقود المظاهرات النسائية التي تحمل لافتات المساواة مع الرجل ومع ذلك تستطيع أن تذهب بقضية المساواة إلى حدودها القصوى".[1]

هجرت ساندرا أسرتها لأنها تريد أن تحقق ذاتها بذاتها ولا تريد لأحد أن يكون له فضل عليها كما أنها تريد أن تجرب بنفسها كل شيء وترفض تجارب الآخرين "هزت كتفيها باستهتار قائلة بأنها قطعت علاقتها بهم منذ أكثر من عامين أرادوا معاملتها مثل طفلة قاصرة فسعت للحصول على منحة دراسية وتركت لهم البيت".[2]

إنها كما قال عنها خليل الإمام فراشة تطوف الحدائق وتذوب في اللهب فهي لا تحمل رسالة نحو أحد سوى نفسها فلقد درست الأدب الفرنسي وتعلمت منه التأكيد على الذات واعتنقت الفكر الوجودي في الحياة كمنهاج لها "كما تقول مرددة أفكار الوجوديين وصارت مثل متمردي الروايات الوجودية لا ترضى بخبرة الآخرين بديلاً عن الانغماس في التجربة والمغامرة ومعرفة الأشياء عن طريق الخبرة الشخصية"[3].

ساندرا من معتنقي الفكر الفلسفي الوجودي وترى أنها تحقق ذاتها من خلاله، لذلك كانت تختلف اختلافاً كبيراً عن لوندا لقد واجه خليل الإمام صعوبة في التعامل معها من الناحية الفكرية، إلا أنه لم يجد أي صعوبة في إدخالها إلى فراشه والذي كان همه الأول بحكم بنية وعيه التناسلية ولأن ساندرا وبكل بساطة لا ترى مانعاً في أن تهب نفسها للجميع فهي لا ترى حرجاً في ذلك بحكم أفكارها التي تعتنقها والتي تختلف عن أفكار مجتمعها "كانت تتحدث ببساطة وعفوية وكأنها تروي حكاية امرأة أخرى تلتقط الرجال من الحانات، إنه أول رجل صيني أعاشره في حياتي، سوف تحتاجين إلى عمر إضافي إذا أردتي ممارسة الجنس مع كل الأجناس"[4].

---

1 - المصدر السابق، ص 186.
2 - المصدر السابق، ص 116.
3 - المصدر السابق، ص 107.
4 - المصدر السابق، ص 152.

كانت ساندرا متمردة على جميع القيم في مجتمعها أسرتها، مجتمعها، عاداتها وتقاليدها، قد كانت امرأة مختلفة لم يسبق لخليل الإمام أن ألتقي بمثلها، فكان يعاملها بحذر شديد فهو يسايرها ويحاول أن يرضيها ويدَّعي تقبل أفكارها من أجل أن تبقى معه لأطول فترة زمنية ممكنة لأنه يعلم بأن ساندرا ماهي إلا سحابة صيف وأنه يجب أن ينهل منها قبل أن ترحل عن سمائه فهو يفكر فيها من خلال عالمه المأهول بشهرزاد وخيال الأساطير التي تلف الحكاية بالغموض والسحر، أنه يفكر من خلال بنية عقله التناسلي حتى في أثناء أشد لحظات الحب عنفاً، فنجد أن هذه البنية تملك عليه نفسه فيتذكر فيها قباب الأولياء والذين يتبرك بهم البسطاء والدراويش من الناس ويتمسحون بقبورهم لأخذ البركة منهم، وذلك لأن هذه البنية تكون المرجعية المعرفية فيها غيبية فهي ترجع كل شيء إلى عالم ما وراء الطبيعة فيكون عالم الخيال والأسطورة والتفسيرات الخيالية الغيبية له قدسية خاصة، يلف القباب البيضاء هالة قدسية فهي تمنح المتمسحين بها الحماية والأمن من الخوف، فنجده يذكر البدوي الذي تعيش في نفسه الصحراء مسكون بجفافها وقحطها، فما كان منه إلا أن يسرج الخيل في غزوة لمدينة القباب التي تفوح منها روائح البخور والمسك والعنبر ليتبرك بها وتكون له حصن من الخوف "ويظهر الصدر بقبتيه الصغيرتين المباركتين، وها هو البدوي الذي كان ينام مقموعاً يسرج الان خيوله فينطلق صهيلها راكضاً باتجاه مدينة القباب والمسك والزعفران".[1]

خليل لا يرى من ساندرا إلا القباب المباركة فهو مسكون بذلك البدوي والذي يحمل الوعي التناسلي بداخله بينما هي لا تعترف بالقباب التي يتبرك بها خليل الإمام والذي أراده والده فقيهاً بل أن اسمه مسكون بهذا الهاجس فالإمام هي رتبة دينية للشخص الذي يؤم جماعة المصلين بالمسجد وربما قابلها لفظ الفقيه في اللهجة الدارجة الليبية فالفقيه هو الذي يعلم الصبية حفظ القرآن الكريم وهو أيضاً الذي يقوم بكتابة الأحجبة والتعاويذ من أجل محاربة الجن والسحر، وربما كانت إحالة خارجية إلى شخصية المؤلف بارتباط كلمة الفقيه والذي يعلّم

---

1 - المصدر السابق، ص 154.

الصبية القرآن الكريم باسم مؤلف الرواية ومثله من دلالات توحي بارتباط شخصية المؤلف بشخصية خليل الإمام وإن كان موضوع الإحالة الخارجية غير وارد كثيراً من وجهة نظر منهج التحليل الفاعلي فالمبدع الذي يكتب النص يحتاز بنية وعي معينة والشخصية المتخيلة داخل النص تحمل أيضاً بنية وعي أخرى قد تكون مختلفة عن بنية وعي مبدع النص الأدبي.

لقد كانت ساندرا متمردة على بنية وعيها البرجوازي فما كان من هذه البنية إلا أن حاربتها مستخدمة نفس موضوع خليل الإمام وهو العنف والجنس، كانت ساندرا لا تضع أي اعتبار للقواعد والنواميس التي تنظم هذه العلاقة داخل بنية العقل البرجوازي لذلك كان العقاب من جنس العمل وذلك عندما اغتصبها مجموعة من الشباب والذين قاموا بخطفها والتباري حول من يستطيع أن يمارس الجنس معها أكثر من الاخرين "إن الفتاة التي تعرضت لحادث الخطف والاغتصاب ليست سوى الأبنة الوحيدة للسير رتشارد تاور صاحب الشركة التي تسيطر على صناعة وتصدير الورق... كان قلبي متزعاً بالحزن وأنا أرى العنف والجنس الذي أبحث عنه في الأساطير يأتي عارياً من أثوابه الخرافية إلى داري ويخطف المرأة التي تقاسمني طعامي وشرابي وسريري"[1] وهكذا كانت نهاية ساندرا ثاور المتمردة على ملايين والدها وألقاب العائلة لترضى بمنحه دراسية قليلة تتسول فتات الخبز من على موائد الأخرين، لقد كانت ساندرا لا تفكر كبقية أفراد مجتمعها الذين يستدمجون بنية العقل البرجوازي ولكن كان لديها مشروعها الخاص بها والذي عاقبتها عليه بنية العقل البرجوازي عقاباً قاسياً لكي تردها إلى الحظيرة التي فرت منها وتعيدها إلى رشدها وإلى محيطها الاجتماعي، لقد عادت ساندرا إلى عائلتها ولكنها عادت إنسان آخر مكبل بوعي الفكر البرجوازي "امرأة تقبل على الدنيا بقلب مفتوح تهزأ بما يقيمه الناس من أسوار وتحصينات، فإذا بشيء من قلوب الناس يخونها ويخون نظرتها الصافية للحياة، يقول لها بلغة جارحة كحد السكين سوداء كقلب الغابة بأنه لا يجوز لها أن تتعامل بصدق السريرة وعفوية الإرادة الحرة أو تهجر السير مع القطيع عبر الدروب التي صنعها التقليد

---

1 - المصدر السابق، ص 222.

والتكرار ووصايا أسلافنا الموتى"[1]. وهكذا خرجت ساندرا من حياة خليل الإمام كما خرجت منها ليندا من قبل، ولكن خليل لا يهمه من هذا كله إلا ذلك البدوي الذي يسكن فيه والذي يهتف مطالباً بحصته من النساء فهو سوف يبحث عن ليندا أخرى وساندرا ثانية حتى يشبع ذلك التابع في نفسه فيما هو خليل يحدث ذلك البدوي قائلاً "لن تنتهي هذه الليلة دون أن أجد طعاماً لحيوان الغزيرة الذي يعوي في دمي مطالباً بحصته".[2]

اكتشف الإنسان التناسلي عبر التاريخ من خلال مواجهته لويلات الطبيعة عن مدى عجزه في تفسير الظواهر الطبيعية والكونية فقام بوضع تفاسير غيبية عن هذه الظواهر وربطها بأمور مادية لكي يشعر بالأمن والاطمئنان.

ونلاحظ هذه الأبستيمية الغيبية عند خليل الإمام والذي يستدمج بنية العقل التناسلي في حواره مع ساندرا والتي لا تحمل هذه الأبستيمية التي يحملها خليل الإمام في حوارهما عن قصه الشبح المزعوم في غرفة خليل الإمام ساندرا: هل صدقت بأن هناك شبح في الغرفة؟

خليل – ولماذا لا أصدق ؟ انني لا أنكر وجود الأشباح.

ساندرا – أما أنا فأنكره طالما إنني لم [أراها]

تعالي معي هذه الليلة إلى غرفتي وسترينها بإذن الله".[3]

ومن مظاهر الفاعلية في بنية العقل التناسلي على مستوى نظام القيم نجد أن هذه القيم تحدد معنى الحياة، الموت، إنسانية، العقل، الانتصار والهزيمة وعلى سبيل المثال إذا فشل التناسلي رجلاً كان أو امرأة في عملية التناسل فإنه يرى بأن حياته كلها قد انهارت وإن قمة الانتصار من خلال بنية العقل التناسلي هو الانتصار الجنسي وإن قمة الهزيمة هي الهزيمة الجنسية.

---

1 - المصدر السابق، ص 227.
2 - المصدر السابق، ص 213.
3 - أحمد إبراهيم الفقيه، سأهبك مدينة أخرى، ص 140.

"امرأة تخرج إلى الشارع تطارد رجلاً وتشتمه، كانت تشتم الرجل وتعيره بضالة أداته الجنسية التي تشبه نملة صغيرة حمراء مبتة، وتأتي في شتائمها على عضو الرجل الذي قذف بجرثومته والرحم الذي حمله وأخرجه إلى الدنيا وأعضاء المرأة التي ترضى بالزواج منه دون أن تخونه مع أول كائن يحمل عضو الذكورة حتى لو لم يكن رجلاً".[1]

لقد حمل هذا النص كل معاني وأفكار بنية العقل التناسلي والتي ترى أن قمة الانتصار هي الانتصار الجنسي فالرجل الفحل الذي لديه قدرة على أن يضاجع أكبر عدد من النساء دون تعب ولديه أدوات وإمكانيات لذلك يكون المقدر على عكس الشخص الذي مر بنا في النص السابق وهو يقذف بأقذع الألفاظ وأسوئها على الإطلاق فهذا إنسان لا وجود له من وجهة نظر بنية العقل التناسلي فهو إنسان مهزوم وراسب من وجهة نظر هذه البنية، وها هو خليل الإمام يتحدث عن اللحظة التي كان فيها فحلاً "إنها المرة الأولى التي أرى فيها جسداً عارياً إلا من الغلالة... ملقى أمامي فوق الفراش الأحمر ينتظر فحولتي فنظرات متهيباً إلى الجسد العاري ووضعت بصري فوق ذلك الموقع الذي جعلوه موئلاً للعفة والشرف والذي ألهم البشرية تراثاً من الأساطير والقصص والأغاني".[2]

- الخطاب التناسلي في شخصية خليل الإمام:

كان خليل الإمام ينظر إلى ارتباط الجنس باللغة في حكايات ألف ليلة وليلة "ويعتبره جزء من تكوين الليالي فهو وفي لبنية وعيه التناسلي ويرى بأن مفهوم الحياة مرتبط بالتناسل من خلال مواجهة شهرزاد للموت بالجنس من أجل الحياة وكان أن ابتكرت طريقة من خلال سردها القصصي للحكايات لتضمن بقاءها على قيد الحياة مستغلة الجنس والتناسل في حكاياتها وبالطريقة التي شرحها خليل الإمام لساندرا عندما كان يحدثها عن الجنس في ألف ليلة وليلة:

---

1 - المصدر السابق، ص 193.
2 - المصدر السابق، ص 195.

"الجنس يعيد إنتاج نفسه من خلال النص ذاته، من خلال علاقته الداخلية وبنيته القصصية فألف ليلة وليلة تستعير في بنائها الفني أسلوب التناسل والإخصاب عندما تتوالد الحكايات الواحدة من رحم الأخرى وهكذا يأتي الجنس المضمر والغائب في نسيج الحكي ليكون وجهاً آخر للجنس الذي تتحدث عنه شهرزاد في حكاياتها وتشهره سلاحاً تدفع به عن نفسها التهديد اليومي بالقتل وفي ذلك تأكيد لجوهر الحياة الجنسية كسلاح ضد الموت والفناء". [1]

وبما أن النص الأدبي بنية فاعلية تخيلية مستقلة، بمعنى أنه ليس بالضرورة أن يعكس الواقع، ومع ذلك فمن المحتمل أن تنطوي على دلالات واقعية مضمرة بحكم أنها أشمل من بنية الواقع وبحكم أنها أيضاً بنية للفاعلية، عليه يمكن تأويل النص بحيث يصبح خليل الإمام يرمز للمثقف الليبي والذي عجز عن التصدي للتحديات التي تواجهه وتجاوز التناقض بين فحوى بنيتي العقل التناسلي والبرجوازي، لقد ظل خليل الإمام وفياً لبنية عقله التناسلي وكان يظن أنه سيتصدى ويحل معضلات النهضة والتنمية من خلال منظور فكرة التناسلي، فما زال المثقف يتبنى نفس المواقف من قضايا النهضة والتغيير الاجتماعي وذلك أن ولاءه لأسرته وعشيرته وقبيلته أكبر من ولائه للوطن والمجتمع، يخول لنفسه سرقة المجتمع إنقاذاً لكرامة الأسرة والقبيلة ورفاهيتها، فالأسرة عنده هدف الحياة وغايته، فلم يستطع خليل الإمام أن ينتج معرفة أو مشروعاً نهضوياً وحضارياً يكون مبرراً لوجوده، ولكنه كان يرضى بالقوالب الجاهزة والتي أعدت مسبقاً، داخل خليل الإمام إنسان وفي لبنية عقله التناسلي في مواجهة بنية العقل البرجوازي ولكنه انهزم بل استدمج الهزيمة، بمعنى أن تفوق المستعمر العسكري والحضاري والتكنولوجي مكنه من أن يحتل بعض المساحات في اللاشعور يكون ولاؤها لأهداف وغايات بنية العقل البرجوازي لذلك فإن خليل الإمام كان يعيش الواقع بوعي الفكر التناسلي ولكنه في اللاوعي يحتفظ بطموحات وغايات بنية العقل البرجوازي وهو حال المثقف الآن فهو منقسم على نفسه، إن انقسام بنية عقل المثقف بين الوعي واللاوعي يتحول إلى سمة اجتماعية فهناك

---

1 - المصدر السابق، ص 153.

مثقفون تقليديون وآخرون برجوازيون كل من الفريقين صورة من خليل الإمام من حيث الازدواجية "تم كل شيء بحسب ما كنت ابتغي فزت بالشهادة العالية التي تنتهي عندها أحلام الدارسين لأبتدئ العمل مدرساً بالجامعة قررت أن أنسى ومنذ اللحظات الأولى كل شيء عن السنين التي عشتها مؤخراً للدراسة بأقصى مدن الشمال أبدلت ريشي كما تفعل الطيور بعد انتهاء الربيع، نزعت عن نفسي وقور وصولي ذلك الجلد القديم الذي لم يكن جلداً وإنما معطفاً يلائم طقس تلك البلاد وانتفعت الحاجة إليه بعد أن اختلف المناخ وتبدلت مشاهد الطبيعة وسطعت شمس الصحراء بعنفها وقسوتها، أردت أن أكون وفياً للتقاليد التي تحكم الكون وتمنعه من التصدع والانهيار فسعيت منذ البداية إلى الدخول راضياً في القوالب الجاهزة التي أعدها المجتمع لأبنائه الصالحين، متماهياً مع شروط البيئة المحددة ومجدداً انتسابي إلى الفرقة الناجية، أكملت نصف ديني بالزواج وسعيت لإتمام نصفه الأخر بالمداومة على الصلاة وعدت فرداً من أفراد القبيلة يسلم نفسه دون تحفظ لطقوسها وشرائعها".[1]

فالتقليديون ينقلون من التراث ويظنون أن ذلك عين الأصالة التي تستوجب مناهضة العلمانية حجتهم أن حضارة الأجداد تصلح لكل زمان ومكان متجاهلين ضرورة إنتاج الحضارة في كل زمان ومكان، والبرجوازيون ينقلون من الغرب ويعتقدون بأن ذلك عين المعاصرة والتي ستحقق النهضة بالعلم عوضاً عن الإنسان حجتهم عولمة تطبيق العلم متجاهلين كون أنفسهم مستهلكين للعلم بدلاً من انتاجه، فالتقاسم المشترك بين الفريقين هي عجزهما عن إنتاج المعرفة وإعادة صياغة الواقع، وأن الحل يكمن في بنية الوعي الخلاق أي وعي الإنسان لذاته ككائن خلاق نشط، وعي الفاعلية.[2]

---

1 - المصدر السابق، ص 9.

2 - انظر الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب، ص 159

المبحث الثاني

فاعلية بنية الشخصية في رواية "هذه تخوم مملكتي"

تقوم رواية "هذه تخوم مملكتي" للأديب أحمد إبراهيم الفقيه على مبدأ الصراع بين شخصية الراوي "خليل الإمام" من جهة وبين المجتمع من جهة ثانية، وهذا الصراع يدور في نفس الإمام على نحو مرير وقاس لدرجة أصبح معها الإمام ضائعاً ومغيباً عن الواقع المعيش الذي يحياه، وهذا الصراع هو الذي يقوم عليه البناء الفني للعمل الروائي، ويكون الصراع بين بنيات الوعي المختلفة والتي تنشأ بينها أما علاقة تآزرية أو تناحرية ويكون فيها البقاء للأقوى.

لقد كان الصراع في الرواية للفقيه يدور بين بنية الوعي التناسلي وبنية الوعي البرجوازي من جهة وبين الشخصيات المختلفة حسب بنية الوعي لدى كلا منها، من جهة ثانية فنجدها تآزرية تارة وتناحرية تارة أخرى، فالعلاقة بين الشخصيات قد تكون تآزرية تدعم فيها بنيات الوعي المختلفة بنية العقل السائدة أي أن تقوم بنية العقل السائدة بتوظيف البنيتين الأخريين من أجل تحقيق أهدافها وسيادة مبادئها فتكون العلاقة هنا تعاضدية تآزرية عكس علاقة التناحر والتي يحدث فيها الصدام بين بنيات الوعي المختلفة والتي يطلق عليها مصطلح " تنازر البنيات"، فهذا الصراع من تازر وتناحر يكوّن العمل الدرامي للرواية "بما أن الحدث هو الفعل القصصي الذي تشكله حركة الشخصيات تقدم تجربة إنسانية ذات معنى لها خصوصيتها المتميزة وعالمها المستقل، نجد أن بنيته سوف تغتني بالتشكيلات الدرامية بقدر ما تتنوع وتتعدد مستويات الصراع: المنطقي، الاقتصادي، الاجتماعي، الوجودي ألخ لذا يمكن اعتبار تنازر البنيات هو عنصر الفاعلية"[1].

- بنية العقل التناسلي:

سوف نقوم بتتبع بنية العقل التناسلي من خلال تحليل شخصيات رواية "هذه تخوم مملكتي" لنقف على الكيفية التي يشتغل بها المنهج والنتائج التي يخلص إليها في تفسيره للعمل

1 - أنظر الشوخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب نحو نظرية جديدة للأدب، مخطوط 2001 م، ص 135.

الروائي كونه فضاء منفصلاً بذاته له فاعليته الخاصة به والتي لا تعكس بالضرورة فاعلية مبدع النص، فالنص الأدبي له بنية وعيه الخاصة به "على الرغم من أن الأدب نتاج لفاعلية الأديب التي تتحقق في فضاء الفاعلية الواقعي، إلا أنه بدوره قادر على توليد فضاء جديد للفاعلية، وهو بالضرورة فضاء رمزي أو تخيلي بحكم رمزية اللغة كونها نظاماً للرموز، وبذلك يُعرف الأدب بأنه بنية فاعلية لغوية تنتمي إلى فضاء فاعلية رمزي أو تخيلي كمقابل وكامتداد لفضاء الفاعلية الواقعي... فيكون في مقدور النص الأدبي توليد دلالة وفاعلية، كما هو متاح بالنسبة لبنية العقل"[1]

ومن هنا يكون للنص الأدبي فضاؤه الفاعلي التخيلي والذي يكوّن بنية وعيه التي هي بنية وعي تخيلية وليست بالضرورة بنية وعي الأديب مبدع النص، فنلاحظ سيادة بنية العقل التناسلي في رواية "هذه تخوم مملكتي" والسبب يرجع إلى شخصية الراوي "خليل الإمام" وهي الشخصية التي تقوم عليها الرواية، فهي شخصية مسكونة بوعي المجتمع التناسلي، وهو المجتمع الذي تدور فيه أحداث الرواية، مجتمع يستدمج أغلب أفراده بنية العقل التناسلي وهي بنية لها تركيب عقلي وفكري خاص به يختلف كل الاختلاف عن بنيتي العقل البرجوازي والعقل الخلاق، فالمقصود هنا هو تحليل الشخصية على ضوء البنية العقلية السائدة في المجتمع، والعقل هنا هو المتصود فهو بيت القصيد لأنه هو من يستدمج ويعي البنية الفكرية المجتمعية ويتخذها سلوكاً وأسلوباً للحياة.

- شخصية خليل الإمام:

عند وقوفنا على شخصية خليل الإمام في الرواية نجد أنه ينطلق من جملة من القواعد المنطقية والعقلية حسب ما تمليه عليه البنية الفكرية والثقافية التي يحتازها ويعتبرها منطقية تتوافق وتفكيره بناءً على البنية التي يستدمجها أفراد المجتمع، وبالنظر إلى البنية العقلية السائدة في ذلك المجتمع وهو المجتمع الذي تدور فيه أحداث الرواية فإننا نجد بأنه مجتمع يستدمج بنية

1 - عبدالرؤوف بلبكر السيد، النص الأدبي الاغتراب والمقاطعة منشورات جامعة سرت، الطبعة الأولى، 2008 م، ص 118.

العقل التناسلي وهي بنية فكرية تقوم على جملة من العناصر والتي تتألف منها بنية الوعي وهي المكون الاجتماعي والنفسي والمعرفي إضافة إلى المكون القيمي وهي تكوّن مجتمعة وحدة عقلية تقيم الواقع الفكري من منطلق يتوافق مع منظورها للأمور الحياتية المعيشة لتكرس في نهاية الأمر بنية العقل التناسلي.

- خليل الإمام وبنية العقل التناسلي:

"ما أن اكملت تأثيث هذه الشقة حتى بدأت البحث عن امرأة أكمل بها طقوس انتمائي إلى هذا المجتمع".[1]

فخليل الإمام والذي يستدمج بنية العقل التناسلي بعد أن تحصل على الشقة وقام بتأثيثها لم يتبق أمامه إلا المرأة ليكتمل طقس الانتماء لهذا المجتمع، فهو يسلم مسبقًا بأنه لن يكون منتميًا لهذا المجتمع إلا إذا أذعن له واستسلم لأفكاره فحينما يستدمج الفرد فكر البنية المهيمنة على المجتمع يصبح مجرد عنصر في بنية فكرية تعيد انتاج نفسها من خلاله وهذا ما حدث مع خليل الإمام داخل مجتمعه التناسلي، يعد الكتب وحرمان الجنسي من أهم وسائل الضبط والتي تمارسها بنية العقل التناسلي على كل من يستدمجها "فهي تحرّم الحب والجنس قبل وخارج الزواج".[2]

لذلك لم يبحث الإمام عن الحب في مجتمع مسكون بفكر ووعي العقل التناسلي، ذلك لأن الحب يعني بشكل من الأشكال عاطفة قد تحصل في طياتها الممارسة الجنسية خارج إطار مؤسسة الزواج "لم أنشغل بالبحث عن زواج أتى عن طريق الحب في مدينة أغلقت شبابيكها دوني وخبأت منذ أعوام الصبا الفتاة التي أحببت".[3]

---

1 - أحمد إبراهيم الفقيه، هذه تخوم مملكتي، الجزء الثاني من الرواية الثلاثية، الطبعة الأولى، مايو 1991 م، دار رياض الريس للكتب والنشر، قبرص، ص 11.

2 - د. الشيخ محمد التنوخي، التحليل النفسي والأدب، محظوظ 2001 م، ص 86

3 - أحمد إبراهيم الفقيه، هذه تخوم مملكتي، الجزء الثاني من الرواية الثلاثية، الطبعة الأولى، مايو 1991 م، دار رياض الريس للكتب والنشر، قبرص، ص 12.

لقد كان تفكير خليل الإمام منطقياً وعقلانياً من وجهة نظر شخص يستمع بنية العقل التناسلي، فالحب مجرد وهم وسراب كاذب ومذاف لفكر المجتمع الذي يحرّم الحب ولا يسمح به إلا بعد الزواج فالذين أحبوا تمت معاقبتهم من قبل بنية العقل التناسلي لأنهم أعلنوا الحب في مجتمع يحرّم هذا الفعل قبل الزواج، فالذين أحبوا لم يكن حبهم إلا وهماً وخيالاً وأعقب ذلك الحب المرارة والهزيمة لأن المجتمع التناسلي قد أغلق نوافذه وشبابيكه في وجه الحب وفي وجه كل من يخالفه.[1]

فما كان من خليل الإمام إلا أن تزوج وفق أعراف وأفكار ذلك المجتمع التناسلي، فلم يفكر في الحب ولكنه نظر إلى زوجة المستقبل على أنها الأنثى التي تشبع رغبته المكبوتة والتي لا يمكن أن يطلق لها العنان إلا من خلال مؤسسة الزواج، لم يفكر في زوجته كإنسانة لها كيانها المستقل وشخصيتها الخاصة بها بل نظر إليها من خلال المكون النفسي لبنية عقله التناسلي والذي يعي فيه الإمام ذاته ككائن تناسلي "تأملتها وهي تجلس إلى مائدة الطعام قبالتي، وضعت عينيها في الصحن ولكن بصري لم يغادرها، أعجبني صدرها وفمها فتغاضيت عن قامتها القصيرة وتركت عروض الزواج الأخرى واقترنت بها".[2]

إن المهم عند خليل الإمام هو ما يحويه جسد المرأة لا عقلها ومرد ذلك إلى تكوين الإمام الفكري والذي يندرج تحت بنية العقل التناسلي والذي يعامل المرأة بطريقة يتم معها تبخيس عقلها وتقديس أنوثتها وما تحويه تلك الأنوثة.[3]

لقد أهمل الإمام عقل من ستصبح زوجته وأهتم بتفاصيلها كأنثى انطلاقاً من جسدها والذي مسّطه بعيني إنسان فاحص مسكون بهاجس بنية العقل التناسلي، فهي أي زوجة المستقبل لم تنطق بكلمة واحدة ومع ذلك أعجبته من خلال ما راق له من مظاهر الأنوثة الظاهرة للعيان كالشفتين وباقي جسدها فتغاضى عن قصر قامتها ارتضاها زوجة له، فمقياس الاختيار هنا كان

---

1 ـ انظر أحمد إبراهيم الفقيه، هذا تحوم ملكتي، الجزء الثاني، ص 12.
2 ـ المصدر السابق، ص 12.
3 ـ أنظر إلى: د: الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب، ص 86.

منطقاً من أسس وقواعد تناسلية صرفة، فهو لا يطلب من المرأة أكثر من أن تلبي رغبته الجنسية وأن تنجب وتلد الأطفال وفي ذلك استنفاذ لمهام بنية العقل التناسلي.

- الفاعلية التناسلية في شخصية خليل الإمام:-

إن خليل الإمام لا يرى الحياة إلا من خلال مكون الدلالة الذي يرافق بنية وعيه التناسلي، وهو الذي يعي به نفسه ككائن تناسلي ويتركب ذلك المكون من مكوّن اجتماعي ومكون نفسي ومعرفي ومكون قيمي، وهذه المكونات مجتمعة هي التي تشكل بنية الوعي السائدة في أي مجتمع إنساني، أن خليل الإمام من خلال نظرته للحياة والطبيعة من حوله كان يحاول تفسيرها وفق منظور بنية عقله التناسلي، فهو يعي ذاته سيكولوجياً بوصفة كائناً تناسلياً ولذلك نجد بأن خليل الإمام مسكون دائماً بالهاجس الجنسي حتى وأن أخفى ذلك في قراره نفسه ونلمس هذا الهاجس واضحاً من خلال تفكيره الدائم به ونجده أيضاً في الخطاب اللغوي التناسلي لديه والذي نذكر منه جملة من الألفاظ على سبيل الذكر لا الحصر "نار الشهوة"[1] – "موسم الأخصاب والحب"[2] -"ألثم الوجه"[3] - تدلك العنق والصدر والخصر والردفين"[4] "الجسد الممجد"[5] - "بهجة فمها"[6]"– "الخصوبة والولد"[7] – "تعانقني"[8] - "لامس نهدها زندي"[9] - "أحسست بأنوثة الجسد النابذ"[10] – "تثير ذكورتي"[11] – توقظ الرغبة ساخنة حارقة"[12] - "أكثر إثارة وإغراء"[13] – "تهديها إلى صدري"[14] – "أعانقها وأعصر قدها"[15] – جبينها

1 - أحمد إبراهيم الفقيه، هذه تعوم سلكتي، ص 12.
2 - المصدر السابق، ص 112.
3 - المصدر السابق، ص 112.
4 - المصدر السابق، ص 77.
5 - المصدر السابق، ص 77.
6 - المصدر السابق، ص 77.
7 - المصدر السابق، ص 96.
8 - المصدر السابق، ص 106.
9 - المصدر السابق، ص 119.
10 - المصدر السابق، ص 120.
11 - المصدر السابق، ص 120.
12 - المصدر السابق، ص 120.
13 - المصدر السابق، ص 120.
14 - المصدر السابق، ص 124.
15 - المصدر السابق، ص 124.

وعينيها، فمها وغمازتيها، عنقها وكتفيها، سرتها ونهديها"[1] - "ممارسة الحب معها"[2] – "الرغبة موجعة، حارقة، لافحة"[3] - "إثارة وشبق" [4] – "أسرار الجنس وسطوته" [5] – "استمتع ببكارة الجسد الأميري"[6]

وفي ظل الاستدماج لبنية العقل التناسلي نجد أن خليل الإمام جعل من المرأة تميمة وتعويذه سحرية للحب والجنس وهو الشي الذي لا يقوى على الفكاك منه، لقد أثرت بنية العقل التناسلي على خليل الإمام كونه أحد أفراد المجتمع الذين يستدمجونها في كل تفاصيل حياته وتفكيره، فهو يفسر كل شيء، وفق معطيات تلك البنية لدرجة يشبه فيها صوت الريح بصوت الأنين المصاحب لممارسة الجنسية وهذا يظهر مدى سطوة تلك البنية الفكرية على شخصية خليل الإمام "صمت لا يجرحه إلا أنين الأشجار التي يضاجعها الريح".[7]

- الفاعلية التناسلية وارتباطها بمفهوم الفرح في شخصية الإمام:-

ارتبط مفهوم الفاعلية التناسلية بمفهوم الفرح والعرس لدى شخصية خليل الإمام شأنه في ذلك شأن أي شخص منتمي لبنية العقل التناسلي "يذكرني منظرها بأعراس البادية التي شاهدتها في طفولتي المبكرة عندما كانت النساء يرفعن الأغطية عن شعورهن التي تهدلت أمام وجوههن في رقصة النخيخ"[8]. هذا المفهوم الذي تجذر وتأصل في عقل الإمام التناسلي منذ طفولته المبكرة هو الذي جعل من الإمام عند لقائه ببدور في مدينة عقد المرجان ينطلق من فكره التناسلي المتأصل فيه ليصف ليلته الأولى معها في مخدعه بقوله "لن أنام هذه الليلة وسأعتبرها

1 - المصدر السابق، ص 124.
2 - المصدر السابق، ص 128.
3 - المصدر السابق، ص 128.
4 - المصدر السابق، ص 129.
5 - المصدر السابق، ص 136.
6 - المصدر السابق، ص 40.
7 - المصدر السابق، ص 125.
8 - المصدر السابق، ص 76.

ليلة عرسنا، سأكون حريصاً على أن أهتبل كل دقيقة... وكان هذه الليلة هي أخر الليالي وكأن وليمة الفرح البلاغ هذه هي العشاء الأخير"[1]

وهكذا نلاحظ ارتباط مفهوم الممارسة الجنسية بالفرح والعرس وهذا في ذاته يكرس مفهوم التناسل والجنس في بنية العقل التناسلي "جعل يوم الفرح الأساسي وربما الوحيد في حياة المرء يوم العرس، وإذا كان لابد من يوم ثانٍ للفرح فهو يوم الختان". [2]

- شخصية "فاطمة" زوجة خليل الإمام:

إن المرأة التي تزوج بها خليل الإمام، هي المرأة التي اعدتها بنية العقل التناسلي لتشبع رغبة الرجل فهي ليست إلا جسداً بدون عقل فتلك البنية التناسلية تقدس أنوثة المرأة وتعلي من شأنها وفي المقابل لا تهتم بعقلها أو فكرها.

فهناك منهج خاص بإعداد المرأة في ظل البنية التناسلية "لابد من إعداد المرأة حتى تقبل بأن دورها الوحيد في الحياة هو الإنجاب، ويتم ذلك بتبخيس عقلها وتقديس أنوثتها". [3]

ومن هنا صارت المرأة في هذا المجتمع التناسلي مثلها مثل أي متاع يخص الرجل فسلبت منها حقوقها وانسانيتها باسم التفوق الجنسي للرجل ومن هذا المنطلق كانت فاطمة نسخة مكررة عن نساء بنية العقل التناسلي فهمها الوحيد هو إسعاد الرجل التي هي بحوزته، فهي تلغي ذاتها وتتصهر في ذات الرجل الذي تزوجها، وخليل الإمام يلخص لنا مفهومه عن والمرأة في ظل هيمنة بنية العقل التناسلي في المجتمع الذي يعيش فيه متخذاً من زوجته فاطمة مثالاً على ذلك "امرأة وديعة طيبة، تجيد الطهي والأطباق الشعبية وتضع إرادتها تحت إرادة الرجل الذي تزوجها وفية للتقاليد العريقة التي عاش بها المجتمع نساءه جيلاً وراء جيل، راضية بعالمها الصغير الذي لا يتجاوز المدرسة التي تذهب إليها وشراء حوائج البيت من متجر قريب وحديث

---

1 - المصدر السابق، ص 128.
2 - د: الشيخ محمد الشيخ، التحليل الداعي والأدب نحو نظرية جديدة للأدب، مخطوط 2001 م، ص 86
3 - المصدر السابق، ص 86.

الجارات والزائرات عن أزمة اللحوم وندرة البصل والحمص لتستلم في الفراش خجولة حييه كأنها تمارس إثماً".[1]

لقد اختصر خليل الإسلام من خلال حديثه عن زوجته فاطمة بكل تفاصيلها عن وجهة نظر بنية العقل التناسلي السائدة في المجتمع، فهي بنية عقلية تنظر للمرأة على أنها متاع يخص الرجل لا ترقى إلى مستواه فهي في مستوى أدنى من الرجل اجتماعياً، والمرأة في هذه البنية لا تثور على وضعها الاجتماعي بل حتى إنها لا تتذمر فهي تذعن عن طيب خاطر للرجل الذي تعتبره سيدها وتاج رأسها، فهي لابد أن تقبل بوضعها الذي اختارته لها بنية العقل التناسلي مسبقاً وهو الإنجاب وتكوين الأسرة، إن الحديث عن المساواة بين الرجل والمرأة في ظل هذه البنية العقلية يعد ضرباً من الخيال فهذه البنية تنظر للمرأة على أنها الشيء الوحيد الذي يجلب العار للرجل، فلقد اعتبرت بنية العقل التناسلي أن غشاء البكارة لدى المرأة يحمل دون عناء شرف قبيلة بأسرها أو عشيرة أو عائلة.[2]

ويمكننا أن نلمس المستوى الفكري للمرأة في ظل هذه البنية التناسلية من خلال حديث فاطمة مع جارتها كذلك يمكننا أن نرى أيضاً فاطمة عندما تذهب لمخدعها فهي لا تدخله على قدم المساواة مع زوجها ولكنه تدخله وبداخلها إحساس يذكرها بنقصها وبأنها أقل شأن من الرجل وهذا يشعرها وكأنها تمارس خطيئة أو أثم ومرد ذلك الاحساس بالإثم يرجع إلى النشأة الفكرية التي نظر به المجتمع التناسلي للمرأة.

- فاطمة وقضية العقم:

يعد العقم في فضاء بنية العقل التناسلي من الكوارث الحقيقية فهو أشبه بالموت الذي يفتك بالإنسان، بل أن العقم يعد في هذا الفضاء الفكري مرادف حقيقي لكلمة الموت فسلطانه أقوى من كل السلاطين فكم من ملوك وجبابرة لم يقهرهم سوى العقم والموت "إن ألف ليلة وليلة

---

1 - أحمد إبراهيم الفقيه، هذه تخوم سملكي، الجزء الثاني من الرواية الثلاثية، دار رياض الريس، قبرص، ص 12.
2 - أنظر، د. الشيخ محمد الشيخ، التحليل النفاسي والأدب، 2001 م، ص 86.

عامرة بالحكايات عن عذاب الملوك والأمراء الذين يحرمون من الإنجاب فينسون مباهج الحكم ويصرفون وقتهم في البحث عن علاج للعقم والجري وراء السحرة والمنجمين وإرسال المبعوثين إلى أقاصي الأرض طلبًا لمعجزة تمنحهم الخصوبة والولد".[1]

فالعقم مؤلم على النفس وخاصة في بنية العقل التناسلي، إن فاطمة تتألم بشدة لأنها لم تستطع أن تنجب طفلاً للإمام وهي تعتقد في قرارة نفسها بأن طفلاً سوف يملأ خواء البيت وسوف يطرد الأشباح التي تختبئ في الظلام وتهاجم خليل أثناء نومه، وفي ذلك إشارة إلى أن مرض خليل لم يكن إلا لكون فاطمة عاجزة عن الإنجاب والأشباح التي تفزع الإمام في منامه ماهي إلا تساؤلاته عن سبب العقم هل السبب منه أو من فاطمة، وتتجلى الفاعلية التناسلية هنا من خلال ربطها مفهوم الحياة بالتناسل لذلك نجد فاطمة تبكي لأنها لم تستطع أن تنجب لخليل الطفل الذي يحقق لهما الأمن والاستقرار في الحياة "مضى على زواجنا أكثر من ثلاث سنوات دون إنجاب،... ولكنها تعتقد بأن طفلاً يملأ فراغ البيت سوف يطرد الأشباح التي تختبئ في الظلام وتهاجمني أثناء الليل، رأيتها تبكي وتضع اللوم على نفسها فدعيت أمامها بأنني سبب العقم وليست هي"[2] أن تكون المرأة التي تحبل وتلد وهي التي تعيش في مجتمع يقدر الرجل الفحل والمرأة الولود عاقراً فهذا يعد أمر سيء للغاية ذلك لأنها حكم عليها بالفشل في حياتها، فاطمة تعد إنسانة فاشلة لأنها لم تحقق الغرض من الزواج وهو الإنجاب وذلك الغرض هو هدف التناسلي من الحياة، فهي في حكم الميتة لأن العقم في هذه البنية الفكرية يساوي الموت فكم من زيجات هدمت في ظل بنية الفكر التناسلي لا لشيء إلا لتأخر الحمل والولادة، ومن هنا كان هدف فاطمة من الحياة هو تكوين أسرة وإنجاب الأطفال "الهدف النهائي من الحياة بالنسبة للكائن التناسلي هو أن يكون أسرة، وأن ينتج أطفالاً"[3] فهي بنية تحرّم الزواج من المرأة التي

---

1 - أحمد إبراهيم الفقيه، هذه تخوم مملكتي، الجزء الثاني من الرواية الثلاثية، الطبعة الأولى، مايو 1991 م، دار ريحاني الريس للكتب والنشر، قبرص، ص 95.

2 - المصدر السابق، ص 11.

3 - د. الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب، 2001 م، ص 86.

لا تلد" إذا فشل التناسلي رجلاً كان أو امرأة في عملية التناسل لا يرى أنه فقد بعداً أو ركناً أساسياً من أركان حياته بل يرى أن حياته في جملتها قد انهارت وأنه لم يعد رجلاً أو امرأة". [1]

فهدف التناسلي من الحياة هو الزواج والهدف من الزواج هو إنجاب الأطفال وهكذا هي الحياة بالنسبة للإنسان التناسلي "كما تحرّم على وجه الخصوص الممارسات الجنسية التي لا تحقق الإنجاب". [2]

- شخصية وردة وعلاقتها بالنظام القيمي في بنية العقل التناسلي:

إن شخصية وردة والتي كانت جارة لأهل خليل الإمام في المدينة القديمة أثناء طفولته، تعد شخصية تعبر بكل قوة عن بنية العقل التناسلي والتي تفرض هيمنة على أغلب أفراد المجتمع، فوردة تبرز الجانب القيمي في هذه البنية التي تستدمجها من خلال فاعليتها التناسلية وإن كانت تسير ضد فكر بنية العقل التناسلي من خلال ممارسة الجنس خارج إطار الزواج ولكنها كانت تقوم بهذا الفعل انطلاقاً من الجانب القيمي لبنية العقل التناسلي والذي يعتبر أن قمة النصر وقمة الهزيمة هي النصر الجنسي أو الهزيمة الجنسية. [3]

"كانت صاحبة البيت المحاذي لبيتنا امرأة مسنة أسمها الحاجة وردة، لم أعرف إلا بعد أن كبرت أنها تزوجت في صباها ضابطاً تركياً هرب أثناء الغزو الإيطالي وتركها وهي ما تزال بخضاب العرس، وانتقاماً منه فتحت بيته للترفيه عن الإيطاليين"[4] من خلال الحديث عن نظام القيم في بنية العقل التناسلي فإننا نجد أن قمة الانتصار في هذه البنية هو الانتصار الجنسي وكذلك قمة الهزيمة هي الهزيمة الجنسية ومن هذا المنطلق كانت ردة فعل وردة إزاء فرار زوجها التركي والذي هرب وتركها وهي لا تزال عروساً بخضابها فكانت ردة فعلها نابعة من الفاعلية التناسلية ونظامها القيمي المرافق لهذه الفاعلية فقامت بالانتقام من الزوج الهارب وذلك بإذلاله وتلويث شرفه وكما هو معلوم في فضاء بنية العقل التناسلي" عندما يتحدث الإنسان عن

---

1 - المصدر السابق، ص 81.
2 - المصدر السابق، ص 80.
3 - أنظر: د: الشوخ محمد الشوخ، التحليل الفاعلي والأدب، ص 84.
4 - أحمد إبراهيم الفقيه، هذه تخوم مملكتي، ص 17.

الشرف يكون معلوماً تماماً بأنه يقصد شرفه الجنسي وليس شرف الوطن أو العمل أو العقيدة".[1]

فلم تنظر وردة للإيطاليين على أنهم غزاة يجب قتالهم انطلاقاً من الشرع والعقيدة، ولكنها نظرت اليهم من خلال نظام القيم في بنية العقل التناسلي مدفوعة بحب الانتقام من الزوج الهارب وذلك امعاناً في إذلاله فما كان منها إلا أن فتحت بيت الجندي الهارب للمحتل الإيطالي وذلك لترفيه عنهم، فاستحوذ المحتل على الأرض والمرأة وكلاهما يعد شيء واحد في فضاء بنية العقل التناسلي، وبعد ذلك قمة الإذلال والهزيمة.

---

1 ـ د: الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب نحو نظرية جديدة للأدب، مخطوط 2001 م، ص 85.

المبحث الثالث

فاعلية بنية الشخصية في رواية "نفق تضيئة امرأة واحدة"

يستمر الصراع بين شخوص الرواية الثلاثية لأحمد إبراهيم الفقيه والمجتمع من جهة وفيما بينها من جهة أخرى. ويتضح هذا الصراع في الجزء الثالث من الرواية والتي حملت عنوان "نفق تضيئة امرأة واحدة" فأحداث الرواية تسرد الواقع المعيش الذي يحياه خليل الإمام بعد عودته من الرحلة العجائبية لمدينة عقد المرجان، لقد سافر خليل الإمام إلى الماضي السحيق الموغل في القدم حيث القصور والأمراء وشبيهات شهرزاد متأثراً في ذلك بحكايات ألف ليلة وليلة والتي نال عنها الإجازة الدقيقة، فخليل الإمام يستدمج بنية العقل التناسلي شأنه شأن أغلب أفراد المجتمع، فنحن عندما نقول بأن الشخص يستدمج بنية عقل معينة فذلك يعني أن الفرد يخضع لبنية معينة ومحددة، تقوم هذه البنية من خلال خضوعه لها بتحديد سلوكه وأسلوبه في الحياة أكثر من البنيتين الأخريين .[1]

- شخصية خليل الإمام:

- الفاعلية التناسلية لشخصية خليل الإمام:-

إن أهم ما يميز بنية العقل التناسلي عن غيرها من البنيات العقلية هو أن مكون الدلالة في آلية التعقل فيها تناسلي صرف ومن ثم فإن بنية العقل والوعي المصاحب لهذه البنية يكون بالضرورة تناسلياً[2].

وتتجلى الفاعلية التناسلية لدى خليل الإمام في مواضع كثيرة من الرواية، بل لا نبالغ إذا قلنا بأن الرواية تقوم في أغلبها على إظهار الفاعلية التناسلية عند خليل الإمام، وتفسير ذلك يرجع إلى أن المكون الدلالي والذي يعي خليل الإمام به نفسه كائناً اجتماعياً تناسلياً ينطوي على عدة أمور لعل من أهمها هو دور هذا الكائن في الحياة حسب مفهوم هذه البنية، والذي تكون

1 - أنظر الشيخ محمد الشوخ، التحليل الفاعلي والأدب نحو نظرية جديدة للأدب، محفوظ 2001 م، ص 106 .
2 - أنظر عبدالرزاق بلقاسم السبتي، النص الأدبي الاستلاب والفاعلية، منشورات جامعة التحدي سرت، الطبعة الأولى، 2008 م، ص 119.

وظيفته ودوره في الحياة التناسل فقط، ونلاحظ هذه السيكولوجية واضحة عند خليل الإمام، إن خليل الإمام يحاول أن يربط بين الحلم والواقع ويتضح ذلك من خلال علاقته بسناء الطالبة المعيدة بكلية الصيدلة بالجامعة والتي يدرّس بها، لقد حاول الإمام أن يسقط عليها شخصية بدور والتي أنشأ معها علاقة حب في مدينة الحلم "عقد المرجان" وعند لقائه بسناء تذكر بأنها هي في ذاتها بدور، فما كان من الإمام إلا أن أغدق عليها الحب ووصفها بأنها الحب المفقود والذي كان يبحث عنه على أرض الواقع، فهذا البحث عن الحب المفقود كان تلبية لرغبة كتمتها بنية العقل التناسلي، فالإمام في علاقته مع سناء كان يجسد الفاعلية التناسلية والتي اختزلها في نفسه منذ عهود صباه "العناق فوق فراش واحد..... ولهاث الجسد الراكض فوق حشية القش..... والارتماء متعانقين داخل قوارب الصيد... والجسد الذي انبري عاريًا فوق الجبل". [1]

لقد كان ذلك تذكارًا من سناء الحلم ولكنه في الواقع كان يحاول أن يجسد هذا الحلم على أرض الواقع، فخليل الإمام يتصرف وفق ما تمليه عليه بنية عقله التناسلي، وهذه البنية التي يستدمجها هي التي تحدد سلوكه وأسلوبه في الحياة أكثر من البنيتين الأخريين، بنية العقل البرجوازي وبنية العقل التناسلي ولكنه كان يوظف البنيتين الأخريين من أجل تنفيذ أغراضها ومآربها التناسلية، فسلوك الإمام كان استجابة صادقة لبنية عقله التناسلي ومن هنا نظر إلى سناء الواقع بعيني شخص يستدمج بنية العقل التناسلي "أذهلني هذا التباين بين الشعر الذي تهدل متألقًا، داكن السواد والتوهج وبين صفاء العنق وشفافيته المضيئة وتبدت لي سناء رمزاً لخصوبة الحياة". [2]

فالملاحظ بأن الإمام يتحسس من سناء تلك الجوارح التي تثير الحواس ويتمعن في وصفها لينتهي إلى وصف سناء كرمز لخصوبة الحياة وهو هنا يتصرف من منطلق تناسلي صرف، فالحياة والهدف منها في هذه البنية هي أن يكوّن الإنسان أسرة وأن ينجب أطفالاً، فربط

---

1 - أحمد ابراهيم الفقيه، رواية نفق تشيخة أمراء واحدة، ص 25.
2 - المصدر السابق، ص35.

خليل الإمام سناء بالخصوبة وهو يدل على الجانب القيمي في بنية العقل التناسلي وكيف تنظر للحياة، وهذا ما قصده الإمام عندما تحدث عن أسطورة إزيس المغرقة في فضاء بنية العقل التناسلي ولما لها من مدلول عن سيطرة هذه البنية على أفراد المجتمع وذلك من خلال التاريخ القديم لهذه البنية لأنها أول بنية عقلية نشأت لدى الإنسان وذلك عندما تكونت من أجل حماية النوع البشري من الانقراض وضمان استمراره في مواجهة ويلات الطبيعة والكوارث والأمراض فهي بنية سادت في فجر التاريخ الأول للإنسانية من أجل حماية النسل البشري. [1]

"لم أقل لها ما فعلته هذه المرأة عندما مات أوزوريس وخشيت ألا يبعث من جديد، فذهبت تبحث بين أعضائه التي تناثرت عن تلك القطعة من جسمه التي تقوم بمهمة الإخصاب حتى وجدتها وأخصبت بها نفسها وأنجبت ابنها حورس".[2]

إن هذا المشهد من الأسطورة يجسد في حقيقة الأمر بنية العقل التناسلي فهي بنية غايتها من الحياة الإخصاب والتوالد وتوفير البشر كمياً، فالزواج يعتبر غاية الحياة وهدفها، فالتناسل والزواج يكون لسبب واحد فقط هو الإنجاب فكل علاقة لا توالد فيها تكون علاقة غير مرغوب فيها من بنية العقل التناسلي.

ونتابع مع الفاعلية التناسلية لدى خليل الإمام والتي نلتمس من خلالها تلك السيكولوجية التناسلية في شخصية الإمام والتي تقوم بتوجيه سلوكه على النحو الذي تظهر فيها تلك المكونات الشخصية لمكون الدلالة في فضاء الوعي التناسلي ونجده في شخصية الإمام في حديثه عن سناء من خلال هذا المكون السيكولوجي التناسلي عندما كان يراقب تلك التميمة المقدسة في بنية العقل التناسلي وهي ترقص مع زملائها عندما كانوا في رحلة جامعية إلى الجبل الأخضر شرق

---

1 - أنظر الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب نحو نظرية جديدة للأدب، محفوظ، 2001 م، ص 83.
2 - أحمد ابراهيم الفقيه ثم نفق تضحيته امرأة واحدة، ص 32.

ليبيا "أتابع ارتجاجات نهديها وهما يقفزان كطائرين من طيور النار يحرقان قميصها... أضبط إيقاع جسدي على إيقاع نهديها وألثم شعرها الذي يضرب أحياناً وجهي".[1]

وهكذا نجد خليل الإمام يكرس تلك البنية التناسلية التي تسكنه في كل سانحة له من أجل التعبير عن هذه الفاعلية التناسلية وفي ذلك تعبير عن الموروث التناسلي بكل تفاصيله، أن الفاعلية التناسلية كانت وراء علاقة الإمام بسناء فهو مبهور بها في ظل بنية عقلية تقدس كل ماله علاقة في استمرار النوع البشري وتعلي من شأن القدرة الجسدية لدى الرجل والمرأة، لذلك نجد الإمام يعلي من شأن الجسد الأنثوي ويمعن في الوصف الحسي له ويشيد بالأعراس التي يقيمها الجسد عبر تاريخه ابتداءً من التماثيل الإغريقية العارية والتي تظهر حسن وبهاء الجسد وصولاً إلى سناء والتي كانت تخرج معه إلى القرية السياحية على البحر في مدينة طرابلس "جلستُ أتأمل الجسد الذي ينفث في صمت سحره القاتل فتناثرت حبات الرمل فوق فخذيها وارتطمت ليونة الجسم بليونة الرمل". [2]

- خليل الإمام ومفهوم الرجولة:

إن مفهوم الرجولة لدى خليل الإمام يتحدد في ضوء فكر ومفهوم بنية العقل التناسلي التي يستدمجها شأنه في ذلك شأن أغلب أفراد المجتمع، فهو يقيس مفهوم الرجولة بمفهوم الفحولة الجنسية والجسدية العضلية، وربما اعتبرت هذه الكلمة المرادف لذلك المفهوم في المجتمعات التناسلية، فلا يوجد تفسير أخر لذلك المفهوم غيره، ومرد ذلك يعود إلى بنية العقل التناسلي والتي تختصر مفهوم الرجولة بالفحولة، فالرجل المقدر والمحترم في فضاء بنية العقل التناسلي هو الرجل الفحل ومن هذا المنطلق كانت نظرة خليل الإمام لمفهوم الرجولة تعني كونه ذكر لا غير شأنه في ذلك

1 - المصدر السابق، ص 41.
2 - المصدر السابق، ص 130.

شأن باقي أفراد المجتمع التناسلي، فالمقياس لرجولة المرء في المجتمعات التناسلية يكون من خلال تأكيد قدرته كذكر في عملية التناسل، فربطت بنية العقل التناسلي بين مفهوم الرجولة وبين التناسل لا غير لتأكيد هذا المفهوم واحتكاره للذكور فقط داخل المجتمع "أنها ليلة المفارقات العظيمة وأهمها أنني سأختبر الآن رجولتي بالامتناع عن ممارسة الرجولة مع هذه الأنثى".[1]

ونلاحظ بأن كلمة "الرجولة" جاءت هنا بمفهوم "الجنس" بمعنى أن الرجولة هي الممارسة الجنسية من جانب الذكر، فخليل الإمام يبذل قصارى جهده لكي يبتعد هذه الليلة عن سعاد صديقة أنور جلال وذلك بالامتناع عن ممارسة الجنس معها واصفاً هذه العملية بعدم ممارسة الرجولة فهو يختصر مفهوم الرجولة بالفحولة في العملية الجنسية، ولا ينطبق هذا الشيء على المرأة ذلك لأن هذه البنية بنية العقل التناسلي قد أعدت المرأة بطريقة خاصة حتى تقبل بأن دورها الوحيد في الحياة هو الإنجاب فقط عكس الرجل والذي أعد بحيث يكون هو المسيطر في فضاء بنية العقل التناسلي، فخليل الإمام ينظر إلى نقطة الرجولة بحساسية شديدة لأنها تعد من أهم قيم بنية العقل التناسلي "لعلني فعلت ذلك بدافع التحدي لها ولكي اثبت للرجل الذي ينحدر من سلالات الفحول الذين يقسمون بذقونهم وشواربهم".[2]

لقد أكد خليل بأن الفحولة هي قمة الرجولة وذروة سنامها وذلك من خلال ارتباطها بالذكر ولأن خليل الإمام ينحدر من سلالة ذكورية عظيمة مشيراً إلى أنهم لا يقسمون بالله ولكنهم يقسمون بمظاهر فحولتهم المتمثلة في ذقونهم وشواربهم لأنها لا تنبت إلا في وجه الذكر وفي ذلك تأكيد على مفهوم الرجولة من وجهة نظر بنية العقل التناسلي، فأسلافه الذي ينحدر هو

1 - المصدر السابق، ص 186.
2 - المصدر السابق، ص193.

من سلالاتهم فحول عظام وذلك تأكيد على المفهوم القيمي لبنية العقل التناسلي "ويصبح الرجل المحترم والمقدر هو الذي في حوزته أكبر عدد من الأبناء خاصة الذكور أي الفحل".[1]

ونجد أيضاً مفهوم الرجولة في شخصية خليل الإمام مقترن بالفحولة وذلك من خلال علاقته بسناء والذي أحس من خلال علاقة حبها بالعجز والضعف، وأن هذا العجز والضعف يسلبانه فحولته ورجولته، فهذا الحب عطل تلك الفحولة وجعله ضعيفاً فأراد الإمام الانتصار لنفسه من هذا الحب والذي كان يريد أن يطهره ويغسله من إدارنه ويعيد خلقه كإنسان جديد متحرر من أمراض مجتمعه المزمنة التي يعاني منها، ولكنه في حقيقة الأمر كان مريضاً من قوة ذلك الحب والتي سوف تسلب منه رجولته وربما يوصف في المجتمع بأنه ليس رجلاً وهذا دفعه بأن يفكر بطريقة تجعله ينتصر لنفسه من سناء وحبها "لم أجد شيئاً أخر أفاخر به واسعي لتأكيد ذاتي الرجولية من خلاله إلا عضو الذكورة أرفعه في مواجهة هذا الفيض الغامر السخي من حبها الذي داهم حياتي كسيول الفرح، ذلك العضو الذي كدت أفقده وأفقد حياتي بسببه أثناء الختان على يد حلاق غشيم، هو الشيء الوحيد الذي لا تملكه سناء وبه وحده أعلن انتصاري وأرضي سلالة الفحول الذين ينتحبون في صدري".[2]

ومن هنا يعلن الإمام انتصاره كونه رجلاً مستمداً هذه الصفة من عضوه الذكوري، ليعلن بأنه سوف ينتصر على سناء وحبها بكل قوته وجبروته من خلال فحولته فهو يملك القوة التي لا تملكها سناء وهو بذلك يكون الوفي لبنية عقله التناسلي ووفياً للإسلاف الفحول، فهو يؤكد قيم بنية العقل التناسلي التي تعتبر أن قمة النصر والهزيمة هي النصر والهزيمة الجنسية "إن قمة الهزيمة هي الهزيمة الجنسية" [3]

---

1 - الشيخ محمد الشيخ، التحليل الثقافي والأدب نحو نظرية جديدة للأدب، 2001 م، ص 83.
2 - احمد إبراهيم الفقيه، رواية تفق تضيئه امرأة واحدة، الجزء الثالث، ص195.
3 - أنظر الشيخ محمد الشيخ، التحليل الثقافي والأدب نحو نظرية جديدة للأدب، 2001 م، ص 84.

شخصية الإمام وبنية العقل البرجوازي:

لقد سبق للإمام ان غزي بنية العقل البرجوازي محاولاً الانتقام من فضاء تلك البنية لبنية عقله التناسلي والتي غزتها من قبل بنية العقل البرجوازي ولكنه فشل في ذلك الغزو فترة دراسته في بلاد الانجليز.

وقد أثرت تلك التجربة على شخصية وجعلته يشعر بالمرارة عندما يتذكر رحلته تلك مؤكداً على انتمائه لبنية عقله التناسلي وأنه عندما كان يصول ويجول في فضاء بنية العقل البرجوازي كان مجرد غازٍ يحمل رمحه معه في دلالة على فحولته ورجولته في ممارسة الجنس مع أكبر عدد من الإناث الإنجليزيات في محاولة منه إلحاق العار والخزي بهن لأنه يمارس ذلك بدون زواج وهو يعتبر قمة الإهانة وفق بنية العقل التناسلي فخليل الإمام لم يكن لينسجم أو يندمج مع بنية العقل البرجوازي بأي حال لأنه كان أشبه بنقطة زيت تطفو فوق سطح الماء لا يمكنها أن تمتزج معه لأنها تختلف في التركيب والخصائص الوراثية والكيمائية عن الوسط المحيط بها. لقد كانت بقعة زيت غازية لم تتمكن من الانتصار أو التكيف مع وسط لا يمت لها بصلة "ولكنني في جزء من عقلي كنت أعرف أنني مثل قطرة الزيت في إناء الماء ستظل طافية فوق السطح، غير قادرة على أن تحقق الاندماج الذي تريده كنت أعرف أنني في تلك المدينة مجرد عابر طريق يحمل رمحه".[1]

شخصية الامام التناسلية وحقيقية الحب لديها:

لقد شغف خليل الإمام بحب سناء لدرجة قام بإسقاط كل ماله علاقة بالحب على ذات سناء فكل النساء اللواتي تعشقين الإمام في مدينة الحلم كانت من وحي والهام شخصية سناء في الواقع، ولكن ذلك الحب لم يكن قشرة يختبئ وراءها الإمام لتحقيق رغبة دفينة تستعر في داخله من أجل الارتواء وتحقيق فحولته مع المرأة التي عشقها ، لقد بدأ خليل الإمام لسناء بدون رتوش وظهر لها بوجه ذلك الرجل التناسلي وكان بذلك إعلان عن نهاية علاقة خليل وسناء بطريقة

1 - أحمد ابراهيم الفقيه، نفق تصينه امرأة واحدة، ص 146.

مأساوية حقاً، لقد ختم الرجل التناسلي علاقته مع سناء بطريقة وحشية عندما حاول اغتصابها في غرفته بالقرية السياحية، لقد فكر خليل الإمام بطريقة سادية تظهر شخصية تناسلية وحشية همها الوحيد إطفاء غرائزها ورغباتها "كان فكري يحوم حول الجسد الذي يتعرى تحت الماء مثيراً، وشهياً، عامراً باللذات، كأنه لم يخلق إلا لممارسة الحب"[1]

ومن هذا المنطلق وهذه الرؤية السيكولوجية لرجل يستدمج العقل التناسلي كانت النهاية لهذه العلاقة والتي كانت منذ البداية مسكونه بهاجس الجنس والتناسل، فلقد هاجم خليل الإمام حبيبته سناء يقبلها بحرقة صاعد هابط يقبل الشفتين والعينين والوجنتين ويقبل الشعر والعنق والصدر ويلثم ذراعها العاري.[2]

لقد جن خليل الإمام ولم يستيقظ من جنونه إلا عندما أصطدم رأسه بالأرض عندها فقط شاهد سناء وهي تبكي دامية "تتحرر من قبضتي، تنهض وتعيد التنورة بسرعة وارتعاش إلى مكانها، تغطي بها عري فخذيها تضع قدمها في الحذاء وتخطف سترتها تغطي بها عري صدرها الذي تمزق عنه القميص، تعدو هاربة".[3]

وهكذا يختم الإمام الرواية عن نهاية علاقته بسناء والتي يضع اللوم فيها على بنية عقله التي كانت وراء كل تصرفاته، فهو ابن هذه البنية وهي بنية لا ترحم من يحاول أن يخرج عنها ويجاهر بعصيانها، وما الحب إلا بعض هذا العصيان لأنه حب مفرغ من قيمة الانسانية الأخرى غير الجسدية فالزواج وفقاً لهذا البنية ليس علاقة إنسانية شاملة ولكنه مسوغ ممارسة الجنس، فخليل الإمام خرق هذه القاعدة فلقد مزق العلاقة الزوجية التي تربطه بزوجته من أجل ذلك الحب وإعلان أن مؤسسة الزواج هي مؤسسة قمعية فأراد التكاك منها وحاول الزواج بسناء

---

1 - المصدر السابق، ص 154.
2 - انظر المصدر السابق، ص246.
3 - المصدر السابق، ص 249.

على طريقته الخاصة "حان أن نقيم عرسنا بأنفسنا دون حاجة إلى انتظار سننه هذا المجتمع وحراس أوثانه حتى يأتوا ويقيموه لنا".[1]

لقد تم معاقبة الإمام على عصيانه لبعض قوانين وقواعد السلوك في بنية العقل التناسلي لأنه جزء لا يتجزأ من تلك البنية ولهذا نراه في نهاية المطاف يلقي باللوم على الرجل الأخر الذي يسكنه وفي ذلك إشارة إلى الميراث الذي يمثل بنية العقل التناسلي والذي يمثل جزء كبيرا من شخصية "أنسل هو من جسدي وذهب يغتصب امرأتي وأبقاني عاجزا".[2]

2 – شخصية سناء:

سناء الطالبة المعيدة بكلية الصيدلة وهي التي تم يعيينها فيما بعد بالكلية، تعرف إليها خليل الإمام عندما كان يقدم مجموعة من المحاضرات الفكرية في بعض المواسم الثقافية بالجامعة لقد كانت سناء ليا شخصية مستقلة في مجمع لا استقلالية فيه لشخصية المرأة، فالجميع يستدمج بنية العقل التناسلي بما فيهم سناء نفسها ولكنها كانت لها بعض المحاولات في تفسير جملة من الأمور حتى وأن خالفت بعض المفاهيم الفكرية السائدة في المجتمع انطلاقا من فاعليته مما أدى إلى استهجان البعض والنظر إليها على أنه فتاة عابثة لا تحترم تقاليد المجتمع السائدة.

لقد كانت سناء بالنسبة لخليل الإمام تميمة ضد أوجاعه وأمراضه فلقد كانت بدور في مدينة عقد المرجان وسناء في مدينة الواقع ولقد فسر الإمام ذلك الأمر بأنه شاهد وجه سناء في إحدى المناسبات الثقافية بالجامعة ومسحورا بجمالها قام باصطحابها معه في رحلته إلى مدينة عقد المرجان "صار الآن يقينا أنني حملت هذا الوجه معي في تلك الرحلة".[3]

لقد كانت شخصية سناء ثائرة على تقاليد المجتمع وخاصة فيما يتعلق بقضية الفصل بين النساء والرجال والتفكر للذات وكبت المشاعر والأحاسيس وما إلى ذلك من خطاب ثوري في بنية تكرس قوتها من أجل الحفاظ على أفكارها من عبث العابثين أمثال سناء وخليل وغيرهم.

---

1 - المصدر السابق، 245.
2 - المصدر السابق، ص 21.
3 - أنظر الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب نحو نظرية جديدة للأدب، محفوظ، 2001 م، ص 106 .

"إنسان آخر يكره أن يمسخ عواطفه ويتنكر لنداءاته الداخلية ويمضي في الحياة يرتدي أقنعته وينسى وجهه الحقيقي كما يريدنا هذا المجتمع أن نفعل".[1]

سناء والفلسفة المغايرة لمفهوم الموت:

إن بنية العقل التناسلي بحكم تكوينها الفكري كان للموت فيها نصيب من فكرها وذلك لأنه كان التهديد الوحيد للنوع البشري بالانقراض على النحو الذي يؤدي إلى ارتفاع معدلات الوفيات في مجتمعات يسيطر عليها الجهل ولم يكن هناك من سبيل للحفاظ على الجنس البشري من الانتهاء سوى تحفيز كل فرد لينجب أكبر عدد من الأولاد.[2]

وهنا يظهر مدى ارتباط بنية العقل التناسلي بقضية الموت والحزن والفراق على كثرة من قضوا من الأحباب، ولكن سناء كانت لها وجهة نظر مغايرة لتلك التي ينظر من خلالها الناس إلى هذه القضية، قضية الموت والفراق "كانت المحاضرة عن الموت فتكلمت هي عن قوة الحياة التي يجب أن نواجه بها الموت".[3]

ولكن سناء شأنها شأن أي فرد في مجتمع يستدمج بنية العقل التناسلي حتى وإن كانت لدى هذا الفرد زيادة في فاعليته يطرح من خلالها أفكاراً تعد إلى حد ما أفكاراً تجديدية في فضاء بنية العقل التناسلي إلا أنها لا تقوى على الخروج نهائياً عن تلك البنية، إن البنية العقلية المسيطرة على فكر المجتمع لها من القوة الكافية للحفاظ على خصائصها الفكرية، وهي التي قامت بمحاربة سناء لردعها عن محاولة التمرد الفكري عليها وكان لها ما أرادت عندما استدلت الستارة على علاقة سناء بخليل الإمام بذلك المشهد المأساوي لتعيد سناء إلى رشدها، فخليل الإمام أراد أن يقول لسناء بأن الحب هو الشيء الوحيد الذي يستطيع أن يصمد في وجه الموت

---

1 - المصدر السابق، ص 22.
2 - أنظر الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب نحو نظرية جديدة للأدب، محفوظ، 2001 م، ص 82.
3 - احمد إبراهيم الفقيه، نفق تضيئه امرأة واحدة، ص 22.

والفناء ولكنها ردت عليها بقولها "لا أعرف كلمة أخرى عبثنا بها كثيراً حتى لحقها العطب مثل هذه الكلمة..... أنها مثل طائر العنقاء شيء لا وجود له". [1]

أنها تقر بأن لا وجود للحب في ظل بنية تناسلية يستدمجها أغلب أفراد المجتمع، فكلهم لا يرون من الحب إلا الجانب الحسي التناسلي فقط وحتى خليل الإمام الذي يدّعي بحب سناء يفسر ذلك الحب بطريقه تناسلية بينما تصف سناء الحب الصادق الخالي من الماديات الحسية فهو حب يرتقي بالإنسان إلى مصاف الروحانيات التي ترتقي بالروح ومن ثم الجسد معه وهذا بينما أشبه بطائر العنقاء الخرافي والذي لا وجود له في مجتمعها التناسلي بينما في المقابل كان حب خليل الإمام ينطلق من بنية عقله التناسلي والذي عبر عنه بكل حسية منسجمة مع فاعليته التناسلية "ماذا يكون الحب إن لم يكن هذه الدماء التي تركض في بدني تريد أن تغادرني وتفر إليها، هذه الرغبة الحارقة لأن أسند رأسي فوق نهديها وأبكي أغسل يدي في موج شعرها وأغني الثم وجهها وأرتشف الندى من فوق شفتيها". [2]

لقد تعرضت سناء والتي لقبت بالحورية لجمالها إلى الكثير من المضايقات في الجامعة وذلك لكونها فتاة متحررة فتم التضييق عليها من قبل بنية المجتمع فوصفت بانها فتاة ذات سمعة سيئة وأنها تنحدر من أسرة سيئة الصيت وحاول الجميع التودد إليها من أجل مآرب تناسلية وكان من هؤلاء الأستاذ شعبان الذي كان يشوه سمعتها ويصفها بأنها تمارس الرذيلة والدعارة وأنه يجب طردها وفصلها من الجامعة ولكن لو نظرنا لوجدنا أن كل تلك الأمور ماهي إلا حرب شنتها بنية العقل التناسلي ضد سناء عقابًا لها على مجموعة الأفكار التي تطرحها وهي أفكار مخالفة لبنية العقل التناسلي.

---

1 ـ المصدر السابق، ص 36.
2 ـ المصدر السابق، ص 37.

العلاقة بين شخصية سناء وشهرزاد:

هناك تشابه في العلاقة بين سناء وشهرزاد وعلاقة التشابه بينهما تمكن في أن شهرزاد بدأت ضعيفة ومسكينة تساق إلى عرس موتها ثم صارت كبيرة وسامقة شامخة لها حضورها على عكس شهريار الذي كان حاكماً مستبداً ثم تضاءل إلى أن صار نقطة ضائعة في فضاء تسيطر عليه شهرزاد، فشخصية شهرزاد تشبه إلى حد كبير شخصية سناء ذلك لأنها كانت في أول الأمر ضعيفة حاصرتها المكائد وبنية العقل التناسلي من تآمر الأستاذ شعبان بطردها من الجامعة ووصفها بأنها فتاة من بيت سيء السمعة كل تلك الظروف جعلت منها فتاة بائسة منكسرة وضعيفة ولكنها فيما بعد أصبحت أقوى من شهريار المتمثل في شعبان وأمثاله، فخليل الإمام بفحولته ورجولته المتوارثة من جيل لآخر لم تصمد أمام ضعف سناء والتي أحبت الإمام بكل جوارحها فكان شهريار الذي تضاءل أمام شهرزاد "أن ما تصنعه بي سناء هو ذاته ما فعلته شهرزاد بشهريار عندما جاءت تحارب عنفه وصبواته وتحمل إليه عاطفة أكثر نقاء من مجرد الشهوة". [1]

لقد كانت سناء تعتقد بأن للمرأة أدوار عظيمة أكبر من كونها لم تخلق إلا لكي تتزوج وتنجب الأطفال، فالمرأة نصف المجتمع وبدونها يكون المجتمع عاجزاً، لقد كانت تجزم بأن قدرة المرأة أكبر بكثير من كل الأطر التي وضعها فيها الرجل "أرأيت كيف كان أسلافنا يصنعون من النساء آلهة". [2]

لقد اعتبرت سناء أن المرأة لديها من القدرة الخارقة التي تحاكي بها الأساطير وتجعلها في أعلى المراتب الاجتماعية وأن المرأة في ظل المجتمع التناسلي نظر إليها على أنها آلة لتفريخ البشر فقد عطلت هذه البنية قدرتها الإنتاجية فاختصر دورها في الإنجاب والبقاء في البيت، وهذا ما دفع ببنية العقل التناسلية بأن تكبح جماح سناء وتعيدها إلى حظيرتها فهي تريد

---

1 - المصدر السابق، ص 155.
2 - المصدر السابق، ص 155.

من المرأة أن تؤمن بأفكارها وأن تتوافق مع أهدافها ومنطلقاتها "إعداد المرأة حتى تقبل بأن دورها الوحيد في الحياة هو الإنجاب، ويتم ذلك بتبخيس عقلها وتقديس أنوثتها". [1]

لقد عاقبت بنية العقل التناسلي سناء على جرأتها في طرح مواضيع غير مقبولة في فضاء بنية العقل التناسلي وهي مواضيع تنتمي إلى بنية العقل الخلاق مثل الحب، فما كان من بنية العقل التناسلي إلا أن عاقبت سناء من خلال هذا الحب وذلك بأن جعلت من الذي أحبته سناء وحش مفترس يكرس كل ميراث بنية العقل التناسلي والفاعلية التناسلية من أجل تأكيد فحولته مع سناء. فبينما كانت تطرح مواضيع تنتمي إلى الفضاء الخلاق كان الإمام يطرح مواضيع تكرس بنية العقل التناسلي "لماذا ألوم نفسي وألوم المرأة التي جاءت لإرضاء جسد لم يجد في علاقة الحب التي تربطني بسناء سوى الإهمال".[2]

لقد كان الحب عند سناء يمثل قوة الحياة في مواجهة الموت بينما كان خليل الإمام يمثل الإهمال والمقصود بالكلمة هنا هو الإهمال الجنسي لأن حبه مع سناء لم يمنحه ذلك الشرف ليشعر بالفخر والزهو، فهو لم ير من سناء سوى نهديها وصدرها وعنقها وشفتيها وفخذيها وكل ما يحويه الخطاب التناسلي من أوصاف لأعضاء حسية عند المرأة، فالحب من وجهة نظر الإمام ما هو إلا نبتة غريبة تنمو في وسط أغرب "حبنا أشبه بنبتة غريبة تنمو وسط صحراء القيظ".[3]

فهو حب محاصر من بنية العقل التناسلي ومحكوم عليه بالعزل بكل ما تملكه الصحراء من اتساع وضياع وقحط وجفاف، إن مصير سناء في علاقة حبها مع خليل الإمام كان مصيراً مأساوياً منجعاً فلقد تحول الحبيب إلى جلاد ينفذ في حقها عقوبة اصدرتها بنية العقل التناسلي وذلك لأنها تبنت مواضيع تكرس أفكار لبنى أخرى غير أفكار بنية العقل التناسلي، لقد كان الإمام يدرك مسبقاً بأن علاقته مع سناء لن تدوم وذلك لأنه كان يعلم بأن بنية العقل التناسلي لن

1 - أنظر الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب نحو نظرية جديدة للأدب، محفوظ، 2(80) م، ص 86.
2 - احمد إبراهيم الفقيه، نفق تصيبه امرأة واحدة، ص 187.
3 - المصدر السابق، ص 224.

تسمح بذلك "وعلى مدى العلاقة التي ربطتني بسناء كنت أدرك جازماً أن علاقتنا ستنتهي إلى مثل هذا المصير". [1]

وكان المصير هو الفراق والنهاية المأساوية لعلاقة الحب بين سناء وخليل الإمام.

شخصية فاطمة زوجة خليل الإمام:

إن فاطمة زوج الإمام يصدق عليها مفهوم الشخص الذي يستدمج بنية العقل التناسلي قلباً وقالباً، فهي وفية لهذه البنية الفكرية التي تحدد مسارها وسلوكها وفكرها في الحياة، فهي ترى بأن الغاية النهائية من الحياة تكوين أسرة وإنجاب الأطفال فهذه هي الحياة بالنسبة لفاطمة ولا شيء غير ذلك، وهذا هو الدور الذي يجب أن تلعبه في حياتها وهو الدور الذي أعدته لها بنية العقل التناسلي "امرأة البيت وتقديس الحياة الزوجية، القالب الجاهز الذي يناسب زوجة لكل العصور وكل الظروف..... ترهل الجسم قليلاً وانطفأ في عينيها الألق القديم الذي رأيته عندما ألتقيت بها لأول مرة، كانت مهمته أن يجلب العرسان وانتهي بعد أن تحقق الغرض وتمت الصفقة". [2]

وهكذا كانت فاطمة الزوجة المثالية في الفضاء التناسلي فهي قد تم اعدادها بشكل تام يوافق أنوثتها في فضاء بنية العقل التناسلي وتوظيفها كزوجة، فهي تستخدم كل ما بحوزتها من جمال ومفاتن من أجل الوصول إلى تلك الغاية النهائية من الحياة في هذا الفضاء التناسلي وهو الزواج، وهي أي المرأة تستعين بالأبستمية الغيبية التي تتمتع بها بنية العقل التناسلي بجلب الزواج في حال تأخر عريس وذلك عن طريق اللجوء إلى أمثال الشيخ الصادق أبو الخيرات لكي يعمل على تعجيل وصول ذلك الزواج فهي بنية تكرس كل معارفها وقوتها من أجل تحقيق الهدف الأكبر من الحياة،

---

1 - المصدر السابق، 253.
2 - المصدر السابق، 48.

وهـو الـزواج "إعـداد الـمـرأة حتـى تقبـل بـأن دورهـا الوحيـد فـي الحيـاة هـو الإنجاب". [1]

ولكن فاطمة لم تكن لخليل أرض خصبة فهي لم تلد له وذلك يعد بمثابة كارثة بالنسبة لفاطمة لأنها تعلم جيداً بأن هدف الحياة في بنية عقلها التناسلي هو إنجاب الأطفال وهي لم تنجح في بلوغ ذلك الهدف مما يجعلها عرضه للنقد الحاد وربما يتسبب في نهاية حياتها الزوجية مبكراً وهي التي لا ترى الحياة إلا من خلالها، أن عقم فاطمة كان أحد أسباب نفور خليل الإمام من زواجه بها حتى وإن تظاهر بعدم الاهتمام كون فاطمة لم تستطع أن تنجب له الولد فالإمام أبن هذه البنية والتي ترى بأن اية علاقة لا يتحقق من خلالها التناسل هي علاقة فاشلة ويجب أن تلغى على الفور وإبدالها بعلاقة أخرى يتحقق من خلالها التناسل والإنجاب وهذا ما سعى إليها الإمام فيما بعد وتحقق له ذلك "ها هي أطرافنا تتشابك تحت الأغطية في عناق كاذب". [2]

فخليل يعلم جيداً بأن فاطمة أرض بور لا تنبت الزرع فقد كان الحكم عليها مسبقاً حتى وأن حاول جاهداً إرضائها وعدم جرح مشاعرها، إن فاطمة هي امرأة فصلت بشكل مثالي لتناسب مقاس أي زوج ينتمي لبنية العقل التناسلي وذلك من خلال الفكر الذي تربت عليها فاطمة وبنات جنسها ممن يستدمجون بنية العقل التناسلي، لذا فهي ترى بأن البيت هو مملكتها المقدسة فلا يجوز للزوج أن يقوم بأي عمل فيه، فخليل الإمام لا يساعدها في أي شيء من أعمال المنزل حتى ولو بخياطة زر قميص أو طهي فنجان قهوة فهي تستنكر ذلك لأنها نتاج بنية تتكر ذلك وتعده من واجبات المرأة فقط "كثيراً ما أسمعها تستنكر ما تقوله بعض المدرسات من أنهن لا يجدن

---

1 - الشوخ محمد الشوخ، التحليل الفاعلي والأدب نحو نظرية جديدة للأدب، 2001 م، ص 86.
2 - أحمد إبراهيم الفقيه، نفق تضيئه امرأة واحدة، ص42.

حرجاً في سؤال أزواجهن لمساعدة في أعمال البيت وإعداد الطعام، وترى في ذلك استهتاراً بوظيفة الزوجة وخروجاً عن الأصول" [1].

فالزوجة هي وظيفة أعدت لها الأنثى بكل دقة وعناية وفق بنية العقل التناسلي ومنظومته الفكرية الشاملة التي نشأت عليها الإناث في هذا المجتمع وتشربن من أفكارها ومبادئها، فالزوج الذكر هو سيد ولا يجوز أن يكون غير ذلك فالمرأة الزوجة تلغى وجودها في حضرته لتذوب فيه وتصبح ظلاً تحتمي بظله.

يعترف الإمام بأن زوجته فاطمة تمثل المرأة التناسلية التي تستدمج فكر تلك البنية فهي مستسلمة ومطيعة للزوج دائماً، فهو لم ير فاطمة تغضب أو تثور وحتى إن غضبت فإن غضبها يكون بدون صوت تحتمي بمطبخها لما له من دلاله في فضاء العقل التناسلي وارتباطه بالمرأة، فالبيت دائماً نظيف وهي دائماً نظيفة وجاهزة إذا ما طالبتها غريزة الزوج بحقوقها دونما أن تكون لغريزتها أي حق في السؤال بعد أن تأقلمت مع ذلك الوضع بسبب لإعداد الخاص بالمرأة في ظل بنية العقل التناسلي[2].

"أعرف جيداً طبيعة امرأة مثلها تمثلت ميراث القمع وتقاليده واستسلمت له وأعرف أن هذه التقاليد التي منحتها دوراً واعدتها له لم تتركها عزلاء بلا سلاح فهي لديها سلاح يقل الأسلحة الأخرى التي لا تستند إلى ميراث وتاريخ إنها ما أن ترى خطراً حتى تجري هاربة تحتمي بكهوفها تكبت انفعالها وتمنعه من أن ينطق"[3].

فناطمة سلاحها الصمت وعدم مواجهة الزواج تحت أي ظرف لأنها أعدت بهذه الطريقة فهي تحتمي بكهفها الخاص هرباً من غضب الزوج والبقاء فيه حتى تنجلي العاصفة التي قد تدمر حياتها إن حاولت مواجهتها.

---

1 - المصدر السابق، ص 11.
2 - أنظر المصدر السابق، ص49.
3 - المصدر السابق، ص 57.

إن فاطمة بنت بنية العقل التناسلي بكل ما تحمله من معنى فهي تستدمج تلك البنية، وتعمل بها، فهي ترى حياتها من خلال زواجها وأن شق عليها عدم مقدرتها على الإنجاب فهي تعتبر ذلك قدراً ماساوياً فالتناسلي الذي لا يستطيع الإنجاب يعتبر بأن ركناً من أركان حياته قد فقد، وهو ذات الشعور الذي تحسها فاطمة فهي تعلم مسبقاً بأن زوجها سوف يغض عنها البصر أن عاجلاً أو أجلاً ذلك أنها لم تحقق له الغاية من الزواج، فهي تعلم جيداً بأن عجز خليل الجنسي معها في الفراش إنما يرجع لكونها عاقراً وفي ذلك مؤشر خطير على مصير العلاقة الزوجية بينهما "أدرك أنه عجز يتنابني إلا معها فهو بالنسبة لها كارثة، إنه إهانة لأنوثتها وإشارة أكيدة إلى تبدل مشاعر الزوج نحوها وهو بعد كل ذلك شيء يهدد الوظيفة التي نذرت نفسها لها كزوجة وربة بيت[1]"

شخصية الأستاذ شعبان:

الأستاذ شعبان زميل خليل الإمام في الجامعة وهما يتقاسمان نفس الغرفة والتي تعتبر مكتبًا لكن منهما يغشاهم الطلبة للمراجعة وإتمام بعض الأمور الدراسية والإدارية، لكن الأستاذ شعبان أو شبعان كما يصفه خليل الإمام وذلك لكرشه الضخم والذي يتقدمه دائماً كان مصدر إزعاج وقلق لخليل الإمام خاصة فترة علاقته بسناء، إن شخصية الأستاذ شعبان شخصية تناسلية صرفة من خلال مكونها النفسي والتي تعي به ذاتها التناسلية وتؤكد على تلك الذات من خلال الخطاب التناسلي والذي كان ينشأ بين خليل الإمام والأستاذ شعبان، فشعبان ينظر إلى الأمور من منظار تناسلي صرف ويتضح ذلك من خلال حديثه عن سناء وعن سمعتها السيئة ليغوض خليل الإمام عندما شك بأن هناك علاقة تربط ما بين خليل وسناء، فكان الأستاذ شعبان من ضمن أدوات الضبط التابعة لبنية العقل التناسلي والتي تستعملها للضغط على الأفراد الذين يرتهنون لهذه البنية ولكنهم يحيدون عن مسارها الفكري "المؤسف هو أن المسكينة تنتمي إلى

---

1 - المصدر السابق، ص 99.

بيت سيء السمعة..... مات والدها مفجوعاً عندما اكتشف أن لأمها عشاقاً يزورونها وتزورهم رغم أنه التقطها من إحدى الحانات وتزوجها ضد إرادة أهله"[1].

لقد كان الأستاذ شعبان يتحدث عن سناء كونها فتاة ذات سمعة سيئة ليس في نفسها على الأقل ولكن سمعتها تلطخت من خلال سمعة أمها التي كان لديها عشاقاً كثر يزورونها مما أثر على والدها الذي مات مفجوعاً من تصرف والدتها حسب كلام الأستاذ شعبان وأضاف بأن والد سناء قد تزوج بأمها على الرغم من معارضة أهله لهذا الزواج فهي كانت راقصة في أحد الملاهي الليلية في إحدى الدول المجاورة للبيباء فالأستاذ شعبان ينطلق في حديثه مع خليل الإمام من خلال المكون القيمي لبنية العقل التناسلي والتي تعتبر بأن قمة الحياة والموت والانتصار والهزيمة هي الانتصار والهزيمة الجنسية وقمة العار والإهانة والخزي فقدان الشخص لشرفة الجنسي ومن هذا المنطلق نظر المجتمع لسناء نظرة إزدراء لأنه مجتمع تناسلي صرف حتى وإن كان هذا المجتمع يتمثل في الجامعة والتي تعد من أرقى مؤسسات المجتمعية لما لها من مكانه علمية وثقافية فهي تظل محكومة بالبنية الفكرية السائدة بالمجتمع "أعرف إلى أي مدى تظل هذه البيئة الجامعية وبرغم القشرة الحضارية مشدودة إلى أكثر تقاليد المجتمع تزمتاً"[2].

لقد كان شعبان يهم بالمغادرة لصلاة الظهر ومن بعدها الذهاب إلى المحكمة لأنه كان يقوم بترجمة بعض النصوص الإنجليزية إلى العربية لدى المحكمة من أجل زيادة الربح المادي ويتضح هنا توظيف بنية العقل التناسلي للبنيتين الأخريين من أجل تحقيق أهدافها فالأستاذ شعبان يوظف بنية العقل البرجوازي من أجل الكسب المادي شأنه في ذلك شأن الكثيرين ممن يستدمجون بنية العقل التناسلي.

لقد كان خليل الإمام حانقاً على الأستاذ شعبان والذي كان يراه يمثل الوجه القبيح لبنية العقل التناسلي بكل خصائصها الوراثية "لا شك أن ميراثاً ثقيلاً من القمع الجنسي والعاطفي هو

---

1 - المصدر السابق، ص 15.
2 - المصدر السابق، ص 14.

الذي صنع هذه النفسية المشوهة التي تحولت إلى رتيلاء كبيرة تخرج لعاباً كريهاً لزجاً، وتنسج به هذه الشباك للإيقاع بضحاياها"[1].

لقد كان تحليلاً نفسياً كافياً وشافياً لخبير ببنية العقل التناسلي، ولقد حلل خليل الإمام نفسية الأستاذ شعبان والذي كان يتحرق شوقاً لعناق سناء وذلك للميراث القمعي الجنسي والذي مارسته ببنية العقل التناسلي عليه وعلى الكثيرين من امثاله مما أدى إلى تحفيز الجانب السيكولوجي التناسلي لديه فكان كل شيء يتعلق بالمرأة يحيله إلى فكرة جنسية يرغب فيها "مازال الجنس بضاعة رائجة تجذب النساء الجميلات"[2].

هكذا كان خطاب الأستاذ شعبان عندما تورط مع سناء في ترجمة كتاب طبي والذي كان يتطلب الجلوس لساعات طويلة هو وسناء وأحياناً في أماكن خالية ولذلك حاول الاعتداء على سناء وتقبيلها وعناقها مدفوعاً بفاعليته التناسلية مما أدى إلى طرده في نهاية المطاف من الجامعة نهائياً.

شخصية عثمان الإمام:

عثمان الإمام هو الأخ الشقيق والأكبر سناً من خليل الإمام، يقابلنا في أكثر من موقف ومشهد وحوار بالرغم من قلة المواقف ولكننا تكتشف من الوهلة الأولى بأنه شخص يستدمج بنية العقل التناسلي شأن في ذلك شأنه أي فرد يكرر ذات المفردة في بنية تعيد انتاج نفسها وتصدق بمفهومها على أغلب أفراد المجتمع الذين يدينون بفكرها، فعثمان الإمام يمثل هذه البنية من خلال تشربه لأفكارها فهو الذي أشار على خليل بزيارة الأضرحة والأولياء والذهاب إلى الفقيه الذي لديه الكرامات الكثيرة ليمنحه العلاج الشافي لأمراضه وكان مدفوعاً في ذلك بأبستيمية نابعة من بنية العقل التناسلي والتي تكون ذات طبيعة غيبية، كذلك نجد عثمان الإمام يقر بأنه لا جدوى من المعاشرة بين الزوجين في حال تعذر الإنجاب وهذا ما حدث تماماً عندما

---

1 - المصدر السابق، ص 46.
2 - المصدر السابق، ص 44.

قرر خليل الانفصال عن فاطمة فخاطبه عثمان بصوت يختزل فيه الأجداد مما يحمله ذلك الصوت من قيمة في فضاء بنية العقل التناسلي والذي يحث فيه خليل بالتراجع عن قراره بطلاق فاطمة ولكن خليل يأبى ذلك ويصرح لأخيه بحقيقة عقم فاطمة فما كان من عثمان إلا أن بارك هذا الطلاق وأخذ على عاتقه إتمام الإجراءات المتعلقة بذلك الطلاق ليقينه بأن ذلك الزواج بات فاشلاً ولا يستحق عناء الاستمرار ومرد ذلك التغير في موقف عثمان لبنية العقل التناسلي التي يستمح أفكارها "قلت له أن المرأة عاقر، لأنني فحصت نفسي لدى الأطباء وعرفت أنني لا أشكو مرضاً وإن من حقي في هذا العمر أن أحضى بذرية كغيري من الرجال الأسوياء كان هذا هو المنطق الوحيد الذي يمكن أن يفهمه..... ثم أرسلته لمتابعه قضية الطلاق في المحكمة والدفع بهذه الحجة إذا عاندت فاطمة ورفضت الموافقة على الطلاق"[1].

شخصية أنور جلال:

شخصية المغني والملحن المعروف جمعة أبو خطوة والمعروف فنياً بأنور جلال، كان جاراً لخليل الأمام في المدينة القديمة منذ عهود الطفولة، كان جمعة قد سافر إلى مصر حيث قصد الجامع الأزهر لإكمال دراسته الدينية هناك بناء على رغبة والده أبو خطوة صناع الجرار في المدينة القديمة وصاحب المعركة مع المطر الشهيرة والتي جعلت سكان المدينة القديمة يتحاشونه ويتجنبون الاختلاط به فترك الصلاة معهم في المسجد، وعندما كبر جمعة أمره والده بالذهاب إلى الأزهر لتلقي علوم الدين تكاية في أهل القرية، التقى خليل الإمام بجمعة أبو خطوة الذي بدأ دراسته الأولى في جامع الباشا واعتقد خليل بأن الشيخ جمعة أبو خطوة سيعود إلى بلاده وسوف يكون أحد المراجع الدينية في البلاد ولكنه صعق عندما رآه مطرباً يغني بالعود وينتقل بين الموائد على الشاطئ في القرية السياحية التي أقام بها بعدما هجر منزله. وتعرف خليل على جمعة أبو خطوة صديق الطفولة فما كان من الأخير إلا أن ضيّف صديقة الإمام بكأس من شراب البرتقال البارد الممزوج بالخمر.

---

1 - المصدر السابق، ص 123.

تعتبر شخصية أنور جلال شخصية متمردة على بنية العقل التناسلي وذلك التمرد كان قد نشأ معه منذ صباه عندما قرر والده أن يرسم له خريطة حياته كلها فمارس عليه القهر الأبوي وذلك بأن جعله يحيا حياة يختار من خلاله الأب طريقة حياة أبنه، فالأب الذي هو نتاج بنية العقل التناسلي كان لديه الرخصة في أن يمارس سلطته الأبوية الاستبدادية على أبنه رغماً عنه وعن إرادته مما أثر عليه سلباً وأحدث لديه نوعاً من التصدع في بنية وعيه أحدث شرخاً في نفسه أدى إلى أن يستدمج فكر مخالف لفكر بنية وعي المجتمع، لقد وجد جمعة نفسه طالباً في الأزهر رغم إرادته ولكن عندما عاد إلى أرض الوطن أختار طريق آخر غير الذي اختاره له والده، لقد اختار جمعة الطرب والفن والمجون عالماً له وجمع من حوله مجموعة من الخارجين عن فكر بنية العقل التناسلي من أمثاله وعلى الرغم من استدماجهم لأغلب أفكارها عدتهم بنية العقل التناسلي مجموعة من المارقين وحاصرتهم وجعلتهم منبوذين اجتماعياً يعيشون في عتب الليل ولا يسامرهم إلا كل من هو مثلهم فكانوا يحيون على هامش الحياة يتجمعون ويسهرون حتى الخيوط الأولى من الصباح فكان نهارهم ليل وليلهم نهار وهكذا كانوا يتحاشون المجتمع المحيط بهم فكانوا يشكلون مجتمع خاص بهم.

شخصية سعاد صديقة أنور جلال:

تعتبر سعاد واحدة من المجموعة التي تتحلق حول المطرب أنور جلال وتعيش معه وكأنها زوجته وترافقه في حله وترحاله وتجالس أصدقائه وهي لا ترى مانعاً في أن تدخل مع أي منهم في فراشة دونما حياء يمنعها أو سلطة تردعها، وهي بذلك تخالف قواعد وقوانين بنية العقل التناسلي السائدة في المجتمع ومن هنا كانت نظرة المجتمع لسعاد على إنها إحدى الساقطات اللواتي تم نبذهن وضمهن وهن على قيد الحياة فهي تستحق الموت من وجهة نظر بنية العقل التناسلي، فصارت أشبه بالجيفة التي تزكم رائحتها الأنوف ويهرب الجميع منها وكان ذلك جزء من العقوبة التي فرضتها عليها بنية العقل التناسلي، كما أن هناك عقوبات وجزاءات

تنال الروح والجسد تقتل ذلك الجسد والذي يمثل الجنس في مجمله ومن هنا كانت محاولات سعاد الدائمة والمتكررة في الانتحار هرباً من نظرة المجتمع التناسلي لها فهو قد فرض عليها العزل الاجتماعي فحتى الذين يمارسون معها الجنس وهم رجال كانت نظرة المجتمع لهم أخف وطأة لأنهم يمثلون الفحولة في الفاعلية التناسلية عكسها تماماً والتي تمثل العار والخزي من خلال ممارستها للجنس خارج إطار الزواج "إنني أسألك جاداً لماذا الانتحار ؟ أود إنها ليست المرة الأولى فأنا أفعل ذلك مع نهاية كل صيف"[1].

لقد كانت سعاد تحاول الانتحار بعد نهاية موسم حافل بالمجون والسهر والانفلات وعندما ينتهي كل شيء تعود للمجتمع فتجد نفسها مخلوق مشوه ممسوخ يهرب منه الجميع فتقوم بالانتحار للخلاص من ذلك العذاب الذي تمارسه عليها بنية العقل التناسلي، لقد كانت سعاد متمردة على فضاء بنية العقل التناسلي والتي ترى بأن الشرف الجنسي هو أقدس المقدسات "بل إن غشاء البكارة وحده يحمل دون عناء شرف قبيلة بأسرها"[2].

فسعاد حطمت كل تلك القواعد التي تعلي من شأنها بنية العقل التناسلي وانطلقت تؤدي دور امرأة تستخدم بنية العقل البرجوازي التي فصلت الجنس عن التناسل وجعلته سلعة تخضع لقانون الطلب والعرض فلقد كانت سعاد تتقاضى المال عن معاشرة الرجال الذين يترددون على أنور جلال والذي كان يوفر لها المشروبات الروحية والرفقة وما إلى ذلك من الأمور المادية ومن هنا وصفها الإمام بأنها تقدم الجنس كبضاعة لزبائنها "أنها أبنة مهنتها التي تحيل العملية الجنسية إلى صراع تخوضه بالأظافر والإنسان بمثل ما تستخدم النهدين والشفتين واللسان للفوز بما تريد"[3].

لقد حولت سناء الجنس إلى مهنة وسلعة تباع شأنها في ذلك شأن من يستخدم بنية العقل البرجوازي والذي لا يرى حرجاً في جعل الجنس بضاعة تقوم عليها اقتصاديات برجوازية

---

1 - المصدر السابق، ص 218.
2 - د. الشيخ محمد الشيخ/ التحليل الفاعلي والأدب، ص 86.
3 - احمد إبراهيم الفقيه، نفق تضيئه امرأة واحدة، ص 187.

ورأسمالية كبرى، فهي لا ترى حرجاً في أن تطعم الجميع من موائدها ما دامت لا تنقص شيئاً، بل أنها تقوم باستثمار جسدها اقتصادياً ومن هنا حاربتها بنية العقل السائدة في المجتمع وهي بنية العقل التناسلي لأنها أي سعاد تمثل محاولة انقلابية على فكر المجتمع التناسلي "تغسل الجسد من إدارنه القديمة وتهيئ نفسها لعرس من الأعراس التي تقيمها كل ليلة، كم رجل تغذي من ثمار هذا الجسد ولكنه جسد كموائد المعجزات التي تطعم كل الناس دون أن ينقص منها شيء"[1].

1 - المصدر السابق، ص 185.

الفصل الثالث

النظرية المعرفية (الابستمية) والبنى العقلية في

الرواية الثلاثية

المبحث الأول

النظرية المعرفية في الرواية الثلاثية رواية هذه تخوم مملكتي أنموذجاً

تتأثر عملية التعقل عند الفرد بواسطة مكون الدلالة، فمكون الدلالة يختلف من بنية إلى أخرى، ويترتب عن ذلك اختلاف.

مفهوم السببية وطبيعة الأبستيمية العاملة من بنية لأخرى ذلك أن أهم خاصية تميز كل من بنية العقل التناسلي وبنية العقل البرجوازي إنهما بنيتا وعي قصور، والمقصود بوعي القصور هو المعنى الفيزيائي للقصور والذي يعني بأن يظل الجسم قاصراً بذاته عن تبديل حالته ما لم تؤثر عليه قوة خارجية. [1]

هذا أدى إلى جعل مرجعية الفاعلية السببية خارج ذات الإنسان أو خارج الكون بالنسبة لبنية العقل التناسلي لذلك تكون الأبستيمية أو النظرية المعرفية ذات طبيعة غيبية في بنية العقل التناسلي، فحينما يساءل الإنسان التناسلي الواقع فإنه لا يقدم فروضاً واقعية مادية ملموسة بقدر ما يقدم فروضاً غيبية لا يمكن الحكم عليها من خلال الواقع والتجربة من الناحية العلمية ويكون بذلك مكون الدلالة التناسلي قد شرط معرفة غيبية تجعل من العسير إنتاج علم ومعرفة أو تكنولوجيا، لذلك نلاحظ كثرة التفاسير الغيبية للظواهر الطبيعية في المجتمعات التناسلية حتى يصل الإنسان التناسلي إلى بر الأمان وهي تفاسير لا تقوم على أسس علمية، لذلك لا يمكن في ظل هذا الفكر التناسلي الغيبي إنتاج علم ومعرفة حقيقية تقوم على الأسس العلمية المادية. [2]

مصطلح الأبستيمية المعرفية:

إن المقصود بمصطلح الأبستيمية هو الدلالة على الوحدة المعرفية، وهو مصطلح نادى به "ميشيل فوكو" ليشير إلى الوحدات الأساسية والتي يتشكل من التقائها نسق للمعرفة، وقد استخدم منهج التحليل الفاعلي هذا المصطلح ليدل على الأبنية المعرفية في مكون الدلالة والذي

---

1 - أنظر الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأنت نحو نظرية حديثة للأدب، مخطوط 2001 م، ص 84.
2 - أنظر المصدر السابق، ص 84.

يختلف من بنية إلي أخرى، علماً بأن هذه الأبنية في حالة تغير مستمر مع تقدم المعرفة على نحو يولد أبنية معرفية جديدة.[1]

خليل الإمام و الأبستيمية التناسلية:

ويمكننا ملاحظة هذه الأبستيمية من خلال رواية "هذه تخوم مملكتي" في أكثر من موضع، بل يمكننا القول بأن مدينة "عقد المرجان" ماهي الإنتاج لهذا الفكر الغيبي والذي غذي على خرافات الطفولة وحكايات الأمهات والجدات عن الأساطير من الجان وبساط الريح والعفاريت وغيرها من الحكايات التي هي أدوات تكرس بنية العقل التناسلي نتاج أبستيمية المعرفية لبنية العقل التناسلي، إن خليل الإمام حاله حال أي شخص يستدمج بنية العقل التناسلي بكل تفاصيلها الدقيقة، فعندما أصابه مرض نفسي لم يقنع أهله بعلاج العلم الحديث حالته المرضية ولكنهم كانت لديهم القناعة التامة بعلاج "الفقيه" لأسقام روحه المريضة، وهذا يعود إلى المرجعية الأبستيمية لديهم."يراني أخي نافراً من الأطباء فيقترح هذه المرة الذهاب إلى فقيه ذاع صيته وعالج إناثاً كثيرين مثلي. فهذه أمراض لا يعرف أسرارها إلا أهل الله من أمثال هذا الفقيه إن كانتا من هذه الكائنات الخفية المجهولة التي تعيش معنا دون أن نراها قد انتقل من شقوق إحدى الخرابات ليسكن جسمي، وسيكون هذه الفقيه قادراً على أحراقه بالأوراد والأحجبة والطلاسم السليمانية".[2]

وهكذا نجد بأن خليل الإمام وأهله لديهم الثقة التامة في إمكانية شفائه من اسقامه وامراضه التي علقت بروحة على يد الفقيه والذي عالج الكثيرين من أمثاله وتماثلوا للشفاء على يديه، فالأطباء لم يقدروا على شفاء المرضى من أمراضهم على الرغم من أخذهم بأسباب العلم ولكن الفقيه يستطيع ذلك. وإذا أخذنا في الحسبان بأن خليل الإمام يمثل المثقف الذي درس وتعلم في بلاد الغرب ونال أرقى الدرجات العلمية ونجده مقتنع في قراره نفسه بأن الفقيه سوف يشفيه

---

1 - أنظر: عبدالرؤوف بابكر السيد، الفصل الأدبي الاستلاب والفاعلية منشورات جامعة سرت، الطبعة الأولى، 2008 م، ص 236.
2 - أحمد ابراهيم الفقيه، هذه تخوم مملكتي، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، مايو 1991 م، دار رياض الريس للنشر والكتب، قبرص، ص 11.

من أسقامه عن طريق حرق البخور وتعليق التمائم والأحجبة والطلاسم السليمانية وطرد الأشباح التي تسكن نفسه فلا شك أن هذا مؤشر على أن المجتمع التناسلي مازال مستغرقاً في تفكيره الغيبي الذي يعتقد به، فالأبستيمية لبنية العقل التناسلي تحكم على أفراد المجتمع الذين يستدمجونها بأن يكونوا أوفياء لها وهي غالباً ما تكون غيبية ما ورائية فلا فرق بين دكتور مثقف أو أستاذ جامعي وبين أميٍّ لا يجيد القراءة أو الكتابة فكليهم زبائن لدى الفقيه يعالج أمراضهم ويصف لهم الدواء والعلاج الناجع ليتخلصوا من هذه الأمراض.

مدينة عقد المرجان والأبستيمية الغيبية:

إن مدينة "عقد المرجان" والتي تقوم عليها رواية "هذه تخوم مملكتي" التي سافر إليها خليل الإمام وأصبح أميراً لها، لم تكن لتتحقق إلا عن طريق الشيخ الصادق أبو الخيرات فهو من منح خليل الإمام صك العبور إلى زمن قديم يعود إلى العصر العباسي الثالث، وفي هذا إشارة إلى قوة وهيمنة الفكر الغيبي المسيطر على المجتمع، فهذه الرحلة والتي تخيلها خليل الإمام هي رحلة مستحيلة الحدوث من الناحية الواقعية المنطقية والتي تتعامل مع الواقع من خلال العقل التجريبي وهذه العقلية التجريبية نجدها في بنية العقل البرجوازي فأبستيمية المعرفة في بنية العقل البرجوازي ليست خارج الكون ولكنها تكون عادة خارج الذات وهي تقوم على التجربة المادية وهو ما سمح لهذه البنية من إنتاج العلم والتكنولوجيا والتي قامت على أساسها النهضة الصناعية الغربية خلافاً لبنية العقل التناسلي التي تؤمن بالخرفات والغيبيات.

إن رحلة خليل الإمام لا يمكن لها أن تحدث إلا من خلال بنية العقل التناسلي والتي تؤمن بالخوارق والمعجزات الغيبية وعليه فهذه الرحلة قد تجد من يصدقها داخل بنية العقل التناسلي بينما لن تجد لها أذاناً صاغية خارج هذه البنية، فخليل الإمام على الرغم من أنه قد تحصل على الإجازة الدقيقة من بلاد الغرب إلا أنه يصف الشيخ الصادق أبو الخيرات كما

بصفه رجل أميٌ يثق في كرامات الشيخ الصادق ثقة عمياء "فقيه بكتب الأحجبة ويطرد الجن ويعالج النساء العقيمات هو الشيخ الصادق أبو الخيرات". [1]

إن رحلة خليل الإمام إلى مدينة عقد المرجان تدل على أن خليل قد توهم هذه الرحلة وتوهم بأن الشيخ الصادق أبو الخيرات هو من قام بأرساله إلى تلك المدينة الأسطورية هرباً من أوجاعه وأمراضه التي أصابته بعد رجوعه إلى وطنه، فلقد تخيل ذلك كله ليخفف عن نفسه وطأة الحزن وعدم قدرته على التأقلم مع المجتمع، وقد عمد الإمام إلى هذه الرحلة عن طريق أبستيمية المعرفة التناسلية والتي تؤمن بالغيبيات والخوارق فقد خيل لنفسه وأوحى لها بأنه يرى الشيخ الصادق أبو الخيرات عندما جاء لزيارة مقامه والتبرك به، فرأه وجهاً لوجه على الرغم من أن الشيخ قد مات منذ عقود بعيدة ولكنه يستدمج ابستيمية معرفية تقوم بإنتاج معرفة غيبية صرفة يتعطل معها العقل والمنطق وتقفز فوق الزمن من أجل تحقيق خوارق ومعجزات لا تتحقق إلا من خلال هذه البنية، بل إن دراسة خليل الإمام عن ألف ليلة وليلة تدل على مدى تعلقه بأبستيمية المعرفة الغيبية في بنية عقله التناسلية وذلك للخوارق والتي تزخر بها الحكايات، فها هو يتخيل الشيخ الصادق أبو الخيرات فيقول "دفعت الباب ودخلت وما أن وضعت قدمي داخل الغرفة حتى تبدي لي الشيخ الصادق أبو الخيرات جالساً فوق سجادته تماماً كما تعودت أن أراه منذ ثلاثين عاماً مضت... لعلني أحلم أو أتخيل". [2]

فخليل الإمام يريد أن يوهم القارئ بأن ما يراه حقيقة لا لبس فيها حتى وإن كان هو نفسه غير مصدق لما يرى، وهذا دليل على قدرة بنية العقل التناسلي في جعل كل الأمور الغيبية في حكم المعقول المحسوس عكس بنية العقل البرجوازي والتي لا تؤمن إلا بالحقيقة المادية الملموسة بل إن خليل الإمام يذهب إلى أبعد من ذلك في وصف كرامات الشيخ الصادق والتي يعتقد بها لدرجة يصدق فيها الدكتور خليل الإمام بأن الشيخ الصادق أبو الخيرات متزوج بجنية

---

1 - المصدر السابق، ص 18.
2 - المصدر السابق، ص 19.

تطعمه من طعام أهل الجن والمختلف عن طعامنا والذي إليه يعود الفضل في وجوده بصحة وعافية لحد لا يصدقه بشر وهذا ما أضفى على الشيخ هالة من القداسة لن يجدها إلا في بنية العقل التناسلي والتي تؤمن بكل ما هو غيبي فهي بنية لا تقوم بإنتاج العلم ومعرفة بقدر ما تعتقد بالمعرفة الغيبية "ها هو يتحدث بلهجة رجل عاد لتوه من العالم الأخر، هذه هي اللغة التي يتحدث بها أمثاله من الفقهاء الذين يعاشرون الأرواح ويتصلون بعواملها الخفية المجهولة ولابد أن الفضل في بقائه محتفظاً بصحته رغم تقدم العمر إنما يعود لأطعمه أهل الجن التي تقدمها له زوجته". [1]

فخليل هنا لا يحتكم إلى العلم والمعرفة العقلية وإنما يلغي دور العقل ليحل محله نوع آخر من المعرفة والتي تتمثل في المعرفة التي تنبثق من بنية العقل التناسلي وهي المتمثلة في الأبستيمية المعرفية لهذه البنية فهي تلغي دور العلم لتستلهم نوع آخر من الأحكام والمسلمات والبديهيات التي تستمدها من الخرافة والتفاسير الغيبية والتي لا تحتكم للمنطق العلمي ويكمن السبب في ذلك أن الأبستيمية المعرفية تحتوي على ما يعرف بوعي القصور وهو المسؤول عن كون هذه الأبستيمية لا تنتج علماً "وعي القصور هو الذي يقذف بمرجعية الفاعلية السببية حينما يستكنه الظاهرة – خارج نسقها وعلى وجهة التحديد خارج الذات وأحياناً خارج الكون ويستدمج فرضية أحادية العقل، ويشتمل وعي القصور على بعدين يتعلق الأول بوعي خطي (جزئي) للسببية فحواه أن يظل الجسم قاصر بذاته عن تبديل حالته ما لم تؤثر عليه قوة خارجية، أما البعد الثاني يتعلق بتركيب العقل ويتمثل في استدماج فرضية أحادية العقل هذه الفرضية تجعل من العسير إنتاج وعي الفاعلية، إن انطواء كل من فضاء الثقافة العربية وفضاء الثقافة الغربية على وعي القصور لا يعني أنهما متشابهان متماثلان من حيث علاقتهما بالقصور ذلك أن القطيعة المعرفية التي حققتها فضاء الثقافة الغربية مع الفكر الخرافي والغيبي أهلته على تجاوز المفهوم الكلاسيكي للسببية ومكنه من إنتاج العلم والتكنولوجيا لذا يمكن القول أن كثافة القصور

---

1 - المصدر السابق، ص 20.

في فضاء الثقافة العربية ينطوي على كثافة قصور أكبر (من ثم فاعلية أقل) بالقياس لفضاء الثقافة الغربية".[1]

وهكذا نرى أن خليل الإمام ذهب في رحلة عجائبية إلى مدينة تشبه مدائن شهرزاد في الحكايات ولكن الإمام انتقل إلى ألف سنة قد خلت من عمر التاريخ وهو أمر غير معقول ولا يمكن تصديقه حتى خليل الإمام يعترف نفسه باستحالة تلك الرحلة "كنت أعرف أن هذا لا يحدث إلا في الحكاية التي تسردها شهرزاد، فكيف استطعت وفي غفلة من حراس الزمان الذين يديرون الأفلاك بميقات ونظام أن انتقل من خارج الحكاية إلى داخلها". [2] وهكذا نلاحظ بأن خليل الإمام صار كشخصيات حكاية ألف ليلة وليلة، ولكن أن تتحول من شخص يعيش في زمن مختلف وعصر مختلف إلى شخص ينتقل عبر الزمن ليعيش زمن الأسطورة ويقفز فوق كل الحواجز والاعتبارات فإن ذلك يحتاج إلى معجزة أو مبرر منطقي لهذا الانتقال كآلة الزمن مثلاً لو وجدت والتي راودت الفكر الإنساني لينتقل بها إلى الماضي البعيد أو يسافر بها عبر الزمن للمستقبل ولكنها ظلت أحلام تراود الإنسانية جيل بعد جيل، ولكن خليل الإمام يسافر عبر الزمن البعيد ولكي يبرر سفره ذلك يحاول اقناع الجميع بقدرات وكرامات الشيخ الصادق أبو الخيرات والذي يمثل وعي القصور في بنية العقل التناسلي، فهو من فتح بوابة الزمن ليعبر من خلالها الإمام في رحلة إلى المدينة الأسطورية "عقد المرجان" والتي تشبه إلى حد بعيد مدائن ألف ليلة وليلة ويكون الإمام أميرها المفدى، أن خليل الإمام يحاول اقناع القارئ والمستمع بما هو مستحيل ولكن وكما تمت الإشارة إليه سابقاً فإن أبستيمية المعرفة في بنية العقل التناسلي لا تنكر مثل هذه الخوارق والغيبيات، فالشيء الخارق في رحلة خليل الإمام هو السفر عبر الزمن إلى مدينة أسطورية بواسطة قدرات وكرامات الشيخ الصادق أبو الخيرات ليحكي لنا خليل هذه المرة قصة مدينة لم ترو في ألف ليلة وليلة فهذه الرحلة تتم في خيال الإمام وعقله والذي يعتقد

---

1 - د. الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب نحو نظرية جديدة للأدب، مخطوط، [2001 م، ص 60.

2 - أحمد إبراهيم الفقيه، هذه تخوم مسكتني، الجزء الثاني من الرواية الثلاثية، [1991 م، الطبعة الأولى، دار رياض الريس، قبرص، ص 26.

الباحث بأنه – أي الإمام – قد استخدم بنية عقله التناسلية وأبستميتها المعرفية والتي تحتوي على قصور الوعي مما أدى إلى تدني الفاعلية من خلال هذا القصور، أدى كل ذلك إلى استلام خليل الإمام للمعرفة الغيبية كمحاولة منه للهرب من واقع معيش عاني فيه أمراض الروح والغربة مما دفعه إلى اللجوء والاحتماء بالفكر الغيبي من خلال زيارة القبور وحرق البخور وما إلى ذلك من أمور تتعلق بطقوس روحانية خاصة والتي تعمل على تخدير الروح وتنمي الجانب الغيبي فيها للوصول إلى الشعور بالأمان والاطمئنان ومن ثم تمت عملية الانتقال والارتحال في غفلة من العقل والمنطق ربما لدقائق أو أقل كما حدث في نهاية تخيل الإمام فهو قد توهم بأن رحلته قد دامت لسنة كاملة بينما أتضح له فيما بعد بأنه لم يغب عن البيت سوى ساعة واحدة فقط وهكذا نلاحظ بأن هذه الرحلة جاءت نتيجة لرغبة خليل الإمام في أن يعيش حكاية تشابه قصص وحكايات ألف ليلة وليلة ومن ثم صدقها وعاش فيها ومعها لدرجة لم يستطع أن يميز فيها الحقيقة من الخيال ولكن تبقى رحلة خليل الأمام لمدينة عقد المرجان مجرد وهم وخيال عاشه من نفسه، وهي رحلة أشبه بأحلام اليقظة التي يتخيلها الإنسان والتي يعتبرها علماء النفس نوعاً من التنفيس عن مكنونات النفس البشرية من الكبت والحرمان والشعور بالنقص وما إلى ذلك من الأمور التي لها علاقة بمثل هذه المشاعر السلبية.

تبقى هذه الرحلة من الناحية الادبية نصاً متميزاً ، يتوفر على حظ وفير من الشعرية، وهو يدل على معالجة أدبية متقدمة مارسها الكثير من الأدباء الكبار في العالم ، غير أنه في حال دراستنا لدلالتها الواقعية، وعن استكناه الفعلية الروائية التي ننتجها نجدها عقلية تناسلية وفقاً لهذا المنهج الذي رأيناه، ويعود ذلك بالواقع الذي تمثله الرواية بصفة عامة ، وليس عيباً في الكاتب الذي كان يكرس ذلك عن وعي بما يفعل.

المبحث الثاني

العقل الخلاق في رواية "هذه تخوم مملكتي"

تدور أحداث رواية هذه تخوم مملكتي في مجتمع يستدمج بنية العقل التناسلي إلا أننا نجد بعض الأفكار وإن كانت نادرة والتي تمثل بنية العقل الخلاق وهي بنية العطاء الشامل والحب، وهي بنية لم تسد عبر البشرية الا في خلال فترة بناء الحضارات الإنسانية عبر المسيرة الإنسانية لبني البشر، والملاحظ بأن هذه البنية الفكرية الخلاقة لا نجدها في الرواية الثلاثية لأحمد إبراهيم الفقيه إلا في رواية "هذه تخوم مملكتي" وتحديداً نجدها في مدينة "عقد المرجان" والتي سافر إليها خليل الإمام بعد زيارة لضريح الشيخ الصادق أبو الخيرات، فالملاحظ من خلال الوقفة الأولى لمدينة عقد المرجان جملة من الأفكار والرؤى التي لا تنطلق ولا تصدر عن فضاء بنية العقل التناسلي أو البرجوازي على حد السواء ولكننا نجدها أفكاراً تصدر من هذه المدينة، مدينة عقد المرجان، وعلى اعتبار أن هذه المدينة مجرد حلم ووهم صدر عن مخيلة خليل الإمام فهل الأفكار الموجودة في تلك المدينة هي أفكار يعتقدها خليل الإمام ويخفيها في نفسه خوفاً من بنية عقله التناسلي، فنحن عندما نتجول مع خليل الإمام داخل مدينة عقد المرجان فإننا نجدها مدينة مثالية بكل ما تعني الكلمة، وهذا تحديداً ما أوقع خليل في الحرج والارتباك كثيراً لأنه بعد اختياره أميراً لمدينة عقد المرجان تحدث أمام الملاء في قصر الحكم ولكن حديثه ذلك كان يصدر من رجل يستدمج بنية العقل التناسلي وأفكارها عكس سكان مدينة عقد المرجان والذين كانوا يستدمجون فكراً وعقلاً مختلفاً عن عقل وفكر خليل الإمام، فها هو خليل الإمام يريد أن يبدأ عهد حكمه في مدينة عقد المرجان ككل حاكم أو زعيم بإصدار عفو عن المساجين كمبادرة خير يبدأ بها حكمه ومصالحة لشعبه "ليطلق سراح كل من في الحبوس ابتهاجاً بهذا اليوم الذي نريده أن يكون فاتحة عهد من المودة والصفاء بين الناس"[1] ولكن الإمام يصاب

---

1 - أحمد إبراهيم الفقيه، هذه تخوم مملكتي، الجزء الثاني من الرواية الثلاثية، الطبعة الأولى، مايو 1991 م، دار رياض الريس للكتب والنشر، قبرص، ص 32.

بالدهشة عندما يعلم بأنه لا توجد سجون بمدينة عقد المرجان فيحاول أن يقدم اقتراحًا جديدًا ليبدأ به حكمه الجديد " إذن فلتبطل كل المكوس لمدة عام كامل"[1] ولكنه يفاجأ بأن نظام المكوس والضرائب معطل منذ زمن بعيد في مدينة عقد المرجان فيستغرب الإمام إنطلاقاً من بنية فكرة التناسلي "كيف إذن تنفق الدولة على أجهزتها وكيف ينفق الأمير على حفلاته النسائية ورجال قصره وأركان حكمه وأفراد ضباط جيشه وشرطته، لعلهم سبقوا الفكر الاشتراكي العلماني إلى اكتشاف ملكية الدولة لوسائل الانتاج، فصار جميع الناس يخدمون لصالح الدولة وانتهى بذلك دفع الضرائب والمكوس"[2] لكن خليل الإمام مندهشاً من مدينة عقد المرجان فهي مدينة تختلف عن كل المدن التي عرفها أو سمع عنها فهي مدينة تعتبر غريبة في نظره لأنه يفكر بطريقة تختلف عن طريقة أهل مدينة عقد المرجان ففكره وفكرهم ليس واحداً وهذا ما سبب له الدهشة في كل خطوة يخطوها في رحلته لمدينة عقد المرجان "ليصرف معاش شهر إضافي لكل العاملين في الدولة"[3] ولكنه يكتشف بأن الشعب في مدينة عقد المرجان لا يتقاضى أجوراً أو مرتبات وبذلك يتخلى أهل هذه المدينة عن الفكر البرجوازي من حيث الربح والخسارة ويقدمون المصلحة العامة مصلحة المدينة على مصلحتهم الخاصة وهذا لب فكر العقل الخلاق وهنا يتساءل الإمام الحائر والذي يصدر من بنية فكرية لا تتطابق وفكر مدينة عقد المرجان "لا أفهم كيف لا تكون هناك معاشات للعاملين وجرايات للضباط ورجال القصر حتى إذا كان العمل يقوم على نظام السخرة فهو نظام يطبق على العبيد وليس على أهل الحكم والدولة، لم يكن هناك وقت لأن أسأل عن تفسير لهذه الأحاجي، أن الدولة هنا لا تعرف نظام المهايا والمرتبات وهذا كل شيء".[4]

سيطرت الحيرة على نفس خليل الإمام فلا يسعه أن يصف ما يحدث من حوله في هذه المدينة الأسطورية إلا بالأحاجي فهي مدينة لا توجد بها سجون ولا ضرائب تفرض على

---

1 - المصدر السابق، ص 33.
2 - المصدر السابق، ص 33.
3 - المصدر السابق، ص 33.
4 - المصدر السابق، ص 34.

الشعب ولا يوجد بها نظام للمرتبات والأجور تعطي للعاملين في الدولة، فكيف تسير هذه الدولة حتى وإن كانت خرافية أسطورية، إن ما غفل عنه خليل الإمام هو أن فكر أهل مدينة عقد المرجان هو فكر خلاق بمعنى أن برامج العطاء في هذه المدينة مفتوحة على مصراعيها فكل فرد في هذه المدينة يحب لأخية ما يحب لنفسه لذلك كان الحب فيها مصدرٌ للفاعلية بها ومن ثم انعكس على أهلها وعلى مدينتهم عكس ما يرى خليل من فكر تناسلي يستدمجه هو ومجتمعه وما فيه من برامج عطاء مغلقة محصورة على الأسرة والعشيرة، ولكن الإمام الجاهل بالفكر الخلاق يستمر في محاولة منه لمنح سكان مدينة عقد المرجان امتيازاً ليكون فاتحة عهد جديد وسعيد يرتبط بذات الإمام " فلأ منح إذن هؤلاء الناس راحة من أعمالهم لمدة أسبوعين فلا كدح ولا عمل ولا شقاء ابتهاجاً بالعيد الجديد"[1] ولكن الناس في مدينة عقد المرجان لا يعملون إلا وفق إرادتهم الحرة فمصلحة البلاد فوق كل الاعتبارات الشخصية "فلا أحد يعمل لحساب أحد ولا يمتثل لأوامر أو رغبات أحد إلا نفسه"[2] وهكذا نلاحظ بأن الفكر الذي ينطلق منه خليل الإمام ليس فكراً يلتقي مع بنية العقل التي يستدمجها سكان مدينة عقد المرجان فيحاول مرة أخرى معهم "تقديم الهبات والإعانات لكل البؤساء والمحتاجين"[3] ولكن الجواب يكون سريعاً "إن جميع أهل البلاد يتساوون في الانتفاع بموارد أرضهم"[4] ومن خلال ما مر بنا من مواقف تنصيب خليل الإمام أميراً على مدينة عقد المرجان ومحاولة تقديمه إلى لسكان المدينة ابتهاجاً بالعهد الجديد فإننا نلاحظ بأن سكان مدينة عقد المرجان يختلفون من ناحية التكوين الفكري والعقلي والتي تعبر عن بنية العقل الخلاق والتي يستدمجها سكان المدينة عن بنية عقل خليل الإمام ومن خلال الانطباع الأول عن مدينة عقد المرجان الأسطورية يتضح لنا بأنها مدينة لا سجون فيها على الرغم من وجود مجتمع بشري وهو الذي يصاحبه في العادة مشاكل لا حصر لها في كل لحظة والتي تحدث بين أفراد المجتمع ولكن ما هو السر في كون عدم وجود سجون

---

1 - المصدر السابق، ص 34.
2 - المصدر السابق، ص 34.
3 - المصدر السابق، ص 34.
4 - المصدر السابق، ص 34.

في مدينة عقد المرجان ؟ كذلك عدم فرض الضرائب والإتاوات على السكان لصالح الأمارة، كما أنه لا توجد مرتبات ولا إجازات لأن أفراد هذا المجتمع لا يحتاجونها لسبب بسيط هو إنهم جميعاً يعملون لصالح المدينة متكاتفين متعاونين من أجل مدينتهم فيلاحظ الإمام بأنها مدينة قد اختفت منها الأنانية وحب الذات وحلت محلها المصلحة العامة، وهذا يعني بأن برامج العطاء في هذه المدينة مفتوحة على العكس من برامج العطاء في كل من بنيتي الفكر التناسلي والبرجوازي فكلاهما يحملان برامج عطاء مغلقة تقوم على حب الذات لتشمل الأقارب والمنفعة الشخصية في البنيتين عكس بنية العقل الخلاق "يعي الإنسان من خلالها ذاته بوصفة كائناً خلاقاً نشطاً وظيفته ودوره في الفاعلية الحب والإبداع والعطاء الشامل بث الحياة وهذه البنية لم تسد عبر تاريخ البشرية لكن تم الاستعانة بها في فترة النهضة الحضارية بالنسبة للحضارات المختلفة الفرعونية، البابلية، الصينية، اليونانية، العربية"[1] فالجدير بالملاحظة أن هذه البنية الفكرية بنية العقل الخلاق تتجسد في مدينة عقد المرجان، فسكان هذه المدينة يجمع بينهم مبدأ بسيط هو أن أخلاقهم أخلاق عطاء وليست أخلاق استحواذ، أي أنهم قادرون على الحب، أي أن يحبوا لغيرهم ما يحبون لأنفسهم، وإمكانية سيادة هذه البنية ليست خيالية أو بعيدة المنال ولكنها تحتاج إلى أن يتوفر لها شروط سيادتها وهيمنتها من خلال التربة الخصبة لها ولن تجد أفضل من المجتمعات الإسلامية لأنها تستمد أفكارها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وهي كلها أفكاراً خلاقة تحض على حب الأخ لأخية ونبذ العنف وتأكيد مبدأ الحب والخير الذي هو جوهر الفكر الخلاق ويتجسد ذلك في الأخوة الصادقة الخالية من كل النوازع المادية التي هي أساس الشر المطلق "إنما المؤمنون أخوة"[2] فسكان مدينة عقد المرجان يستدمجون بنية العقل الخلاق لذلك لم يستوعب خليل الإمام مظاهر الاختلاف الفكري بين بنية عقله وبنية عقل المجتمع الذي حل فيه، الأمر الذي زاد من شقة البعد الفكر إضافة للبعدين الزماني، والمكاني

---

1 - د. فتوح محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب نحو نظرية جديدة للأدب، مخطوط، 2001 م، ص 95.
2 - القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية رقم 10.

لهذه المدينة، فعدم وجود السجون يرجع إلى الحب الذي يسود بين سكان هذه المدينة فالكل يحب لأخيه ما يحب لنفسه، كما أن الجميع يعملون لصالح مدينتهم فبرامج العطاء في البنية الفكرية لسكان مدينة عقد المرجان هي برامج عطاء مفتوحة تتعدى صلات القرابة والمكاسب المادية الذاتية "بنية العقل الخلاق هي البنية الوحيدة التي تتحلى ببرامج مفتوحة للعطاء بمعنى أن الإنسان الخلاق هو شخص قادر على فعل الخير وغير قادر على الاعتداء على الأخرين أكان ذلك بالعنف أو الاستغلال أو الاضطهاد أو الكراهية أو الحسد الخ"[1] وهذا يفسر عدم وجود سجون ومحاكم ومراكز للشرطة في هذه المدينة لأن سكانها لا يعرفون الظلم ولا العنف فيكفي أن نعلم بأن استغلاق كل من بنيتي العقل التناسلي والبرجوازي يعمي الكثيرين عن رؤية الحب لأن برامج عطاء البنيتين مغلق وبرامجهما محدودة فلا يستطيع البرجوازي أن يحب كل الناس لذا فإنه قادر على أن يعتدي ويستغل ويقتل من أجل الاستحواذ على خيرات الغير وهذا يفسر ظاهرة الاستعمار من أجل استغلال ثروات وخيرات الشعوب، بينما ينحصر عطاء وإثراء الحياة في بنية العقل التناسلي على الفرد وأسرته وربما عشيرته لذلك يشار إليها بأنها بنية عقل مغلقة مثليا مثل بنية العقل البرجوازي.

مدينة عقد المرجان والفاعلية الخلاقة:

إن مدينة عقد المرجان تتجلى فيها كل مظاهر الحضارة الإنسانية الخلاقة بمعنى الكلمة على الرغم من كونها مدينة خيالية من صنع الخيال سافر إليها الإمام بإيحاء من الشيخ الصادق أبو الخيرات ومع ذلك فهي مدينة مميزة فكرياً تمتلك بنية عقل خلاق ساعدها على أن تتخلص من مظاهر الإنسانية الفردية بفضل تلك العقلية فسادت فيها أخلاق العطاء وإيثار الأخرين على الذات والأنا، ولكن خليل الإمام في مقابل هذا الفكر والذي يختلف اختلافاً كلياً عنه وجد نفسه في هذا المجتمع الجديد فكرياً عنه وهو المحكوم بنسق فكري وعقلي نشأ عليه وتربى وهو فكر بنية العقل التناسلي. لذلك نجده مسكوناً بفكرة التناسلي وهواجسه التي تطغو على سطح الوعي

---

1 - المصدر السابق، ص 100.

التناسلي لديه لتذكره بأنه مجرد كائناً تناسلياً ليعي نفسه من خلال مكون الدلالة السيكولوجي لديه فنجده لا يتحدث إلا من خلال هذا المكون والذي يعي به نفسه فها هو يتحدث عن الأميرة نرجس القلوب حديث من يستدمج بنية العقل التناسلي: "أجدها ميرة لم تركب ودرة لم تثقب فأستمتع بكارة الجسد الأميري وأنام بعد ذلك نوماً خالياً من الكوابيس التي كانت تعذبني بزيارتها الليلية".[1]

فخليل الإمام لم يستوعب بعد بأنه انتقل إلى بعد فكري أكبر من الفكر الذي يحمله وأن كان ينتمي إلى عصر أشتهر بالتكنولوجيا والعلم فهو ما يزال قاصراً عن الوصول إلى الفكر الخلاق الذي يجعل من الحياة جنة أرضية بكل ما تحمله الكلمة من معنى "أندهشت عندما خرجت إلى الشوارع بصحبتها دون أن يرافقنا حراس وحجاب، وجدتها تضحك عندما سألتها عن المرافقين والحراسات والجدار الأمني الذي يجب أن يحمي الأمير والأميرة..... وتسألني ببراءة عن السبب الذي يدعو إلى ذلك، أيقنت بأنني سأرتكب مزيداً من الأخطاء إذا اتخذت من العالم القديم مرجعاً لفهم هذا العالم".[2]

وهكذا انتفت الحاجة إلى وجود فصيل الحراسة والشرطة للموكب الأميري ومرافقته ويرجع ذلك إلى أن سكان مدينة عقد المرجان وصلوا إلى مستوى فكري جعلهم ينبذون العنف والاعتداء على الغير كسلوك اجتماعي مهما كان السبب وهذا يعد قمة الفاعلية بمعنى أن الإنسان يعي نفسه وذاته في هذه المدينة بوصفة كائناً خلاقاً نشطاً يحب الخير للجميع ولا يكره أحد ولا يعتدي على أحد سواء أكان شخصاً عادياً أم أميراً أو ملكاً، وهذا أصاب الإمام بالدهشة لأنه يصدر من فكر لا يتماشى مع هذه الأمور بنفس المنظور الفكري العقلي، فهو لا يواكب هذه المدينة من الناحية العقلية والتي يستدمجها في تحليل الأمور والمواقف بمقارنتها بعالمه الذي جاء منه فكان كتلميذ في صفه الأول بالمدرسة، وبما أن برامج عطاء بنية عقل مدينة عقد

1 - أحمد إبراهيم الفقيه، هذه تخوم سلكتي، الجزء الثاني، ص 40.
2 - المصدر السابق، ص 43.

المرجان مفتوحة فإن بالتالي المكون الاجتماعي والذي يشتمل عليه مكون الدلالة في هذه البنية العقلية يقضي في أن تكون المصلحة العامة للمدينة وسكانها هي عصب نسيج العلاقات الاجتماعية والتي تربط بين السكان في مدينة عقد المرجان، بمعنى أن خلاص الفرد وخلاص المجتمع هو شيء واحد لا اختلاف فيه وهذا انعكس على المجتمع في مدينة عقد المرجان بالإيجاب والرفاهية وهو ما صوّره الإمام لنا "اختفت مظاهر الفقر والبؤس ومشاهد العنف وأكداس القبح التي كنت أراها في المدن الأخرى، لم ألتق بمتسول أو محتاج ولم أقابل مشهداً يصيبني بالضيق والكدر ولم أر عراكاً أو شجاراً أو أسمع أحداً يشتم أحداً أو المح أناساً يتزاحمون ويتهافتون على سوق أو بضاعة، كان ما أراه عيداً يفضي إلى آخر وأفقاً للفرح ينفتح على أفق أكثر جمالاً". [1]

إن الفكر الذي ورد في الشريعة الإسلامية السمحاء هو أفكر ينطلق من بنية العقل الخلاق فهي تنادي بالمجتمع الخلاق ليصبح واقعاً معيشاً لأفراد المجتمع الإسلامي، وهذا يدل ما لهذه البنية العقلية من أثر طيب على حياة الإنسان في حال استدمج أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية هذه البنية العقلية.

خليل الإمام بين الفكر التناسلي والفكر الخلاق:

نلاحظ بأن كل مظاهر الحياة والتي ذكرها خليل الإمام عن مدينة عقد المرجان تصدر عن بنية العقل الخلاق فأبستيمية معرفتها هي أبستيمية الفكر الخلاق والتي يعي من خلالها الفرد المعرفة الخلاقة عكس بنية العقل التناسلي التي يستدمجها خليل الإمام لذلك نجده مصدوماً من هذه المدينة ونلاحظ بأنها تطبق النظام الاشتراكي والذي يقوم على أشراك جميع السكان في عوائد الإنتاج، فقد الغيت في هذه المدينة مبدأ الإيجار والاستغلال والسخرة فهم جميعاً يقومون بالإنتاج ويتشاركون في الانتفاع به، فكل شخص يأخذ مقدار ما يحتاجه وبذلك اختفت مظاهر الاستغلال والاحتكار، كما أنهم يقومون بحماية مدينتهم من خلال شهر تناوبي بينهم يقومون فيه بواجب

---

1 - المصدر السابق، ص 47.

الحراسة لمدينتهم فالجميع متساوون فأختفت الفوارق الطبقية بين سكانها. والأرض في مدينة عقد المرجان هي ملك للجميع مشاع بينهم رعياً وزراعة وصيداً فالجميع يشتركون في الأرض كأنهم عائلة واحدة "لماذا لا توجد حبوس ومكوس ولا يعرف أهل هذه المدينة العوز والفقر، ولا يتعاملون بالنقود، ولا يملكون شرطة ولا أجهزة للدولة، ولا يعمل أحد لحساب أحد، ولا يحتاجون إلى عطلة أو إجازة يمنحها لهم الأمير، فقد أوجدوا لأنفسهم نظاماً يعفيهم من هذا كله يشتركون جميعاً في الانتاج ويشتركون في الانتفاع به، حيث يعرض هذا الانتاج ويأتي كل إنسان ويأخذ ما يكفي حاجته دون مقابل ودون أن يكون العمل إلزاماً أو وظيفة لها جدول ومواعيد ودوام، فقد تركوه لرغبة الإنسان وإرادته الحرة، يختار ما يحب من الأعمال، ويعمل متى راق له العمل ويرتاح منه متى أراد، أما ما تحتاجه المدينة من أعمال عامة مثل بناء التحصينات وترميمها وحراستها فهو عمل تناوبي، يترك الواحد منهم مهنته ويتفرغ لمدة شهر واحد للقيام بهذا العمل بشكل تطوعي، وانتهى بذلك أي تفاوت في الدخل أو الحاجة إلى النقود أو المكوس أو الشرطة أو السجون... وأصبحت كل الموارد مشاعاً بينهم الأرض والزراعة والرعي والمواشي واللحوم جميعاً كما يعيش أفراد عائلة واحدة". [1]

لقد أصابت صورة مدينة عقد المرجان بسلوك أهلها خليل الإمام بالدهشة فهي أفكار لا تتماشى مع بنية مجتمعه التناسلي، فمع أنها أفكار خلاقة تساوي بين الناس وتلغي فكرة الاستغلال والاحتكار ولكنها غير مرغوب فيها في فضاء بنية العقل التناسلي فعلى سبيل المثال لو أخذنا فكرة مشاع الأرض بين أفراد المجتمع نجد أن الفكر التناسلي قد شبه الأرض بالمرأة فصورة الأرض كمدلول في بنية العقل التناسلي تحمل قيمة تناسلية صرفة فأختزلت فيها المرأة ونجد ذلك في الموروث والقيم الفكرية لبنية العقل التناسلي والتي تؤكد هذا المفهوم فالأرض هي عرض الإنسان أي شرفة والمقصود في هذه البنية بالشرف هو الشرف الجنسي ومن هنا أصبحت الأرض في فكر وقيم هذه البنية كالمرأة تماماً، ونلاحظ ذلك من خلال الخطاب

---

1 - المصدر السابق، ص ص 49.

التناسلي عن الأرض فلو أخذت الأرض عنوة قيل اغتصبت الأرض لأنها مثل المرأة تماماً ويقال أيضاً في فضاء هذه البنية التناسلية في تأكيد وجه الشبه بين المرأة والأرض أرض بكر وأرض عقيمة لا تنبت العشب وأرض خصبة وما إلى ذلك من أفكار وقيم ومفاهيم تقوم بها بنية العقل التناسلي في تأكيد العلاقة ووجه الشبة بين المرأة والأرض في انهما يجلبان العار للرجل ونجد ذلك في الأمثال الشعبية التي تقول "الأرض مثل العرض" والعرض هو شرف الرجل الجنسي التناسلي ومن هنا نجد بأن الرجل لا يتنازل عن أرضه لأحد أو لأي شخص غريب عن العائلة أو العشيرة أو القبيلة وأن حدث ذلك فهو يعد نوع من التفريط في الشرف ومن هنا توارث الذكر التناسلي عدم توريث الأخوات وخاصة المتزوجات خارج القبيلة الأرض وذلك لأنها ستؤول إلى رجل غريب، ومن هنا نلاحظ استغلاق بنية العقل التناسلي وبرامج عطلها المغلقة. وهكذا نجد بأن فكرة مشاع الأرض بين أفراد المجتمع التناسلي هي فكرة مستحيلة و غير قابلة للتطبيق في فضاء بنية العقل التناسلي.

المبحث الثالث

اختلاف بنيات العقل بين الشخصيات

في الرواية الثلاثية

من خلال دراستنا للرواية الثلاثية بأجزائها الثلاثية نجد بأن هناك تفاوتاً وتبايناً في التركيب العقلي للشخصيات وهو ناشئ عن اختلاف البنى العقلية التي تستدمجها تلك الشخصيات، ومن خلال التحليل الفني لتلك البنى العقلية الممثلة في الشخصيات وانطلاقاً من نظرية التحليل الفاعلي يتضح لنا بأن هناك ثلاثة أنواع من الشخصيات في الرواية وهي تستدمج ثلاث بنى عقلية مختلفة تعبر كل منها عن بنية عقلية ومنهج فكري خاص بها يختلف عن غيرها من البنى الفكرية الأخرى، ونتج عن ذلك اختلاف في طبيعة الشخصيات بعضها عن بعض وكذلك منظورها الرؤيوي للأمور والأحداث والتي تتباين حسب وجهة نظر كل شخصية تستدمج بنية عقلية بعينها تختلف عن غيرها، وهذا الاختلاف يعود لاختلاف العقل عن غيره، والذي يعتبر مفتاحاً لكل العلوم والمعارف، وهو الذي قامت بها النهضة الإنسانية جمعاء، وقد نُظر للعقل على أنه سبب تطور البشرية، وهو ما يميز الحضارة البشرية، فالإنسان هو الكائن الوحيد العاقل ومن هنا كان الإنسان صاحب الحضارات والرسالات الفكرية المختلفة ويرجع الفضل في ذلك كله إلى العقل الذي حبا به الله عز وجل الإنسان ليميز به الخير من الشر، وقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز وفي أكثر من مناسبة الدعوة إلى استخدام العقل كميزان للوصول إلى الحقيقة والمعرفة وذلك لأنه يعد مرجعية فكرية للبشر وبه فقط يقدر الإنسان أن يميز بين الخير والشر ويكفي أن نذكر بأن جميع الواجبات الدينية كالصوم والصلاة وغيرها قد اشترطت في أدائها وقبولها أن يكون الإنسان عاقلاً ومدركاً حتى يتقبل منه، ورفعت التكليف عمن لا يعقل ولا يدرك وفي ذلك إشارة إلى عظمة هذا المخلوق الذي وهب الله به الإنسان ليبحث به عن

الحقيقة ((ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون))[1] فمرد كل أمر إلى العقل، لذلك اهتمت الحضارات المتعاقبة بدراسة العقل والذي يتمثل في ذلك الحيز المادي ممثلاً في الكتلة الهلامية في رأس الإنسان ومدى قدرة هذا الوعاء في استيعاب الحضارات الإنسانية بكل مكتسباتها الفكرية.

وقد قسم العقل في منهج التحليل النفسي والذي نادى به سيغموند فرويد إلى عقل واعي وعقل غير واعي، أو كما أسماه بالشعور واللاشعور ((يمكن مجازاً اعتبار فرويد أنه تمكن من كشف التركيب الرأسي للعقل كونه يحتوي على بنية سطحية (الشعور) وبنية عميقة (اللاشعور) لذا يصبح من الضروري توضيح التركيب الأفقي للعقل حيث نجد أن هناك أكثر من بنية واحدة، نجد ثلاث بنيات، بنية العقل التناسلي بنية العقل البرجوازي وبنية العقل الخلاق، تتحلى كل بنية من هذه البنيات بأن لها لاشعور وشعور (وعي).[2]

أولاً: بنية العقل التناسلي:

تنشأ بنية العقل التناسلي وتسيطر في حال ما إذا كان المجتمع عاجزاً أو متخلفاً وتكثر به الأمراض والأوبئة والكوارث الطبيعية والتي تؤدي إلى ارتفاع معدل الوفيات مقارنة بالمواليد، فلا يكون من سبيل للهروب من شبح الأنقراض سوى تحفيز كل فرد لينجب أكبر عدد من الأولاد، ولكن ليس هذا السبب الوحيد في تكوّن بنية العقل التناسلي فهناك أيضاً أسباب أخرى اقتصادية واجتماعية وأمنية تحت شروط التخلف التي سبق ذكرها.[3]

إن وجود البنية المسيطرة في المجتمع يكون استجابة للتحديات والمعوقات التي تواجه أفراد المجتمع لوضع الحلول لها وفي حال فشلها في توفير الأمن والمتطلبات التي تفرضها التحديات فإن بنية عقل بديلة ستحل محلها، ونلاحظ بأن هذا الشرط قد توفر في الرواية الثلاثية مما سمح بوجود بنية تستجيب للتحديات المفروضة متمثلة في بنية العقل التناسلي وذلك لأن شروط التخلف في تلك البيئة والتي يغلب عليها الفقر والبؤس ويكثر فيها الموت جعلها هي البنية

---

1 - سورة الأنعام الآية رقم 152.
2 - د. الشيخ محمد الشيخ، التحليل النفسي والأدب نحو نظرية جديدة للأدب، محفوظ 2001 م، ص 75.
3 - أنظر المصدر السابق، ص 83.

الأنسب في مواجهة تلك الظروف القاسية " لم يرض أن يخدم أجيراً لدى أحد، وفي حين كان يعز العمل، وتضيق فرص الرزق، فان رزقه ظل جارياً، ينتزعه انتزاعاً من بين مخالب الموت كان زمن بؤس ومجاعات، وكنا ننتقل من بادية الى أخرى حيث تنتشر المناحات في كل مكان نذهب إليه".[1]

وهكذا في ظل ظروف مجتمع كالذي ذكره الإمام معدلات الوفيات فيه أكثر بكثير من معدلات الولادة نتيجة للأمراض والبؤس والفقر، فإن البنية المسيطرة في هذا المجتمع بنية العقل التناسلي كانت تحقر أفراد المجتمع على الإنجاب بكثرة في مواجهة تحديات المرض والموت خوفاً من شبح الانقراض "كان الناس فعلاً يموتون، ومن لم يمت بالألغام مات بغيرها ومن لم تسعفه الأعشاب والأحجبة والكي بالنار فإن عليه أن يموت، لا أدري كم عدد الأخوة الذين فقدتهم، كان الواحد يموت بعد أشهر من ولادته وكان مبدأ الانتخاب الطبيعي الذي يتيح الحياة للأقوى في تلك البيئة الشرسة هو البديل لحبوب منع الحمل".[2]

وهكذا كان دور البنية العقلية التي يستدمجها أفراد المجتمع هي تحفيز أفرادها بأن يتناسلوا ويتكاثروا في مواجهة الحرب الشرسة الموجه ضد الجنس البشري وهذا أورث أدبيات مليئة بالحزن والبكاء والذي ارتبط بقوة بهذه البنية حتى عد البكاء جزء لا يتجزأ من حياة أهل هذه البنية "البكاء كان زاداً يومياً يعيش عليه أهل تلك الخيام التي تعاشر الفاجعة، فقد ذهب في ظني أن البكاء ملازم للحياة".[3]

عند الحديث عن البنية العقلية السائدة في المجتمع يكون المقصود منها المعنى الاصطلاحي لهذا المفهوم كما ورد في نظرية التحليل الفاعلي "يقصد بنية العقل أو النواة

---

1 - أحمد ابراهيم الفقيه، سأهبك مدينة أخرى، الجزء الأول من الثلاثية، الطبعة الأولى، مايو 1991 م، دار رياض الريس للكتب والنشر، قبرص، ص 69.
2 - المصدر السابق، ص 170.
3 - المصدر السابق، ص169.

التوليدية للوعي التي تحدد فكرة الإنسان عن نفسه ومنحي استجابته وتفاعله مع العالم، ويقصد بالوعي المحتوى المعرفي السلوكي للإنسان". [1]

وهكذا فعندما يستنسخ الفرد بنية فكرية بعينها فهذا يعني بأنها أنجح البنى الثلاث في الاستجابة للتحدي الأساسي الذي يواجه المجتمع، وتقوم بتوظيف البنيتين الاخرين من أجل إنجاح مهمتها، عليه فإنه لا يوجد اختلاف بين عقل وآخر فلا فرق بين عقل عربي وعقل أوروبي وإنما الاختلاف يكون في بنية العقل السائدة في المجتمع، وهو أمر يتحدد وفقاً لطبيعة التحدي الاجتماعي والحضاري القائم الذي يهدد أمن المجتمع وبالتالي طريقة الاستجابة المثلى لهذا التحدي. [2]

ونجد هذه الشخصية التناسلية التي تخوض صراعاً مريراً ضد التحديات المفروضة عليها من أجل البقاء متمثلة في عدة شخصيات لعل من أهمها وأبرزها شخصية الراوي وهي الشخصية الأساسية والمحورية في الرواية الثلاثية شخصية خليل الإمام والذي يكشف تلك الجينات الوراثية بنية العقل التناسلي والتي يحمل بذورها في أعماقه "يبدو أنني لم أتحرر من ميراث ذلك الإنسان البدائي الذي كان يخوض صراعاً قاسياً من أجل البقاء فلا يجد غير القتل واستخدام العنف سبيلاً". [3]

إن الإنسان الذي يتحدث عنه الإمام هو ذلك الإنسان الذي كانت له قيمة ولا تزال في المجتمعات التناسلية، فهي مجتمعات تعلي من قيمة الرجال والذين يمثلون السواعد القوية والضاربة والتي تمثل القوة "فتصبح الأسرة أو القبيلة التي في حوزتها أكبر عدد من السواعد هي في مأمن من تربص المعتدين وهي من ثم ذات قوة ونفوذ، ويصبح الرجل المحترم والمقدر هو الذي في حوزته أكبر عدد من الأبناء (خاصة الذكور) أي الفحل". [4]

---

1 - د. الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب، 2001 م، ص 72.
2 - أنظر المصدر السابق، ص 72.
3 - أحمد إبراهيم الفقيه، ساعة مدينة أخرى، الجزء الأول من الثلاثية، الطبعة الأولى، مايو 1991 م، قبرص، ص 110.
4 - د. الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب، محفوظ، 2001 م، ص 83.

مكون الدلالة في بنية العقل التناسلي:

إن من أهم الخصائص في بنية العقل التناسل هو أن مكون الدلالة في آلية تعقلها تناسلي صرف ومن ثم فإن بنية الوعي المصاحبة تكون تناسلية، وهذا يعني على الصعيد السيكولوجي أن يعي المستدمج ذاته ككائن تناسلي وظيفته ودوره في الحياة التناسل وهذا ما نراه في أغلب أجزاء الرواية الثلاثية ذلك لأن غالبية الشخصيات هي شخصيات تستدمج بنية العقل التناسلي لذلك نرى بوضوح الفاعلية التناسلية وهي تتجسد في أقوال وأفعال هذه الشخصيات المسكونة بذلك الهاجس التناسلي فيا هو خليل الإمام ينظر لسائدرا بعيني رجل يستدمج تلك البنية ليصفها لنا ولكنه يصفها من منظور سيكولوجي تناسلي صرف "ويظهر الصدر بقبتيه الصغيرتين المضيئتين، المباركتين، نهدان يشتعلان بنار الذهب ويمتلآن نزقاً وتمرداً وعنفاً"[1]

ومثل هذه الأقوال أو الأفعال والتي تصدر عن السيكولوجية التناسلية والتي تعبر أفضل تعبير عن المجتمع التناسلي، كما يحتوي المكون الدلالي على القضاء المعرفي الخاص بهذه البنية التناسلية والذي ينشأ في الواقع على مبدأ القصور وهو الذي يجعل من الأبستيمية المعرفية في هذه البنية أبستيمية غيبية لا تنتج علماً أو معرفة بقدر ما تؤمن بالغيبيات والخوارق وفي معرض حديثها عن الغيبيات تتذكر تلك القصة التي جمعت بين خليل الإمام والشيخ الصادق أبو الخيرات الذي يعالج النساء العقيمات ويطرد الجن والأشباح عن طريق كتابة الأحجبة ((فقيه ذاع صيته وعالج أناساً كثيرين مثلي، فهذه أمراض لا يعرف أسرارها إلا أهل الله من أمثال هذا الفقيه، إن كائناً من هذه الكائنات الخفية المجهولة التي تعيش معنا دون أن نراها قد أنتقل من شقوق إحدى الخرابات ليسكن جسمي، وسيكون هذا الفقيه قادراً على إحراقه بالأوراد والأحجبة" [2].

---

1 - أحمد ابراهيم الفقيه، ساعيك مدينة أخرى، الجزء الأول من الثلاثية، الطبعة الأولى، مايو 1991 م، دار الريس للنشر قبرص، ص 154.

2 - المصدر السابق، ص 11.

النظام القيمي في بنية العقل التناسلي:

أن بنية العقل التناسلي تحدد معنى الحياة والموت والإنسانية والشرف والعقل والهزيمة والنصر على النحو الذي يجعل كل فرد من أفراد المجتمع ينجب أكبر عدد من الأولاد، فإذا فشل التناسلي في عملية التناسل فإنه يعتبر بأن حياته بأكملها قد انهارت وانتهت، وأن قمة النصر أو الهزيمة هو النصر أو الهزيمة الجنسية، فالهدف النهائي من الحياة هو تكوين الأسرة وإنجاب الأطفال. (1)

فقمة الهزيمة في وعي هذه البنية هي الهزيمة الجنسية وحسب ((كنتُ موعوداً هذه الليلة بامرأة لذيذة وشهية تشبه تمثالاً من الحلوى. فكيف أباحت لي نفسي أن أتركها بصحبة القبائل الجرمانية، وأرجع وحيداً ومهزوماً إلى غرفتي". (2)

فخليل الإمام يعتبر تركة لساندرا مع الفرقة الألمانية هزيمة له وذلك لأنه كان موعوداً بها تلك الليلة، وعندما تركها وعاد وحيداً أعتبر ذلك هزيمة له لأن يصدر من بنية تعتبر أن الهزيمة والنصر هي الهزيمة والنصر الجنسي.

آليات الضبط في بنية العقل التناسلي:

لكي يتحقق لبنية العقل التناسلي مهامها وأغراضها فإنها تقوم بجملة من الإجراءات تختلف حسب الثقافة من مجتمع لآخر ومن بيئة لأخرى ومن تلك الإجراءات إعداد المرأة حتى تقبل بأن دورها الوحيد في الحياة هو الإنجاب فقط، ويتم تقديس أنوثة المرأة مع إهمال عقلها، وهذا نجده في شخصية فاطمة زوجة خليل الإمام والتي كانت رمزاً لنساء بنية العقل التناسلي، كما يعد الرجل بحيث يتطابق مفهوم الرجولة مع الفحولة وهذا أدى إلى ربط الرجولة بالفحولة وهي ثنائية مقدسة في المجتمعات التناسلية حتى يومنا هذا، فيوصف الرجل بأنه فحل، وهذا يكون محط تقرير واعجاب الجميع من حوله بقدرته الجنسية "إنها المرة الأولى التي أرى فيها جسداً

---

1 - أنظر د. الشيخ محمد الشيخ: التحول الداخلي والأدب، ص 85.

2 - أحمد إبراهيم الفقيه، ساعتك متهنة أخرى، الجزء الأول من الثلاثية، الطبعة الأولى، مايو 1991 م، قورص، ص 149.

أنثوياً عارياً إلا من الغلالة التي ارتفعت فوق السرة ولم تعد تغطي إلا جزءاً من الصدر، ملقى فوق الفراش الأحمر ينتظر فحولتي". [1]

فالرجل الفحل هو من يضمن استمرار الحياة من خلال قدرته الفائقة على التناسل فهو محترم ومقدر في مجتمع يحترم الفحول لقدرتهم الجنسية وقوتهم العضلية والعكس صحيح "كانت تشتم الرجل وتعيّره بضآلة أداته الجنسية التي تشبه نملة صغيرة حمراء ميته، تأتي في شتائمها على عضو الرجل الذي قذف بجرثومته، والرحم الذي حمله وأخرجه إلى الدنيا، وأعضاء المرأة التي ترضى بالزواج منه دون أن تخونه". [2]

ومن وسائل الضبط أيضاً تحريم الحب والجنس قبل وخارج مؤسسة الزواج ومن هنا كان الكبت والحرمان الجنسي في ظل السلطة الأبوية المطلقة والتي تهيمن عليها بنية العقل التناسلي فهي تعد من أنجح الوسائل التي تمارسها تلك البنية في المجتمع من أجل ترويض الشباب والبنات وإرغامهم على القبول بأن الهدف الوحيد من الحياة هو الزواج وتكوين الأسرة وبذلك جعل يوم الفرح الوحيد في حياة الإنسان في هذه البنية يوم عرسه. [3]

فنجد أن والد خليل الإمام كان مثالاً للأب التناسلي والذي يمارس سلطته المطلقة على أبنائها من أجل تحقيق أغراض البنية التي يستدمجها "أحبيته بمثل ما خشيت بأسه وقسوته". [4]

ثانياً: بنية العقل البرجوازي:

تنشأ بنية العقل البرجوازي عندما يحقق المجتمع درجة كبيرة من التطور والسيطرة على البيئة من حوله، فيزيد تعداد السكان وينشأ هاجس تحقيق الامن الغذائي لملايين البشر عندها تتشكل بنية عقل جديدة يعي الإنسان ذاته من خلالها ككائن اقتصادي وظيفته ودوره في الحياة يتمثل في الانتاج والاستحواذ على الخيرات المادية في أنحاء الأرض وتسمى هذه البنية بنية العقل البرجوازي وتشكل هذه البنية لا يعني في أي حال من الأحوال إلغاء التناسل ذلك لأن

---

1 - المصدر السابق، ص 195.
2 - المصدر السابق، ص 193.
3 - أنظر د.الشيخ محمد الشيخ، التحليل الداخلي والادب، ص 86.
4 - أحمد ابراهيم الفقيه، ساعيك منيتة أخرى، الجزء الأول من الثلاثية، الطبعة الأولى، مايو 1991 م، قرص، ص 73.

الإنسان البرجوازي يناسل أيضاً ولكن نظرته التناسل تختلف تماماً عن نظرة التناسلي لان البرجوازي يرى بإمكانية تسليع والجنس في ظل بنية العقل البرجوازي. [1]

وانطلاقا من هذا المفهوم انتقلت مرجعية المجتمع من التناسل إلى علاقات الانتاج وبذلك لم يعد الجنس من ضمن القيم المرجعية في ذلك المجتمع ولكن نظراً إلى أمكانية تسليعه كبضاعة تقوم عليه صناعات كثيرة ومختلفة من صحف ومجلات وأفلام سينمائية ومسارح وغير ذلك من الأمور التي تدر الأموال وتدخل في الناتج الرأسمالي في المجتمعات البرجوازية. "كان مسرح "السيم الذهبي" الذي يتخصص في تقديم الاستعراضات العارية هو أول ما جذب انتباهنا ونحن نغادر المطعم، وأمامه وقفت حافلة تفرغ مجموعة من السياح". [2]

الأبستيمية المعرفية في بنية العقل البرجوازي:

تعتبر بنية العقل البروجوازي بنية وعي قصور وذلك لأنها بنية متدنية الفاعلية ولكونها بنية وعي قصور فإن مرجعيتها للفاعلية السببية تكون خارج الذات ولكنها ليست خارج الكون مثلما هو الأمر في بنية العقل التناسلي وذلك ناتج عن أن البرجوازي من خلال الاستحواذ على الخيرات والإنتاج يتعرف على مادية العالم فتنشأ وتتشكل بنية العقل البرجوازي بحيث يجعل مكونها الدلالي من مادية العالم مصدراً للفاعلية السببية وبالتالي فإن الأبستيمية المعرفية سوف تكون مادية صرفة ويترتب عن ذلك أن آلية التعقل في بنية العقل البرجوازي تكون مادية أيضاً في خصائصها التكوينية وهذا يعني البرجوازي ذاته على الصعيد السيكولوجي بوصفة كائناً اقتصادياً وظيفة ودوره في الحياة جمع المال. [3]

وهذا يعني بأن هذه الأبستيمية المعرفية جعلت من الفكر البرجوازي يعمل على قطيعة فكرية مع الفكر الغيبي الذي كان متوارثاً في تلك المجتمعات التي تستدمج بنية الوعي البرجوازي والنهوض بفكر مادي صرف سمح لتلك المجتمعات بإنتاج علم ومعرفة تكنولوجيا

1 - أنظر الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب نحو نظرية جديدة للأدب، مخطوط 2001 م، ص 89.
2 - الرواية، ص 35.
3 - أنظر الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب نحو نظرية جديدة للأدب، مخطوط 2001 م، ص 90.

وهذه الأبستيمية تختلف عن تلك التي توجد في المجتمعات التناسلية والتي تكون المعرفة فيها غيبية ويمكن أن نلاحظ الفرق بين كلا المعرفيتين من خلال الذي جرى بين خليل الإمام الذي يستدمج بنية العقل التناسلي وبين ساندرا والتي تستدمج فكر بنية العقل البرجوازي عندما تحدث عن قصة وجود الشبح في الغرفة التي يسكنها خليل الإمام أثناء دراسته في بلاد الغرب وما نستنتجه من اختلاف الفكرين من الناحية المعرفية الأبستيمية وهذا ساعد في طرح الفروض المادية حينما يساءل البرجوازي الواقع.

"ساندرا: هل صدقت بأن هناك شيئاً في الغرفة.

خليل: ولماذا لا أصدق ؟ أنني لا أنكر وجود الأشباح.

ساندرا: أما أنا فأنكره طالما أنني لم أرها".[1]

وهكذا يتضح الفرق واضح بين من يؤمن بوجود الأشباح التي تنتمي لعوالم الخرافة ذات الأبستيمية التناسلية وبين من لا يؤمن الا بما هو موجود مادي ماثل للعيان وهذا هو الفرق بين المعرفتين في كلا البنيتين.

كما يعي البرجوازي ذاته على الصعيد الاجتماعي من خلال علاقات الإنتاج والتي تشكل نسيج البناء الاجتماعي وتعتبر عصب العلاقات فاهي ساندرا الطالبة بالسكن الجامعي تحاول تأكيد الفكر البرجوازي "اختراقاً لقوانين الجامعة قامت ساندرا بتأجير غرفتها لأعضاء فرقة موسيقية من أمريكا لمدة أسبوع".[2]

لقد انتقلت مرجعية نظام القيم من التناسل والجنس في بنية العقل التناسلي إلى المال والاقتصاد في فضاء بنية العقل البرجوازي، فهذه مومس إنجليزية تتحدث عن مهنتها بكل تقدير واحترام وسط ذهول عجيب من خليل الإمام الذي يستدمج بنية العقل التناسلي "من قال أن المهن

---

1 - الرواية، ص 146.
2 - الرواية، ص 158.

الأخرى أكثر شرفاً من هذه المهنة؟ إنني لا أكذب ولا أسرق ولا أغش أحداً. وما أقوم به ليس إلا عملاً يجلب رزقاً كأي عمل آخر اخترته لأنني أحبه أكثر من غيره". [1]

فأصبحت قيمة الإنسان في المجتمع البرجوازي بقدر ما يملكه من مقدرات ومكتسبات مادية "أي يصبح الشخص المقدر والمحترم اجتماعيًا هو الثري، وليس العالم أو الفحل وبصرف النظر عن الكيفية أو الوسيلة التي جمع بها الثروة"[2]

وهكذا تختلف القيم بين بنية العقل التناسلي والعقل البرجوازي ففي هذه البنية البرجوازية الإنسان المقدر والمبجل اجتماعياً هو الثري وليس الفحل كما هو في بنية العقل التناسلي وهذا المفهوم القيمي دفع الكثيرين لجمع أكبر قدر من الأموال والاستحواذ على الخيرات وهذا يفسر المرحلة الاستعمارية لبنية العقل البرجوازي التي غزت العالم الأخر في محاولة منها الاستحواذ على الخيرات ومقدرات الشعوب الأخرى، ويمكننا أن نلاحظ هذا التصرف في الرواية الثلاثية فمثلاً في والد ساندرا الثري الإنجليزي والذي كان يحتكر صناعة الورق كيف كان يعيث فساداً في الغابات من أجل الإثراء الفاحش فكان ثرائه على حساب إفساد البيئة وتدمير حياة الاخرين "أوردت الصحيفة قصة خصامه مع "أبناء الأرض" الذين يهاجمونه في نشراتهم لأنه يتلف الغابات ويدمرها". [3]

وهذا الجانب القيمي هو ما دعى أستاذ في الجامعة الإنجليزية التي يدرس بها خليل الإمام، ترك مهنته كمدرس وسعى في البحث عن مهنة أخرى تدر مالاً وربحاً وفيراً لا تدره وظيفته كمدرس بل الأنكى من ذلك والأدهى أنه دعى الإمام إلى الإقتداء به" دع عنك هذه الشهادات التي لا تجلب نقوداً، وأرجع إلى بلدك وافتح حانة هناك قبل أن يفوت الأوان". [4]

وإيماناً من أن قيمة الإنسان في المجتمعات البرجوازية تتحدد بما يملكه مقتنيات مادية بكافة اشكالها فقد أعلن الأستاذ لاري عن فرصة لمن يريد الإثراء عن طريق العمل معه في

---

1 - الرواية، ص 191.
2 - انظر الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب نحو نظرية جديدة للأدب، مخطوط، 2001م، ص 90.
3 - الرواية، ص 24.
4 - الرواية، ص 77.

الحانة التي أنشأتها من أجل الكسب الوفير والسريع "كان يعلق فوق الجدار الذي نجلس بجواره إعلاناً كتب بخط عريض يتوجه به إلى مدرسي الجامعة، يرحب فيه بأي أستاذ يريد أن يتحرر من عبودية وبؤس الوظيفة ليعمل ساقياً في حانة العنقيد، وسيمنحه راتباً يوازي ضعف ما يتقاضاه من الجامعة مضافاً إليه الإكراميات". [1]

برامج العطاء في بنية العقل البرجوازي:

تعد بنية العقل البرجوازي بنية فكرية مغلقة وبرامج العطاء فيها محدودة جداً فليس بوسع البرجوازي أن يحب كل الناس، ولكنه مدفوعاً بحب المادة يمكنه أن يقتل ويسرق من أجل الكسب الغير محدود "وشهدت الأربعمائة سنة الماضية زحف الجيوش الاستعمارية البرجوازية تنهب الثروات وتقتل في كل أرجاء العالم". [2]

آليات الضبط في بنية العقل البرجوزاي:

تقوم آليات الضبط في بنية العقل البرجوازي عن طريق الكبت الذي يعد وسيلة ناجحة لتحقيق أهداف وأغراض البنية المسيطرة، أو من خلال الترغيب وذلك عن طريق خلق احتياجات وهمية مثلما يحدث في بنية العقل التناسلي عن طريق السماح بالجواري والقيان والحريم والخليلات، بينما في فضاء العقل البرجوازي تستخدم البنية الكبت والحرمان، وهو الحرمان المادي، مما يدفع بالأفراد في ظل هذه البنية للعمل الشاق لساعات طويلة يكدون فيها من أجل توفير الاحتياجات اليومية وبعدما ما تراكم رأس المال في المجتمعات البرجوازية ابتدعت لنفسها احتياجات وهمية لغرض تلبيتها من قبل أفراد المجتمع الذين يستدمجون تلك البنية، كما أوجدت بنية العقل البرجوازي آليات ضبط أكثر قسوة متمثلة في السجن والمصح العقلي. [3]"بيت للبيع، ذكريات للبيع، حب للبيع، حجارة للبيع، علاقات قديمة للبيع، كل شيء خاضع للعرض والطلب والدنيا كرة تدور فلا ثبات لشيء، دورة تنتهي وتعقبها دورة أخرى،

---

1 - الرواية، ص 78.
2 - د. الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب نحو نظرية جديدة للأدب، منشورات 2001 م، ص 91.
3 - انظر الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب، ص 92

زيارة قصيرة إلى وكالة كالادونيا وتنتهي فصول القصة، تأتي اليقظة ويأتي الباحثون عن بيت للشراء، وتبدأ قصة أخرى، لقوة السوق منطقها الذي لا يعبأ كثيراً بأوهام البشر وعواطفهم". [1]

ثالثاً / بنية العقل الخلاق:

بنية العقل الخلاق هي البنية التي يعي من خلالها الإنسان ذاته بوصفة كائناً خلاقاً نشطاً وظيفة ودوره في الحياة هي الفاعلية "الحب والإبداع والعطاء الشامل: بث الحياة، هذه البنية لم تسد عبر تاريخ البشرية ولكن تم الاستعانة بها في فترة النهضة الحضارية بالنسبة للحضارات المختلفة، الفرعونية، البابلية، الصينية، اليونانية، العربية... الخ"[2] ومثلوا هذه البنية موجودون في مجتمعاتنا ولكنهم قلة ممثلين في العلماء ورجال الدين والحكماء والمفكرين والمصلحين الاجتماعيين وحتى أناس عاديين والأمر الذي يجمع بينهم أن أخلاقهم أخلاق عطاء وليست أخلاقاً أستحواذ، بمعنى أنهم قادرون على الحب، أي أنهم يحبون لغيرهم ما يحبون لأنفسهم، وهذا ما شاهده خليل الإمام في مدينة "عقد المرجان" الأسطورية ونقله لنا ربما لكون وجود هذه البنية على الأرض شيء مستحيل، فبنية العقل الموجودة في مدينة "عقد المرجان" والتي يستدمجها أهلها هي بنية العقل الخلاق، حيث يسود الحب "عرفت خلال الأيام التي قضيتها أتجول متحرراً من كل التزام عبر بيوتها وأزقتها، كيف يصبح الحب وجوداً مادياً مثل غلالة رقيقة تغطي الناس والبيوت". [3]

الخصائص التكوينية لبنية العقل الخلاق:

إن بنية العقل الخلاق هي بنية وعي الفاعلية بمعنى وعي الإنسان لذاته بوصفة كائناً خلاقاً، لذا فإن مفهوم الفاعلية سوف يشكل الأبستيمية المعرفية والتي يعمل من خلالها مكون الدلالة الخلاق فينعكس ذلك بدوره على بنية الوعي فيتوقع على الصعيد السيكولوجي أن يعي الإنسان ذاته ككائن خلاق نشط وظيفته الحب وهذا نلاحظه في الرواية الثلاثية وبالتحديد نجده في مدينة

1 - أحمد إبراهيم الفقيه، ساعة مدينة أخرى، الجزء الثاني من الثلاثية، ص 126.
2 - د. الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب، ص 95.
3 - أحمد إبراهيم الفقيه، هذه تدوم مملكتي، الجزء الثاني من الثلاثية، ص 86.

"عقد المرجان" حيث تسود بنية العقل الخلاق ويستدمجها أفراد المجتمع "لم أرى في هذه المدينة إلا عشاقاً، تقدمت بهم السن أولم تتقدم كلهم يحبون ويعشقون ويمارسون عواطفهم بصدق وعفوية، فاختفى من قاموسهم شيء أسمه الغش أو الخيانة او العار". [1]

وهكذا نلاحظ بأن الحب هو سر فاعلية هذه المدينة الخلاقة، أما على الصعيد الاجتماعي فإن المصلحة العامة تكون هي عصب ونسيج العلاقات الاجتماعية بين أفراد والجماعات داخل المجتمع وهذا تماماً ما نقله لنا خليل الإمام" أما ما تحتاجه المدينة من أعمال عامة مثل بناء التحصينات وترميمها وحراستها فهو عمل تناوبي، يترك الواحد منهم مهنته ويتفرغ لمدة شهر واحد للقيام بهذا العمل بشكل تطوعي وأنتهى بذلك إى تفاوت في الدخل أو حاجة إلى النقود أو المكوس أو الشرطة أو السجون، كما أنتهى بذلك الصراع على الرزق الذي تنشأ عنه الصراعات الأخرى، وأصبحت كل الموارد مشاعاً بينهم، الأرض والزراعة والرعي والمواشي والمحاصيل يعيشون جميعاً كما يعيش أفراد عائلة واحدة". [2]

النظام القيمي في بنية العقل الخلاق:

على الصعيد القيمي يعتبر الحب والعطاء في بيئة العقل الخلاق مرجعية لنظام القيم بدلاً عن مفهوم التناسل والمال في البنيتين السابقتين وهذا ما جعل من المجتمع الخلاق مجتمع خال من العراك والشجار وكل ما يصيب الإنسان بالكدر لأن الحب هو ما يسود داخل المجتمع " اختفت مظاهر الفقر والبؤس ومشاهد العنف واكداس القبح التي كنت اراها في المدن الأخرى، لم ألتق بمتسول أو محتاج، ولم أقابل مشهداً يصيبني بالضيق والكدر، ولم أر عراكاً أو شجاراً أو أسمع أحد يشتم أحداً أو ألمح

1 . المصدر السابق، ص 56.
2 . المصدر السابق، ص 49.

أناساً يتزاحمون ويتهافتون على سوق أو بضاعة كان كل ما أراد عبداً يفضي إلى عبد آخر". [1]

أما على الصعيد المعرفي فمن المتوقع أن يشكل مفهوم الفاعلية نموذجاً إرشادياً للعلوم الإنسانية مغايراً عن المفهوم في البنيتين السابقتين. [2]

برامج العطاء في بنية العقل الخلاق:

الخلاق قادر على فعل الخير وغير قادر على الاعتداء على الآخرين في المجتمع سواء أكان هذا الاعتداء مادياً او معنوياً عن طريق العنف أو الاضطهاد أو الاستغلال، وتشمل برامج العطاء جميع أفراد المجتمع بدون استثناء "أن الأمير أيضاً يشارك بجهده العضلي في الانتاج ويباشر عمله ببستان القصر في الساعات الأولى من الصباح، استسلمت فيما تلى ذلك من أيام لهذا التقليد الغريب الذي يجعل الامير عاملاً يدوياً من عمال الزراعة". [3]

آلية الضبط في بنية العقل الخلاق:

"إن بنية العقل الخلاق لم تسد لذا فإن التكهن بالية ضبطها سوف يعتمد في الوقت الراهن على قراءتنا للتحليل الفاعلي، وفي هذا الإطار فإن الالية التي نقترحها هي الحب، نعم إن بنية العقل الخلاق سوف تحافظ على بقائها واستمراريتها بالحب". [4]

وبهذا نكون قد استعرضنا البنى العقلية الثلاث متمثلة في بنية العقل التناسلي وبنية العقل البرجوازي وأخيراً بنية العقل الخلاق، ولكن شد انتباه الباحث التعليق الذي كتبه "محي الدين صبحي "على ظهر غلاف رواية "هذه تخوم مملكتي" الجزء الثاني من الرواية الثلاثية. فلقد كتب عدة أسطر ولكنها تختزل في طياتها مفهوم نظرية

---

1 - المصدر السابق، ص 47.
2 - أنظر د.الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب، ص 100.
3 - أحمد إبراهيم الفقيه، هذه تخوم مملكتي، الجزء الثاني من الرواية الثلاثية، ص 52.
4 - د. الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب، 2001 م، ص 101.

التحليل الفاعلي والبنى العقلية المختلفة مما يعد استشرافاً لنظرية التحليل الفاعلي "هذه تخوم مملكتي" بين إباحية المجتمع الاستهلاكي الغربي، باقتصاد الوفرة، والقيم الديمقراطية وبين المجتمع العربي النامي، بالأسرة الأبوية والحكم الشمولي، ثمة واحة هي بمثابة البرزخ، أو الجسر الذي يربط بين عالمين، هذا البرزخ هو واحة الرؤيا، حلم الإنسان، بمجتمع متحرر من كل أنواع القسر باركاديا تقوم على الحب والإشباع لكل تطلعات الإنسان، ولكن الفضول الإنساني الذي يريد معرفة أسرار القمر، ويسعى إلى تحطيم أقفال الغرفة السرية، تحّول الحلم إلى سفر في قلب الليل". [1]

1 - محي الدين صبحي، ظهر غلاف رواية "هذه تخوم مملكتي، الجزء الثاني من الرواية الثلاثية".

الخاتمة

في خاتمة هذه الدراسة المتواضعة والتي تناولت الرواية الثلاثية لأحمد إبراهيم الفقيه في ضوء منهج التحليل الفاعلي خلص الباحث إلي:

1- إن نظرية التحليل الفاعلي هي نظرية تبحث في فاعلية المبدع مبدع النص وفي فاعلية النص وأيضاً فاعلية المتلقي ، فهي عكس النظريات الأدبية الأخرى، فالتحليل الفاعلي يعطي اهتماماً كبيراً لما يصدره النص الأدبي من فاعلية ، فهو يرى أن الأديب مبدع النص لا يصدر فاعلية للنص بقدر ما يصدر النص نفسه تلك الفاعلية وذلك لكونه فضاءً تخيلياً وهذا الطرح يختلف عن باقي النظريات الأدبية الحديثة والمعاصرة.

2- إن منهج التحليل الفاعلي والذي اعتمده الباحث في دراسته يعد منهجاً معاصراً حديث العهد يختلف عن المناهج الأدبية الحديثة والمعاصرة التي ركزت على المؤلف مبدع النص واستعانت بالعلوم الإنسانية الأخرى مثل علم النفس والاجتماع وغيرها لدراسة المؤلف وذلك من أجل الوصول إلي قصديه المؤلف بغية تحليل وفهم النص الأدبي ، غير أن منهج التحليل الفاعلي لا يبحث في قصد المؤلف بقدر ما يبحث في الفاعلية التي يفجرها النص الأدبي من خلال تنازر بنيات الحدث وذلك من خلال الصراع الذي ينشأ داخل النص الأدبي .

3- من خلال تطبيق الباحث لمنهج التحليل الفاعلي اتضح أن لكل بنية عقلية قيمها وفكرها الخاص بها وهو الذي يختلف من بنية عقلية إلي أخرى .

4- اتضح من خلال تطبيق منهج التحليل الفاعلي أن الشخصيات التتابعية في الرواية الثلاثية هي شخصيات قاصرة ومحدودة الأفق ويرجع ذلك إلى كونها شخصيات منغلقة وبرامج العطاء فيها محدودة بحكم تكوينها الفكري

5- إن الشخصيات ذات العقلية البرجوازية في الرواية أتضح من خلال التحليل بأنها تبنت شعارات إنسانية براقة وهي شعارات ذات صبغه خلاقة تنطلق من المساواة والعدالة للوصول إلي مأربها وعندما تحقق لها ما تريد تنكرت لكل المبادئ الخلاقة من أجل الاستحواذ على ثروات ومقدرات الآخرين .

6- تتضح ملامح العقل الخلاق في الرواية الثلاثية من خلال برامج العطاء المفتوحة والتي تتجسد في مدينة عقد المرجان ولكنها لم تسد على أرض الواقع على الرغم من وجود ممثلين لها.

وأخيراً لا أدعي الكمال والتمام لهذا الدراسة وإنما هي محاولة على طريق النقد لأدبي متمثلة في منهج التحليل الفاعلي، ولقد بذل الباحث قصارى جهده في دراسته هذه سعياً منه لتقديم الأفضل، ومحاولة منه لتحقيق منهجية جديدة تنطلق من التحليل الفاعلي تقدم وجه جديد في دراسة الرواية الثلاثية لأحمد إبراهيم الفقيه، فإن أصبت فمن عند الله وإن أخطأت فمن نفسي. فالكمال لله وحده عزّ وجل.

والله ولي التوفيق

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المصادر:

1- أحمد إبراهيم الفقيه الثلاثية.

أ- ساهبك مدينة أخرى

ب- هذه تخوم مملكتي

ج- نفق تضيئه امرأة واحدة ، دار رياض الريس الكتب والنشر ، قبرص، الطبعة الأولى، مايو 1991 م .

2- الشيخ محمد الشيخ، التحليل الفاعلي والأدب نحو نظرية جديدة للأدب، مخطوط، 2001 م.

ثانياً المراجع /

1- القرآن الكريم.

2- أحمد إبراهيم الفقيه، بدايات القصة الليبية، المنشأة العامة للمنشورات والإعلان، طرابلس - ليبيا، الطبقة الأولى، 1985 م .

3- أحمد محمد الشيلابي، القضايا الاجتماعية في الرواية الليبية 1961-1995 دراسة وصفية تحليلية نقدية، الطبقة الأولى، 2006 م منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام طرابلس – ليبيا.

4- الطيب صالح – موسم الهجرة إلى الشمال، دار العودة للنشر والطاعة بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، 1981 م

5- إ.م. فور ستر، أركان الرواية، ترجمة موسى عاصي، جروس برس، طرابلس – لبنان – الطبعة الأولى، 1994 م.

6- ديوان ديك الجن الحمصي عبد السلام بن رغبان، 161-236 هـ جمع وتحقيق ودراسة مظهر الحجي من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق – سوريا، 2004م.

7- زين العابدين موسى وأحمد أديب الحاج، الليبيون في سوريا، مطبعة دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، 1952م

8- سمر روحي الفيصل، دراسات في الرواية الليبية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ليبيا، الطبعة الأولى، 1983م

9- سليمان كشلاف، دراسات في الأدب، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس . ليبيا، الطبعة لأولى، 1986م

10- سعيد يقطين، القراءة والتجربة حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد بالمغرب، منشورات دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب الطبعة الأولى، 1985م.

11-عبدالرزوف بابكر السيد، النص الأدبي الاستلاب والفاعلية، منشورات جامعة سرت، الطبعة الأولى، سرت- ليبيا، 2008 م.

12- عقيلة محمد البربار، دراسات في تاريخ ليبيا، منشورات ALGA فاليتا، مالطا، 1996 م

13- علي محمد برهانة، الرواية الليبية مقاربة اجتماعية، منشورات جامعة سرت، الطبعة الأولى، سرت- ليبيا، 2006م

14- فرحان بدري الحربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث دراسة في تحليل الخطاب، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 2003م

15 - ف- كوزينوف، موسوعة نظرية الأدب، إضاءة تاريخية على قضايا الشكل- الرواية ملحمة العصر الحديث، ترجمة جميل نصيف التكريتي- دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، الطبعة الثانية، بغداد- العراق، 1986 م.

16- م- سي- فتيست، نظرية الأنواع الأدبية، ترجمة حسن عون، منشأة المعارف الإسكندرية، الطبعة الأولى مصر، 1998 م

17- محمد فريد سيالة، اعترافات إنسان، دار الشرق الأوسط للطباعة والنشر، الإسكندرية. مصر، الطبعة الأولى 1961م

18- ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 1986م

19- ياسين الكبير، المهاجرون في طرابلس الغرب، معهد الإنماء العربي بيروت، الهيئة القومية للبحث العلمي، طرابلس، ليبيا، الطبعة الأولى، 1982م.

20- يمنى العيد، في معرفة النص، منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1985م

ثالثا: المعجمات والقواميس.

1- قاموس أكسفورد الأساسي، انجليزي- عربي- تصنيف جويس م. هوكنز، تحرير عمر الأيوبي- أكاديمية بيروت- لبنان- الطبعة الأولى 1998م

2- قاموس مصطلحات الأدب، مجدي وهبه، انجليزي- فرنسي- عربي- مكتبة لبنان، بيروت،1974م

3- دليل المؤلفين الليبيين، مجموعة باحثين ليبين المنشأة الوطنين للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس- ليبيا، الطبعة الأولى،1977م

4- معجم المؤلفات الليبية المطبوعة في الأدب الحديث، الصيد أبوديب مجلس الثقافة العام، طرابلس- ليبيا، الطبعة الأولى، 2006م

رابعًا: الدوريات

1- أسماء مصطفى الأسطى، مجلة الفضاء الثقافي، موقع الرواية الليبية، شبكة المعلومات الدولية مقال بعنوان: أحقًا مبروكة أول راوية ليبية؟

2- الصديق أبو دوارة، الراوية الليبية من نجمة خليفة حسين مصطفى إلى تميمة إبراهيم الكوني، الهوية الحائرة، مقال بمنتدى القصة العربية، شبكة المعلومات الدولية.

3- سالم هابيل، قاع الرواية الليبية، مجلة الفصول الأربعة، العدد 78، أبريل 1994 م طرابلس. ليبيا.

4- علي محمد برهانه، مسار الرواية الليبية جرد للموقف السردي من الواقع، الاجتماعي مجلة الفصول الأربعة، العدد 89، أكتوبر 1999 م، طرابلس- ليبيا.